الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد بن يحي الونشريسي-تيسمسيلت

كلية الآداب واللغات

الاتساق في أساليب القصص القرآني

-دراسة وصفية تحليلية-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه نظام ل.م.د

تخصص: دراسات لغوية

إعداد الطالب:

علي علوش

إشراف الأستاذ:

أ.د. محمد مصابيح

لجنة المناقشة

الاستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
محمود رزايقية	استاذ تعليم عالي	جامعة تيسمسيلت	رئيسا
محمد مصابيح	استاذ تعليم عالي	جامعة تيسمسيلت	مشرفا
عبد القادر بلي	استاذ تعليم عالي	جامعة عين تموشنت	ممتحنا
الشيخ هامل	استاذ تعليم عالي	جامعة عين تموشنت	ممتحنا
قادة قاسم	استاذ تعليم عالي	جامعة تيسمسيلت	ممتحنا
غربي بكاي	استاذ تعليم عالي	جامعة تيسمسيلت	ممتحنا

السنة الجامعية 2021/2020

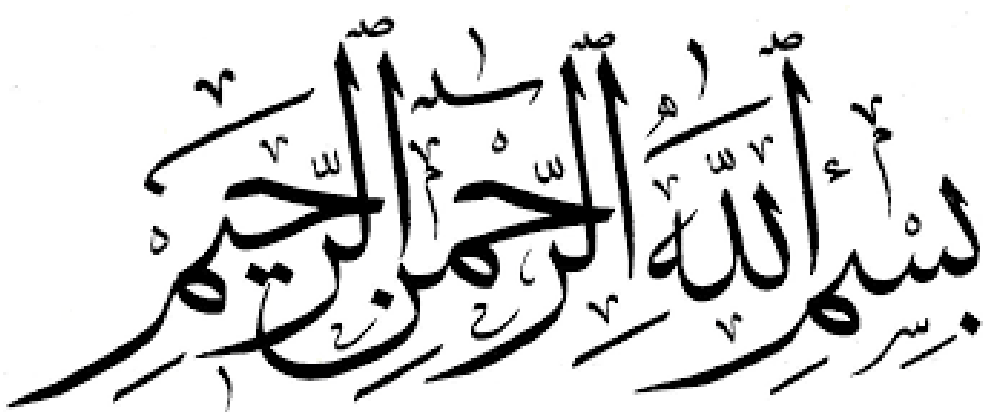

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ(18)

سورة الانشقاق.

كلمة شكر

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة،

وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجازه

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل، وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات.

ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **الأستاذ الدكتور"محمد مصابيح"** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث

كما نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى كل أساتذة كلية الآداب واللغات بجامعة تيسمسيلت

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ تسليما كثيراً إلى يوم الدِّين، وبعد:

ظلَّت اللُّغة العربية وتظلُّ أداة للاتصال البشري، غرضها التبليغ والتواصل، وهي بذلك محل اهتمام وعناية بالغة الأهمية، من أجل اكتشاف أسرارها ومعرفة مكنوناتها، كما أنها حظيت بالرعاية البالغة من جانب المتخصصين منذ القدم، بغية صونها والحفاظ عليها من العجمة لذا كانت الجملة هي مركز ومحور اهتمام الدارسين اللسانيين، وقد اعتبرت الوحدة الأساسية للدراسة اللسانية، ومع مرِّ عقودٍ من الزمن تطور الحقل اللساني والجانب المعرفي، فتجاوزت الدراسات اللسانية محورية الجملة إلى النص الذي أصبح هو البنية اللغوية الكبرى.

ومن هذا المنطلق نشأ علم جديد يهتم بدراسة النصوص وتحليلها وهو ما يعرف اليوم بـ "لسانيات النص"، هذا العلم الذي يبحث في تماسك النصوص وتعالقها حتى يكون وحدة كلية تؤدي أغراضاً معينة في مقامات تبليغية محدَّدَة.

كما أن لسانيات النص تشتغل على النص وأدوات تماسكه وترابطه، وتُرَكِّزُ أيضاً على وصف النَّص وما جاء فيه من وحدات لسانية ذات وظائف متعددة.

يلاحظ القارئ للنّصوص -بعد اطِّلاعه على هذا النوع من العلوم- أنها تتضمن حقولاً دلاليةً، تتشكل في مصطلحات خاصة بهذا العلم، كالانسجام والاتساق والتماسك والتضام والحذف والتكرار والإحالة والاستبدال والسياق والنسق وغيرها من المصطلحات التي تجسد ترابط النصوص.

ذلك تماما ما درسناه من خلال مشروعنا البحثي الموسوم بـ "الاتساق في أساليب القصص القرآني- دراسة وصفية تحليلية -".

وتطرَّقَ البحث من خلال عرض مادة فصوله إلى التركيز على مفهوم الاتساق وتوضيح بعض الفوارق بين المصطلحات المشابهة له، والتي يجعلها الكثير من الدارسين مرادفات لمصطلح التماسك والتراصف والتضام والانسجام، بل مما نلحظه هو أنه قد وقع خلط بين تحديد أدوات الانسجام وأدوات الاتساق، ثم إن الدراسة هذه تختلف عن تلك التي تركز على النص القرآني بأكمله أو القرآن الكريم.

ففي هذه الدراسة محاولة استقراء أهم أدوات الاتساق التي وظفت في الأساليب الواردة في القصص القرآني، ومنه هذه الدراسة تطرح مزاوجة بين إجراءات التحليل اللساني النصي، وجماليات الوصف الأسلوبي.

فهي تحاول استقراء ما ورد ضمن الأسلوب من أدوات الربط، والأسلوب كما تقدمه الدراسات الأسلوبية وهو ما خرج عن مستوى التعبير العادي.

فقد نجد الحذف والتكرار والاستبدال وغيرها مما يشكل أسلوبا في النصوص بالنسبة للدراسات الأسلوبية، وفي الوقت ذاته أداة من أدوات الترابط في النصوص كما هو بالنسبة للسانيات النصية.

- مما دفعني إلى اختيار الموضوع هو رغبتي في الاطلاع أكثر على ما جاءت به الدراسات اللسانية الغربية المتخصصة، وخاصة لسانيات النص التي انتقلت اهتماماتها من مجال الجملة إلى النص الذي تشكله سلسلة الجمل وأدوات الربط، وأيضا أنه من العلوم الحديثة التي تعرف تطورا كبيرا في وصف بنية النص ومعرفة كنهه وجوهر بنياته.
- محاولة معرفة ما قدمه التراث العربي، وجهود الدارسين المحدثين في مجال لسانيات النص، وإن كانت هناك جهود كبيرة في هذا المجال، فالذي نعرفه هو أن عبد القاهر الجرجاني رائد نظرية

النظم قد فَصَّلَ في نظم النصوص، وأشار كلٌّ من سيبويه والجاحظ وغيرهما من أهل اللغة والبلاغة إلى تراصف الكلام وانتظامه وتضامه.

- معرفة أهم أدوات الاتساق التي وظفت في أساليب القصص القرآني باعتبار الأسلوب طريقة مغايرة لمستوى التعبير العادي، وهو ما لم تتطرق إليه الدراسات السابقة التي ركزت على النص القرآني فقط.
- كون الموضوع من الموضوعات الحداثية، وذلك لأن الانسجام هو من مفاهيم لسانيات النص والشق الآخر أن أسلوب القصص القرآني يندرج ضمن علم الأسلوبية.

ذلك أن الاتساق من أهم المسائل التي تطرحها لسانيات ما بعد الجملة، ومن أهم القضايا التي لقيت اهتماما كبيراً من علماء العرب والمسلمين في دراستهم للنص القرآني أو النصوص الأدبية.

كما أن هذا الموضوع يبحث في المصدر الرئيسي للغة الضاد الذي هو القرآن الكريم، وخاصة تماسك النصوص القرآنية ببعضها البعض بطريقة لم تعهدها العرب من قبل، وبالضبط في أسلوب القصص القرآني في تماسكه ونظمه وجماليته.

حاول هذا البحث الإجابة عن إشكالية يحيل عليها عنوانه " الاتساق في أساليب القصص القرآني- دراسة وصفية تحليلية-"، ما هي أهم أدوات الاتساق التي وظفت في أساليب القصص القرآني؟ انطلاقا من أن القصص القرآني يشكله مجموع النصوص ضمن سور قرآنية خاصة بمواضيع سردها النص القرآني؟ وهل ما ورد من أدوات اتساق ضمن أساليب القصص القرآني تختلف عن تلك التي وظفت في غيره من القصص؟.

وهل يمكن القول أن أدوات الأسلوب القصصي أو المعايير التي يرتكز عليها هي نفسها أدوات الاتساق التي وضعت معاييرها إجراءات التحليل اللساني النصي؟.

وتفرعت عنها تساؤلات أخرى منها:

- ماذا نعني بالنص وما حدوده؟
- ما هي أبرز الجهود العربية التي أسهمت في الدراسة النصية ؟
- ما مفهوم الاتساق؟ وما هي أدواته؟

كل هذه التساؤلات تمخضت عنها خطة البحث الآتية:

مدخل وثلاثةُ فصول في جانبين: جانب نظري ضمن المدخل والفصل الأول وجانب تطبيقي ضمن الفصلين الثاني والثالث.

أما المدخل الموسوم بـ: مقولات الاتساق النصي تعرضنا فيه إلى بعض المصطلحات الاساسية التي تساعدنا على الولوج إلى موضوع البحث، وإلى الفرق بين الاتساق والانسجام والتضام.

أما الفصل الأول: الموسوم بـ: محددات الأسلوب بين النص والخطاب وآليات الاتساق، عالجنا فيه بعض المصطلحات التي لها صلة بموضوع البحث، واحتوى على أربعة مباحث:

تطرقنا في المبحث الأول، إلى تعريف الأسلوب والأسلوبية، مستويات التحليل الأسلوبي، الأسلوبية وعلاقتها بالبلاغة والنحو.

أما المبحث الثاني فتعرضنا فيه لمفاهيم النص والخطاب وأوجه التشابه والاختلاف بينهما، أنماط الخطاب والخطاب القرآني.

المبحث الثالث: تطرقنا فيه إلى مفهومة القصة بصفة عامة والقصة القرآنية بصفة خاصة والفرق بينهما وبين القصة الأدبية. وانواع القصص القرآني وأهدافه.

أما المبحث الرابع، تناول أدوات الاتساق التي لها صلة بموضوع البحث وتعريفها.

أما الفصل الثاني وهو أول الفصلين التطبيقيين الموسوم بإجراءات الاتساق في القصص القرآني وفيه خمسة مباحث:

المبحث الاول تعرضنا فيه للتحليل النصي لسورة طه، من خلال الإحالة، وذلك بإحصاء لجميع أنواع الإحالة في السورة، ثم التحليل لتبين أثر الإحالة في التماسك النصي.

المبحث الثاني درسنا فيه أوجه الاستبدال في سورة طه إحصاءً وتحليلا باعتباره أحد العناصر الاتساقية الفعالة في تماسك السورة.

المبحث الثالث تطرقنا فيه لمسالك الحذف في سورة يوسف مع التحليل، وأثر ذلك في ترابط السورة.

المبحث الرابع وفيه دراسة مواضع الوصل في سورة طه مع التحليل وأثر ذلك تماسك السورة.

المبحث الخامس حاولنا فيه جمع أنواع صيغ التكرار، ومدى أهمية ذلك في اتساق سورة الشعراء.

أما الفصل الثالث الموسوم بـ: إجراءات الاتساق في أساليب القصص القرآني ويشمل خمسة مباحث.

ففي المبحث الأول: تقصي لمواضع الحذف في سورة طه كأسلوب وفي نفس الوقت كأداة من أدوات الاتساق النصي.

أما المبحث الثاني: درسنا فيه أسلوب التقديم التأخير في سورة مريم وتحقيقه للتماسك النَّصي في السورة.

المبحث الثالث: تقصينا فيه صيغ التكرير في سورة الكهف كأسلوب، ومدى تحقيقه للترابط بين الوحدات النصية.

المبحث الرابع: تناولنا فيه أسلوب الالتفات في سورة الكهف وأثره في اتّساق السورة.

أما المبحث الخامس أثرُ الاتساق في تراكيب الوصل في سورة يوسف أنموذجاً.

وفي ختام البحث ذكرنا النتائج المتوصل إليها، من خلال رحلة البحث عبر سور من القصص القرآني.

اعتمد البحث في هذه الدراسة على آليات المنهج الوصفي المعتمد في وصف النصوص مع طريقة التحليل التي تتطلب من الدارس لهذا الموضوع أن يُرَكِّزَ على وصف أهم ما وظف من أدوات الاتساق ضمن أساليب القصص القرآني، باعتبار الأساليب تُشَكِّلُ نصوصاً، ولذلك فإن طبيعة الموضوع تقتضي اتباع هذا المنهج المعتمد في وصف بنية النص، والوقوف على خصائصه، وخاصة أن الدراسة الوصفية تقحم الدارس الولوج في عالم النص واستقصاء جل أدوات الربط التي وظفت فيه، وهو ما تركز عليه الدراسات اللسانية الحديثة بفروعها واتجاهاتها.

كما أننا لسنا السبَّاقين إلى معالجة هذا الموضوع، بل سبقتنا عدة دراسات أخرى، لكنها ليست بنفس الخطة والمنهج، ومن بين هذه الدراسات:

دراسة الباحث مصطفاي جلال: تماسك النص وانسجامه في سورة الكهف (مقاربة في ضوء لسانيات النص)- جامعة تلمسان-، حيث تناول الباحث في هذه الدراسة صور التماسك النصي في سورة الكهف، لكنه اقتصر على بعض أدوات الاتساق –الإحالة، الحذف – الربط.

دراسة الباحث محمود بوستة: الاتساق والانسجام في سورة الكهف رسالة ماجيستير – جامعة باتنة-، تناول في هذه الدراسة أهم الأدوات التي أسهمت في الترابط الشكلي للسورة من خلال تعرضه لدراسة الإحالة (الإحالة، العطف، التكرار)، باعتبارها وسائل اتساق شكلية غير أنه ركَّزَ على سورة الكهف دون غيرها، واقتصر على بعض الأدوات دون الأخرى (التضام، أدوات المقارنة).

ومن خلال هذه الدراسات السّابقة حاولنا التوسع في معالجة أدوات الاتساق في عدة سور من القصص القرآني على اختلاف تنوعه، مع دراسة أساليب القصص القرآني التي تتفق مع أدوات الاتساق، وتُشَكِّلُ أسلوباً في النص، وفي الوقت ذاته أداة من أدوات الاتساق، ومنه فدراستنا هي مزاوجة بين لسانيات النص والأسلوبية.

أما الصُّعوبات التي اعترضت البحث فقد كان من أهمها الخوض في آيات كتاب الله والخوف من الوقوع في الخطأ في إطلاق الآراء والأحكام، وصعوبات أخرى تكمن في عدم توحيد المصطلحات اللغوية لعلم لسانيات النص التي تختلف من باحث إلى آخر، وقلة المراجع والمصادر المتعلقة بلسانيات النص، كون هذا العلم لازال في طور التنظير، مما اضطرنا أن نعتمد في دراستنا على بعض المصادر والمراجع الآتية:

- القرآن الكريم برواية حفص
- السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز.
- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير.

وبعض مراجع في اللسانيات النصية:

- فان ديك، النص والسياق.
- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب.

وفي الاخير نحمد الله عَزَّوَجَلَّ ونشكره شكرا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، ثم الشكر لأستاذنا الفاضل

الأستاذ الدكتور " محمد مصابيح" الذي وافق على قبوله الإشراف على هذا العمل المتواضع، حيث

أنار لنا طريق البحث بنصائحه القيمة وتشجيعاته المتواصلة فكان خيرَ أستاذٍ وخير مشرفٍ، فله مِنَّا خالص الشكر والعرفان، كما أننا لا ننسى في هذا المقام أن نشكر السَّادة الأعزاء أعضاء اللَّجنة العلمية على قبولهم مناقشة هذا البحث.

والشُّكر موصول لجميع أساتذتنا الذين لاقينا منهم يد العون والاحترام والمساعدة فلهم مِنَّا جزيل الشُّكر.

وختاما فإننا لا ندَّعي الكمال لهذه الدراسة، فالنقص يعتري البشر والكمال لله وحده، فنسأل المولى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسَّداد، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّ اللَّهم على سيِّدِنا محمدٍ الأمين ﷺ.

الباحث علي علوش

بتاريخ: يوم السبت 1 ذو القعدة 1442هـ الموافق ل 12جوان 2021م.

مدخل

مقولات الاتساق النصي

التماسك النصي:

يعتبر التماسك النصي من المقولات الجوهرية والمركزية في مفاهيم اللسانيات النصية، إذ يحتل موقعا استراتيجيا في الأبحاث والدراسات التي تهتم بتحليل النص، والسبب في ذلك أن من غاية التماسك النصي الأساس توظيف آليات الاتساق وآليات الانسجام الرابطة لبنى النص، الداخلية والخارجية لفهم بنيته الكلية الكبرى انطلاقا من رؤية شمولية متماسكة لا تقتصر في تحليلها على الجملة أو مجموعة من الجمل وإنما على النص كله (من حيث هو وحدة لسانية قائمة بذاتها)[1]، وعلى هذا الأساس (فقد أفردا له هاليداي ورقية حسن كتابا مستقلا، وشغل حيزا كبيرا في مؤلفات فان ديك ودريدا ودي بوجراند وغيرهم..)[2]، بل هناك من حصر الدراسة فيه ليس إلا، وجعل التماسك النصي هو كل شيء في العملية التحليلية النص ومقاربته، إلى درجة أن بات النص في تصورهم يساوي التماسك والتماسك هو النص، وبالتالي فالدراسة التحليلية النص ما هي إلا تعاط مع كينونة تماسكه.

وقبل أن نتعرض لآليات الاتساق أو (الوسائل التي تؤدي إلى سبك سطح أو ظاهر النص)[3] أي الربط الخطي بين العناصر اللسانية والانسجام أو الوسائل المحددة ل(أنماط العلاقات بين المفاهيم، التي تؤدي إلى حبك عالم النص)[4] بمعنى الربط بين المتصورات والدلائل المتحققة بوسائل غير لسانية وتجلياتها في القصص القرآني، لابد أن نقدم تعريفا للتماسك النصي حتى تتضح الرؤية أكثر وتبرز معالمه وأهدافه..

من المعلوم (أن تحديد النص وإنتاجه وفهمه وتمثله وتحليله ومعالجته آليا وغير ذلك من القضايا والإشكالات هو مما أصبح يشكل محط اهتمام عدد من العلماء والباحثين المنتمين إلى حقول معرفية متعددة مثل اللسانيات والمنطق والرياضيات والإعلاميات وعلم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م ص16.

[2] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، ص61.

[3] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د(ط) 1998م، ص 71.

[4] ينظر: نفس المرجع، ص71.

والسميائيات والتداولية الدينامية)[1]، ولكن ذلك بعد أن ينتهي الدارس من تجلية حقيقة التماسك النصي لديه ويستقر تصوره له، ولهذا أصبح التماسك النصي من المصطلحات النقدية المعاصرة، التي ظهرت في إطار علم اللغة النصي، أو نظرية النص...، وهو مصطلح مفهومي شمولي يعبر عن التماسك الشكلي (التماسك النحوي والمعجمي) والتماسك الدلالي (التماسك المفهومي والتأويلي) بين الوحدات اللغوية المكونة لمنظومة بنية النص الفني وغير الفني بمعية الوسائل المحققة لخاصية الاستمرارية والتواصلية والتفاعلية والفاعلية.

وسواء كانت هذه الوحدات اللغوية في صورتها الجزئية أم الكلية، وبه يحدث نوع من الانسجام الداخلي والخارجي التام بين وحدات النص، مما يجعلها تظهر في صورة منسجمة وبنية كلية، تحمل خصائصها الذاتية والنوعية التي تتميز بها عن غيرها من ألوان العمليات التواصلية المختلفة.

فالنص كما يعرفه فاينرش weinrich (وحدة كلية مترابطة الأجزاء: فالجمل يتبع بعضها بعضا وفقا لنظام سديد، بحيث تسهم كل جملة في فهم الجملة التي تليها فهما معقولا، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهما أفضل)[2].

من هذه الزاوية يختص معيار تماسك النص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص وباطنه، أي أن هذا المعيار يترتب على إجراءات تبدوا له العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق وينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، والشيء نفسه مع العناصر العميقة ولكن بوسائل مختلفة إلا أنها منسجمة مع طبيعة الوضعية، يتحقق كل ذلك بتوفير مجموعة من وسائل الاتساق والانسجام التي تجعل الخطاب/النص محتفظا بكينونته واستمراريته ومن بين هذه الوسائل: التكرار، أدوات الربط، الإحالة والحذف... والتأويل والسياق والفهم المحلي والقياس والعلاقات...

[1] محمد مفتاح، النص: من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع –المدارس– الدار البيضاء، ط1، (1421هـ/ 2000م)، ص3.

[2] محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2007م، ص38.

مفهوم التماسك النصي (لغة واصطلاحا)

المعنى اللغوي:

تكاد تجمع المعاجم العربية حصر الدلالة اللغوية لكلمة (التماسك) في ثلاثة معان محورية وهي: الاحتباس والاعتدال والارتباط، (الميم والسين والكاف أصل واحد صحيح يدل على حَبْسِ الشَّيءِ أو تَحَبُّسُهُ..)[1] فقد ورد في الأصل (م س ك): (أمْسَكَ وتَمَاسَكَ وتَمَسَّكَ واسْتَمْسَك، ومَسَّك: احْتَبَسَ واعْتَصَمَ به)[2]، وفي صفته -ﷺ- (بادنٌ مُتمَاسِكٌ)، أي: معتدل الخلق، كأن أعضاءَه يُمسِكُ بعضُها بعضاً.)[3]، وقيل: (فُلانٌ يَتفَكَّكُ ولا يَتَمَاسَكُ، وما تماسك أن قال ذلك أي ما تمالك... وإنه لذو مَسَكةٍ وتَمَاسُكٍ، أي: ذو عقل... وما به تماسُكٌ، إذا لم يكن فيه خير...)[4]، و(يقال فيه مُسْكةٌ من خير بالضَّمِّ أي بقيةٌ)[5].

وفي المعجم الوجيز (م س ك): (مَسَكَ بالشيء مَسْكاً: أخذ به وتعلَّقَ واعتصم... ويقال: تَمَاسكَ البناء: قَوِيَ واشْتَدَّ... والتماسك: ترابطُ أجزاءِ الشيءِ حسياً أو معنوياً، ومنه: التماسك الاجتماعي، وهو ترابط أجزاء المجتمع الواحد)[6].

لم ترد في المعجمات اللغوية إشارة إلى ارتباط هذا الجذر بالنص اللغوي، سواء أكان منطوقا أو مكتوبا.

ولم يذكر هذا المصطلح في الدراسات اللغوية العربية القديمة أو الدراسات الأدبية النقدية، وهذا لا يعني إهمال الدراسات العربية مبدأ التماسك في النصوص، وارتباط أجزائها مكونة كلا متكاملا، فقد استعملت مصطلحات متعددة تدل على التماسك، كمصطلح (السبك)

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط2، (1399هـ/ 1979م)، ج5 ص2393.

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1415هـ/ 1995م)، ج3 ص438.

[3] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ج4، ص330.

[4] الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1419هـ/1998م)، ج2ص 213-214.

[5] الرازي، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م، ص260.

[6] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، دار التحرير للطبع والنشر، ط1 (1409هـ/1989م)، ص: 582.

و(الانسجام) و(النظم) و(الضم) وغيرها، بيد أن هذه المصطلحات كانت محصورة في كتب البلاغة والنقد.

والواقع أن الثقافة العربية لم تكن بمنأى عن مفهوم التماسك، لكن المصطلحات المستخدمة فيها والدالة على التماسك تحتاج إلى التحرير، إذ لم تكن مستقرة استقرار المصطلحات المعروفة.

من أجل ذلك احتيج إلى مصطلح يكون جامعاً ودالاً على الإفادة من الدراسات اللسانية الحديثة، خاصة في ميدان علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، فكان ذلك المصطلح هو مصطلح (التماسك)، لاسيما أن مجاز الاستعمال في هذا الجذر يسمح لنا بالقياس عليه، ولو أننا تمسكنا بالمصطلح القديم لظن أننا لن نخرج عما أسسه الأوائل، ولن نعنى بمقولات المحدثين، وليس ذلك ما نريد.

المعنى الاصطلاحي:

بالتأمل فيما ذكرته المعجمات العربية من معاني الجذر (م س ك) يمكننا الربط بينها وبين المعنى الاصطلاحي على النحو الآتي:

1- ف (الاحتباس) في النص، يعني أن يكون له بداية ونهاية، والرسالة محبوسة بينها، حيث لا تظهر (إلا في حركة إنجاز الكلام في الخطاب في تفعيل قدرتنا اللسانية في الإنجاز..)[1].

2- و (الاعتدال) في النص، يعني أن يكون له معنى وهدف، على الرغم من أنه (لا توجد هناك قاعدة للقيام بتخمينات حسنة، لكن توجد منهجيات لإثبات التخمينات..)[2].

3- و (الارتباط) في النص، يعني أن تكون الأفكار فيه والمعاني متعلقا بعضها ببعض تعلقا منطقيا، بحيث أن كل علاقة فيه (علاقة تنتج بواسطة علاقة، ومعنى هذا أن هناك علاقة أولى تكون منطلقا لتوالد عدة علاقات في صيرورة وسيرورة متوالية..)[3].

---

[1] ينظر: بول ريكور، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، ترجمة محمد برادة -حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2001م، ص82.

[2] المرجع نفسه، ص: 154.

[3] محمد مفتاح: النص: من القراءة إلى التنظير، ص 9.

4- وفي صفة جسد النبي -ﷺ- أنه كان (بادنا متماسكا)، فلو أننا شبهنا النص بالجسد الذي أورده صاحب اللسان لرأينا أن التماسك فيه، يعني أن يكون النص مشدودا بعضه إلى بعض، فلا ينفك منه جزء عن الآخر، حتى كأن أجزاءه يمسك بعضها بعضا، كأجزاء الجسد التي تعمل في تكامل عضوي واعتماد متبادل بينهما، فلا يستغني عضو فيه عن الآخر، وهكذا هي الحال في النص، إذ تعمل جمله وقضاياه في تكامل عضوي، تعتمد الجملة اللاحقة على السابقة، ولا تستغني عنها، كل ذلك (له دور حاسم في تشكل النص)[1].

5- و(يتفكك ولا يتماسك)، فالمزاوجة بين التفكك وعدم التماسك دليل على أنهما شيء واحد، وإذا علمنا أن التفكك هو الانفصال وعدم التعلق والارتباط تبين لنا أن الضد هو التلاحم والتعلق، وذلك من أبرز خصائص النص، ولهذا فكل جملة فيه هي (بمثابة نقلة شطرنج، تتولد عنها احتمالات عديدة، بعضها ممكن وبعضها ممنوع، أو بتعبير آخر تشعبات بعضها ينمى وبعضها يلغى)[2]، فهل هناك آليات تضمن التماسك وتسهر على التفكيك؟

6- و(إنه ذو مسكة وتماسك، أي: ذو عقل)، فإذا كان التماسك هو العقل، فإن من معاني العقل الربط والإيثاق، والربط هو من أبرز خصائص النص للقيام بوظيفتين أساسيتين (وظيفة موجهة ومنظمة للأفعال الكلامية المتتالية التي يبنى بها الوضع الخطابي المقصود، ووظيفة التعويض المصلحة للاضطرابات الناتجة عن المشاركين في الخطاب، أو عن أخطاء المتكلم)[3].

7- و(ما به تماسك إذا لم يكن فيه خير) فهذا المجاز يمكن أن يشير إلى كون النص لا يعد نصا متماسكا ما لم يكن محتويا على موضوع، ولم تكن أفكاره مترابطة ترابطا منطقيا معتدا به، و(بذلك

[1] المرجع نفسه، ص 12.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص13.

يمكن أن يشكل تتابع كلي أو جزئي لعدد كبير من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية).[1]

8- و(تماسك البناء: قوي واشتد... والتماسك: ترابط أجزاء الشيء حسيا أو معنويا) من خلال هذه المعاني يستشف الباحث أنها جميعا تشترك مع مصطلح التماسك النصي في نقاط متشابهة معه، ومن ثمة يمكن أن تجتمع كل المعطيات الدلالية لتكون لنا تصورا يتمركز في نظام لساني يسمى بالترابط النصي (..وهو الذي يخلق بنية النص، هذه البنية لا يمكن أن تكون مجرد تتابع للعلامات ولكنها تملك تنظيما خاصا من داخلها ورؤية دلالية من ذاتها تخصها..) [2]، ولهذا فإن جمل النص لابد أن ترتبط بنظام معين وتخضع لمقتضيات منظومة محددة، لكون النص بناء له أجزاء وعناصر، يحتاج إلى دعائم وروابط تقويه وتشد بعضه إلى بعض ليكون كالشيء الواحد، ومن هنا التماسك النصي من حيث المفهوم الاصطلاحي (هو وجود علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص وفقراته، لفظية أو معنوية، وكلاهما يؤدي دورا تفسيريا، لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص)[3]، ويمكننا حمل هذه العلاقة على أنها ذات بعدين بعد الترابط الحسي (التماسك عن طريق الأدوات الشكلية/ الملفوظة: النحوية والمعجمية) وهو ما يسمى ب (الاتساق)، وبعد الترابط المعنوي/ الدلالي (التماسك عن طريق الأدوات المعنوية/ الملحوظة) وهو ما يسمى بـ (الانسجام).

وقد نبه فان دايك إلى اختلاف مفهومه للتماسك عن مفهوم هاليدي ورقية حسن، إذ يقصر هذا المفهوم على الناحية الدلالية، بل إنه يحدده أكثر من حيث طريقة تناوله فيقول إنه (مجموعة الشروط التي تحدد العلاقات أزواجا، أي ضروب التعلق والتبعية بين الأحداث كما تعبر عنها الجمل المؤلفة وما تركب منها، ولها صلة بعالم ممكن، وبموضوع تحاور ممكن)[4]، ولذلك فإنه يصف التماسك

---

[1] فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحري، دار القاهرة للكتاب، ط1 (1421هـ/2001م) ص75.

[2] – أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص97.

[3] المرجع نفسه، ص98.

[4] فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000م، ص179.

عند هاليدي ورقية حسن بأنه (مركز على البنى السطحية للنصوص)[1] ويمكننا أن نخلص بتعريف للتماسك النصي على أنه نظام تعالق مكونات النص بعضها ببعض، عن طريق تشابك علاقات شكلية/ملفوظة (تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب الضمن جملية أو بين الجمل)[2] بعلاقات دلالية/ملحوظة تتلعق (بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي)[3] وتوظف (سيرورات إدراكية غير لسانية مشكلة معقدة)[4]، تولد ديناميكية الربط بين عناصر النص الداخلية والخارجية، لتشكل رسالة تؤسس لعلاقة تواصلية تفاعلية بين المرسل والمتلقي (سواء كان ذلك المتلقي فردا أم جماعة، موجوداً بالفعل أو بالقوة..)[5] فيفهمها ويتفاعل معها سلبا وإيجابا، وهدف المرسل من وراء ذلك (ربح المتلقي وكسبه إلى جانبه، والربح –هنا– كيفي وليس كميا)[6]...

ولقد غدا التماسك/ الترابط النصي أهم وأشهر المعايير التي يقوم عليها تحليل النص: وذلك لأنه (ذو طبيعة دلالية من ناحية، وذو طبيعة خطية شكلية من ناحية أخرى، وأن الطبيعتين تتضافران معا لتحقيق التماسك الكلي للنص)[7]، ولذلك أعتبره بعض الباحثين شرطا ضروريا وكافيا للتعرف على ما هو خطاب/نص، وعلى ما ليس هو كذلك، لأن النظرة إلى النص تعتبره (سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية، ولا يهم أن يكون المقصود هو متتالية من الجمل، أو من جملة واحدة، أو من جزء من الجملة)[8] ولكنه أخيراً يعرف (باستقلاليته وانغلاقه)[9].

---

[1] منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1: 2004م، ص: 148، الهامش رقم (4).

[2] المرجع نفسه، ص132.

[3] المرجع نفسه، ص133.

[4] المرجع نفسه، ص133.

[5] محمد مفتاح، دينامية النص [تنظير وإنجاز]، المركز الثقافي العربي، ط3: 2006م، ص50–51.

[6] المرجع نفسه، ص51.

[7] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1(1434هـ/2000م)، ج1، ص98.

[8] ينظر: منذر عياشي: الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، ط1: 1998م، ص119.

[9] المرجع نفسه، ص118.

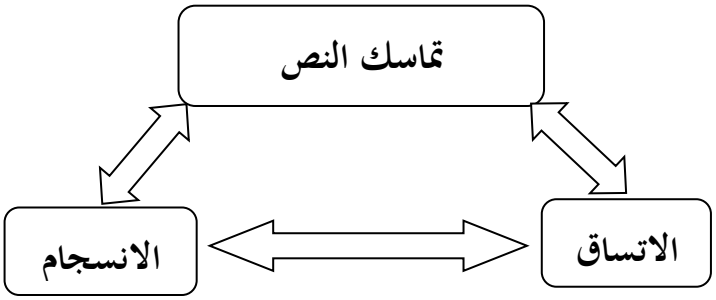

1- الاتساق مفهومه وتجلياته:

إذا رجعنا إلى المعاجم، و الكتب العربية باحثين عن المعنى الذي يدل عليه الجذر (وس ق) فإننا نجده يدور عموما حول مفهوم الاكتمال والتمام، أما ابن فارس فيؤكد أن (الواو والسين والقاف: كلمة تدل على حَمْلِ الشَّيْءِ)[1]، بينما في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) فيعني الجذر (و س ق): 'وَسَقَتِ النَّخْلَةُ إذا حَمَلَت، فإذا كَثُرَ حِمْلُهَا قيل أَوْسَقَتْ أَيْ حَمَلَتْ وَسْقاً... وَوَسَقَتِ النَّاقَةُ وغَيْرُهَا تَسِقُ أَيْ حَمَلَتْ وَأَغْلَقَتْ رَحِمَهَا عَلَى الماءِ، فَهِيَ نَاقَةٌ وَاسِقٌ، وَنُوقٌ وِسَاقٌ.. وَقَدْ وَسَقَ اللَّيْلُ وَاتَّسَقَ، وَكُلُّ مَا انضَمَّ، فَقَد اتَّسَقَ.. واتِّسَاقُ القَمَرِ: امْتِلاؤُهُ واجْتِمَاعُهُ واسْتِوَاؤُهُ.. وَاتَّسَقَتِ الإِبِلُ وَاسْتَوْسَقَتْ: اجْتَمَعَتْ... وقيل: كُلُّ مَا جُمِعَ فَقَد وُسِقَ.. والاِتِّسَاقُ: الانتِظَامُ)[2].

أما الفيروز آبادي (ت 817م) في القاموس المحيط فيقول: (وَسَقَهُ يَسِقهُ جَمَعَهُ وحَمَلهُ ومنه: (والليْلِ ومَا وَسَقَ) وطَرَدَهُ ومنه الوَسيقَةُ وهِيَ مِنَ الإِبِلِ كَالرُّفْقَةِ مِنَ النَّاسِ فإذا سُرِقَتْ طُرِدَتْ مَعاً، والنَّاقَةُ حَمَلَت وأَغْلَقَتْ عَلى الماءِ رَحِمَهَا فَهِيَ وَاسِقٌ، واسْتَوْسَقَتِ الإِبلُ اجْتَمَعَتْ، وَاتَّسَقَ انتَظَمَ، وَالميسَاقُ الطَّائِرُ الذِي يُصَفِّقُ بِجَناحَيْهِ إِذَا طَارَ)[3]، والطائر إذا طار وكان مصفقا بجناحيه، كان في ذلك اتساق كبير وانتظام ظاهر، كما يقول السيوطي (ت911هـ): (اتسق القمر إذا تم وامتلأ ليلة أربع عشرة، ووزن اتسق افتعل، وهو مشتق من الوسق ويقال اتسق استوى)[4]، والملاحظ في الذي

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6، ص109.

[2] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة، (1401هـ/1981م)، مادة (و س ق) مج6، ص4836.

[3] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (وس ق)، ج3، ص: 289.

[4] السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ط1، 1988م، ج1، ص570.

ذكر ابن منظور، والفيروز آبادي، والسيوطي أن المعنى الذي يكاد يتكرر حول الجذر (و س ق) هو الاجتماع والانتظام والاكتمال، وهذا غير بعيد عن المعنى الموجود في لسانيات النص.

تعد قضية الربط/ الاتساق، من أهم القضايا التي تعنى بها لسانيات النص، إذ تنطلق تصورات نحو النص من الفرض القائل إن النصوص في الأساس يمكن تحديدها بأنها تكوين بسيط من الجمل تنشأ بينهما علاقات تماسك... ويمكن أن يعد فرض ربط الجمل أساسا لكل البحوث الخاصة بنحو النص، فهي تمثل الإطار لكثير من الدراسات التفصيلية[1]، إذ تبحث الدراسات النصية في الآليات التي تؤدي إلى تماسك النص وتلاحم أجزائه، ويعد الاتساق النصي أحد هذه الآليات الجوهرية المساهمة في دراسة بنية النص، فما هو الاتساق وما هي آلياته؟.

وقبل الخوض في الحديث عن هذا المصطلح لابد أولا من توضيح الإشكال الحاصل في ترجمته من قبل الباحثين.

إشكالية مصطلح الاتساق:

تعد إشكالية الترجمة من المشاكل العالقة، وتتجلى في وجود كثير من التداخلات في المفاهيم، إذ كثرت الترجمات للمصطلح الواحد، وبات من الصعب على الباحث الخوض في تلك المصطلحات وتداولها لما يشوبها من تداخل شديد من شأنه أن يدخل الباحث في دوامة، ومن بين هذه المصطلحات، مصطلح الاتساق.

فالاتساق مصطلح مترجم عن الكلمة الإنجليزية cohésion وقد تعددت الترجمات لهذا المصطلح كالعادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية، حيث ترجمه محمد خطابي[2]، وفريد عوض

[1] ينظر: فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهقجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004م، ص21.

[2] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م ص11.

حيدر[1] إلى الاتساق، في حين ترجمه أحمد مداس إلى الانسجام[2]، وترجمه الأزهر الزناد، وجودة مبروك[3]، وصبحي إبراهيم الفقي بالتماسك[4]، أما إلهام غزالة، وتمام حسان[5]، وعلي خليل حمدي[6] فقد ترجمه إلى التضام، وترجمه سعيد حسن بحيري إلى الربط النحوي، وذهب كل من سعد مصلوح ومحمد العبد إلى ترجمته بالسبك في حين ترجمه تمام حسان بالالتحام[7].

ومما لا شك فيه أن هذا التعدد الحاصل في ترجمة مصطلح الاتساق لم يكن من قبيل العبث، إذ لكل باحث أسباب وأدلة وحيثيات فيما يتعلق باختيار المصطلح المناسب، فالالتحام مثلا مستعار من مؤلفات الأدب، والربط عنصر نحوي مستعمل بشكل واسع في المؤلفات النحوية[8]، بينما السبك أكثر شيوعا في أدبيات النقد القديم، إذ يمكن توضيح هذا المعنى بالرجوع إلى الواقدي والبغوي عند العرب، حيث نجد أنهم استعملوا مصطلح السبك للإشادة بالشعر متلاحم الأجزاء[9].

وتجاوزا لهذا الاختلاف الاصطلاحي استخدم البحث مصطلح الاتساق لكون معانيه في العربية تدور حول الجمع والانضمام وهو ما توحي به دلالة المصطلح، وما يوجب به استعماله أيضا، ولكونه أيضا أكثر تداولا في البحوث المتعلقة بلسانيات الخطاب ولسانيات النص.

---

[1] ينظر: يسري نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، (1436هـ/ 2014م)، ص38.

[2] ينظر: أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2 (1430هـ/2009م)، ص83.

[3] ينظر: يسري نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية، ص38.

[4] ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص93.

[5] ينظر: أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة (دط)، 2008م، ص141.

[6] ينظر: يسري نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية، ص38.

[7] ينظر: أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، ص140.

[8] ينظر: المرجع نفسه، ص140-141.

[9] ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات، ص77.

اصطلاحا:

يعد الاتساق النصي موضوعا أساسيا في اللسانيات الحديثة التي أخذت على عاتقها في سبيل النشأة والتطور، الانتقال من دراسة الجملة كوحدة لغوية كبرى، إلى دراسة النص بعده ممثلا شرعيا للغة، فالاتساق أحد المفاهيم الأساسية التي لم تخل منه الدراسات اللسانية الحديثة ولا الدراسات العربية القديمة، بحيث إننا نجد لهذا المصطلح إشارات موجزة ذكرها البلاغيون والمفسرون وغيرهم في حديثهم عن جوانب مرتبطة بالنص وترابطه، في ثنايا كتبهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وهي "نظرات لا تقل أهمية وخصوبة عما قدمه الغربيون"[1] في هذا المجال.

نظرة العرب القدامى للاتساق:

الناظر في تراثنا اللغوي العربي القديم، من أجل استجلاء الإسهامات المقترحة في ميدان الترابط النصي، يجد إشارات قيمة بهذا الخصوص، لا تقل أهمية وخصوبة عن ما قدمه النصيون في العصر الحديث، إذ "يعد الربط بين القديم والحديث منهجا قويما لدراسة الفكر الإنساني عامة، والفكر اللغوي خاصة، ولذا فقد قامت دراسات كثيرة في العصر الحديث على إنتاج القدماء[2]" كما أن "إغفال أربعة عشر قرنا من العمل الجاد في مجالي البلاغة والتفسير، ثم في مجال اللغة، يعد أمرا غاية في الخطورة، ومن ثم فإننا نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام (مقام الدراسة النصية- يعني إهدار أربعة عشر قرنا من النتاج اللساني المتميز، الذي هو إنجاز قوم من أعلم الناس بفقه العربية، وأسرار تركيبها، وذخائر تراثها، فلن يتحقق طموح في نظرية علمية دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث[3]".

ولقد وردت في كتب المفسرين واللغويين والنحويين العديد من الإشارات النصية المهمة، التي تؤكد إدراكهم للوحدة النصية وأهميتها، مثل: التآخذ والاتساق وجودة السبك والتضام وغيرها من الإشارات النصية.

---

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، ص95.

[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص83.

[3] المرجع السابق، ص83.

ولا جرم أن الناظر والمتأمل في التراث العربي يلحظ أن البلاغيين "لم يكونوا بمنأى عن تلك الظواهر النصية سواء أكان على مستوى تنظيراتهم وقواعدهم البلاغية، أم على مستوى تطبيقاتهم على النصوص بمختلف أشكالها[1]" ومن بينهم:

عبد القاهر الجرجاني (471هـ) صاحب "نظرية النظم" التي تعد خير شاهد على حضور التفكير النصي في أذهان البلاغيين، وتعاطيهم مصطلحات ومفاهيم في عمق الدراسة النصية.

ويعد الجرجاني من الذين قدموا إسهاما علميا ناضجا في مجال التنظير والتطبيق في كتابه "دلائل الإعجاز" وتبرز قيمته في أنه جمع بين علوم كثيرة وألف بينها في تناغم عجيب واتخذ منها أدوات معرفية متضافرة لتحقيق هدف واحد هو خدمة النص القرآني وإعجازه.

وقد كانت فكرة الاتساق النصي واضحة في ذهن عبد القاهر الجرجاني وضوحا بارزا في نصوصه إذ يقول: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نَظْمَ في الْكَلِمِ ولا ترتيبَ، حتى يُعلَّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس، وإذا كان كذلك، فَبِنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب في صاحبتها ما معناه وما محصوله"[2].

فالجرجاني هنا يذهب إلى اعتبار مفردات اللغة لا تمثل إلا ناحية جامدة وهامدة، فإذا أنظمت ورتبت ترتيبا معينا سرت فيها الحياة وعبَّرت عن مكنون الفكر وما يدور في الأذهان، وليست اللغة في حقيقة أمرها إلا نظاما من الكلمات التي ارتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا تحتمه القوانين والأدوات اللغوية [3] والتي من بينها الاتساق وآلياته.

ويشرح في نص آخر معنى الاتساق بصورة أوضح فيقول: "واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك، في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في

---

[1] خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، (1430هـ/2009م) ص37.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: أبو فهر محمود ومحمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د(ط، ت)، ص55.

[3] ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط3، 1966، ص279.

بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحداً، وأن يكون حالك فيها الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك...[1]".

والظاهر أن الجرجاني يشرح الاتساق بصورة تكاد تكون أقرب إلى مفهومه عند علماء لسانيات النص، بل تكاد تكون أوضح من شرحها في العصر الحديث.

ويؤكد الجرجاني على قضية الاتساق وذلك من خلال نظرته إلى القرآن الكريم نظرة كلية إذ عده نصا واحدا انطلاقا من إجابته عن سؤال: ما الذي أعجز العرب من النص القرآني؟ فأجاب قائلا: "تأملوه سورة سورة وعشراً عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك وأشبه، وأحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما، وإتقانا وإحكاما...[2]".

فنستنتج من هذا القول أن مصطلح الاتساق كان حاضراً عند الجرجاني من خلال قوله "وجدواْ اتساقاً بهر العقول" بغض النظر عن ملامح مفهومه، إضافة إلى أنه ذكر أموراً أخرى تتعلق بالتحليل النصي وفق ما تراه اللسانيات النصية الحديثة ألا وهي تلك النظرة إلى النص نظرة كلية باعتباره الوحدة الكبرى في التحليل.

وقد أورد الجرجاني أيضا مفاهيم تكاد تتفق مع ما جاء في اللسانيات النصية ومن بينها التضام وذلك عند حديثه عن الكلمة لا تكون مفيدة "وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضمّ كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة... وقالوا ((لفظة مُتَمكِّنة، ومقبولة))، وفي خلافه: ((قَلِقَةٌ ونابيةٌ ومُسْتَكْرَهةٌ))، إلا وغرضهم أن يعبّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقَلَق والنُّبُوّ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفْقاً للتَّالية في مُؤدَّاها[3]".

فالجرجاني في هذا النص يشير إلى أحد آليات الاتساق النصي وهو التضام.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص93.

[2] نفس المصدر، ص39.

[3] نفس المصدر، ص44-45.

ثم يواصل الجرجاني مُلِحّاً على قضية تماسك النصوص وتلاحمها وذلك من خلال ذكره لآيات قرآنية وتحليلها بتحليل يقترب كثيراً من التحليل النصي إذ يقول: "وهل تَشُكُّ إذا فَكَّرْتَ في قوله تعالى: "﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ **هود** : **44**، فتجلَّى لك منها الإعجاز... لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، أن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت –أي التقت– الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة؟... وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها... ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة بقيل في الفاتحة... وما بين الألفاظ من الاتساق العجيب..."[1].

والمتأمل جيدا فيما ذهب إليه الجرجاني يدرك أنه يتحدث عن التكرار وكيف يساهم في ربط أجزاء الآية ببعضها، وهذا نوع من الاتساق المعجمي.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن عبد القاهر الجرجاني أشار في كتابه دلائل "الإعجاز" إلى مجموعة من المبادئ وذلك من خلال قراءته لنصوص شعرية كانت أم نثرية، وهي لا تنفصل كثيراً عما يمارسه علماء النصية اليوم ومنها:

- أهمية التماسك في النص على المستوى الأفقي أو ما يعرف اليوم بالاتساق.
- لا يمكن إغفال جزء من أجزاء النص عند معالجة غيره بل هو أجزاء لا تُعرف إلا بِالْكُلِّ الذي يجمعها.
- اتِّسام النص بالتماسك في أجزائه جميعها، إذ لا فرق هنا بين عمدة وفضلة فالكلُّ يسهم في صياغة الرسالة[2].

وإذا كان هذا شأن عَلَمٍ من أعلامِ البلاغة، فإن علماء النقد قد كان لهم باعٌ طويلٌ في التحليل النَّصي.

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج1، ص84.

[2] ينظر: خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني، ص37، 38.

فالنقاد العرب لم يكونوا "بِمَنْأَى عن تلك المبادئ والنظرات في نحو النص إذ كانت حاضرة في ممارستهم النقدية، فهم على كل حال يعتمدون علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة، أدوات تعينهم في اختبار نتاجات الأدباء والشعراء الذين يضعونهم في ميزان النقد"[1].

فالرجوع إلى التراث النقدي عند العرب نجد النقاد عند إشادتهم بالشعر استخدموا كلمة (السَّبْكِ)، كما أنهم في استخدامهم هذا كثيراً ما يذكرون تلميحاً حيناً وصراحةً أحياناً صفة الاستمرارية أو الاِطِّرَادِ التي تميز الشِّعر أو غيره.[2]

ويمكن أن نستشهد في هذا المقام بحديث الجاحظ (ت 225هـ) حين قال مبرزاً قيمة تماسك النص وَاتِّسَاقِهِ: "أما قول خَلَف وبعض قريض القوم أولاد عَلَّة فإنه يقول: إذا كان الشِّعْرُ مُستَكْرَهاً، وكانت ألفاظ البيت من الشِّعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض، كان بينهما من التنافر ما بين أولاد العَلاَّت، وإذا كانت الكلمة ليس موقعُها إلى جنب أختها مَرْضِياً موافقا كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشِّعر مؤونة، وأجود الشِّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فيعلمُ لذلك أن أُفرِغ إفراغاً واحداً وَسُبِكَ سَبْكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان".[3]

فَالشِّعْرُ الْجَيِّد –كما يرى الجاحظ– هو الذي يجري على اللسان دون نبو، فهو عَذْبٌ سَلِسُ الوَقْعِ، متماسكُ الأجزاء لا انفصال بين أجزائه وبالتالي فهو سَهْلٌ على اللسان وذلك لِتَنَاسُقِهِ.

وذكر الجاحظ أيضا ما يدل على اهتمام النُّقَّادِ العرب بعملية الاتساق فقال: "ورأيت عامتهم (يقصد عامة رواة الأخبار) –فقد طالت مشاهدتي لهم– لا يقفون على الألفاظ المتَخَيّرَةِ، والمعاني المنتَخَبَةِ، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السَّهْلة، والديباجة الكريمة، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء وَرَوْنَقٌ..."[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص41–42.

[2] ينظر: جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، ص77.

[3] الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7 (1418هـ/1998م)، ج1 ص67.

[4] المصدر نفسه، ج4 ص24.

فَالسَّبْكُ عند الجاحظ هو عملية ترتيب الألفاظ في النص، وربط بعضها ببعض، ربْطاً مُلْزماً، حتى لا يستطيع أن يَنْقُلَ لفظاً من موضعٍ إلى آخر وإلا يختلُّ المعنى، فيخرج النَّصُ من الجودة إلى الرَّداءة، ومن القوة والرَّصَانة إلى الرَّكَاكَة.

وقد ورد مفهوم الاتساق أيضا عند أبي هلال العسكري (ت395هـ) في "كتابه الصناعتين" ويتجسَّدُ ذلك في قوله: "وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا ومع سوء التأليف ورداءة الرَّصْفِ والتركيب شعبة من التعمية، فإذا كان المعنى سبيا، ووصف الكلام رديا لم يوجد له قبول، ولم تظهر عليه طلاوة، وإذا كان المعنى وسطا، ووصف الكلام جيدا كان أحسن موقعا، وأطيب مستمعا، فهو العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعا في المرأى...، وإن اختل نظمه فضُمَّت الحبة منه إلى مالا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقا ثمينا".[1]

يبرز أبو هلال العسكري في كلامه هذا كيفية ترابط الألفاظ ورصف الكلام بمختلف أجناسه ويشبّه هذه العملية بالعقد الذي تُنظَم حباته بعضها إلى بعض مُشكِّلة بذلك حلقة تسعد الناظر إليها.

ويقول في موضع آخر معقبا على أبيات النمر بن تولب[2]

لعمري لقد أَنكرتُ نفسي ورَابَني مع الشِّيبِ أبدالي التي أتبدلُ
فضُولٌ أَرَاها في أَدِيمي بَعْدَ مَا يكونُ كَفَافَ اللَّحمِ أو هو أَفضلُ

قائلا: "فهذه الأبيات جَيِّدَةُ السَّبْكِ حسنة الرَّصْفِ"[3]، وفي هذا القول إشارة واضحة إلى مصطلح الاتساق أو ما يُعْرَفُ بالسَّبْكِ في البلاغة.

---

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين –الكتابة والشعر– تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ 1952م، ص161.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص168.

[3] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص169.

ويذهب ابن الأثير (ت637هـ) أيضا إلى الحديث عن ظاهرة السَّبْكِ أو الاتساق وذلك في كتابه "المَثَلُ السَّائر" عند حديثه عن الصِّناعة اللفظية فيقول "ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يُفَرَّقُ بينهما في مواضع السَّبْكِ".[1]

ويواصل كلامه مستشهداً على ذلك بقوله تعالى: ﴿**مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ﴾ **الأحزاب: 4**، وبقوله تعالى: ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا** ﴾ **آل عمران: 35**، ثم يتبع ذلك بالشرح فيقول: "فاستعمل الجوف في الأول والبطن في الثانية، ولم يستعمل الجوف موضع البطن، ولا البطن موضع الجوف، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضا، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل".[2]

أما فيما يتعلق بحضور هذه الظاهرة في كتابات المفسرين وكتب علوم القرآن الكريم فهي جلية وواضحة، "فقد شُغل العلماء بوحدة النص القرآني وتماسكه، وذلك رغم نزوله متفرقا حسب الحوادث والمناسبات، ومن ثم أخذوا يبحثون عن أسباب هذا التماسك وتلك الوحدة، هذا وقد أشار كثير من العلماء المهتمين بعلوم القرآن وكذا علماء التفسير، أمثال السيوطي، والزمخشري وفخر الدين الرازي والطاهر بن عاشور إلى كيفية ترابط آيات النص القرآني وجمله عبر علاقات نصية أفرزها النص نفسه رغم انتفاء الجهة الجامعة أو ما يسمى بالاختلاف في الغرض".[3]

إذ نجد لديهم من المصطلحات ما يؤكد الوعي التام بمعنى الترابط والاتساق في النص القرآني، وذلك من خلال تعليقهم على الآيات أثناء تفسيرها.

فهذا الزمخشري (ت538هـ) يتكلم عن الروابط الاتساقية التي تمسك آي القرآن وتزيد من ترابطها، وذلك في معرض تفسيره للآيات، نحو حديثه عن "الإحالة بالإشارة في قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ**

---

[1] ابن الأثير، المثل السائر، في أدب الكتاب والشاعر، تع: أحمد الحوفي وبدوى طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، ط2، (د ت)، ج1، ص164.

[2] المصدر السابق، ج1، ص164.

[3] أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، (1435هـ/2014م)ص38

عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **المائدة:3** حيث فسر الزمخشري الإشارة في "ذلكم فسق" بأنها تعود إلى الاستقسام أو تناول ما حرم عليهم، لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا".[1]

فالزمخشري هنا ذكر الإحالة بالإشارة والتي تعد أحد آليات الاتساق من منظور اللسانيات النصية.

ومن الروابط الاتساقية التي وردت أيضا عند الزمخشري في تفسيره "عطف التناسب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَٰنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ(6)** ﴾ **الرحمان**.[2]

ويعلق الزمخشري على العطف في هاته الآية بقوله: "فإن قلت أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت إن الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيليين تناسب من حيث التقابل...".[3]

أما الطاهر بن عاشور فقد أبرز أهمية التكرار في ربط أجزاء الخطاب بعضها ببعض وذلك من خلال: تفسيره لقوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ **البقرة**: **47**.

---

[1] المرجع السابق، ص69.

[2] أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص68.

[3] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف (عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط1، (1430هـ/ 2009م)، ص1069.

قائلا: "أعيد خطاب بني إسرائيل بطريق النداء مماثلا لما وقع في خطابهم الأول لقصد التكرير للاهتمام بهذا الخطاب وما يترتب عليه... فللتكرير هنا نكتة جمع الكلامين بعد تفريقهما ونكتة التعداد لما فيه إجمال معنى النعمة".[1]

ويعلّق محمد خطابي على قول الطاهر بن عاشور بقوله: "إن في هذا تنصيصا على الوظيفة المزدوجة التي يقوم بها التكرير وهي الربط أولا (الجمع بين الكلامين) والثانية الوظيفة التداولية المعبر عنها هنا بالاهتمام بالخطاب، أي لفت أسماع المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها، ينضاف إلى هذا أن افتتاح الخطاب على هذا النحو الإجمالي يمنح إمكانية التفصيل نعمة نعمة".[2]

ومن الروابط الاتساقية التي وردت أيضا في تفسير ابن عاشور الإحالة باسم الإشارة، نحو قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ **البقرة: 76**.

حيث فسر اسم الإشارة "ذلك" الوارد في هذه الآية على أنه جيء به لربط الكلام اللاَّحِق بالسَّابق.[3]

وقد عد محمد خطابي تفسير ابن عاشور لهذه الآية على أنه إشارة صريحة إلى وظيفة الإشارة من حيث تماسك الخطاب إلى درجة أن القارئ يفهم من هذا التفسير أن اسم الإشارة من هذا النوع وتحديدا الذي تفتتح به آية ما، مفصولة عن آيات سابقة ترتبط بها، تنحصر مهمته أساسا في ربط كلام بكلام.[4]

إن المتأمل فيما سبق ذكره يلحظ بوضوح عناية المفسرين بالكثير من الظواهر النصية، "ولم يكن الأمر مقصورا على الزمخشري وابن عاشور في الوعي بأهمية النظر إلى النص القرآني نظرة شاملة،

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (د ط)، 1984م، ص 482-483

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص179.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص177.

[4] ينظر: محمد خطابي، ص178.

بل إن معظم المفسرين أدركوا ذلك الأمر فأكدوا التماسك في مستوياته المختلفة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)".[1]

ومما سبق "يمكن أن نقول إن ما عناه علماؤنا في التراث العربي كان يمثل اتجاها مبكرا نحو تأسيس علم بناء النص، بناء محكما بما يتوافق مع الدلالة المطلوبة تحقيقها في النص، أما نظرية (نحو النص) في الدراسات الحديثة فهي تعمل في الاتجاه المعاكس حيث تتجه نحو تحليل النصوص لمعرفة الكيفية التي تم بها تكوين النصوص وقوانين بنائها، وعناصر تميز بعضها من بعض".[2]

ولا نغفل عن السيوطي الذي تحدث عن علم المناسبة في مناسبة الآيات والسور الروابط التي تجمع آيات القرآن "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة مُتَّسِقَةَ المعاني، مُنتَظَمَةَ المباني...وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.[3]

ومن هنا نجد أن للاتساق لمحات وإشارات موجزة في كتب البلاغين والمفسرين واللغويين والنحويين في إطار حديثهم عن الكثير من الجوانب في مجال اختصاصهم فالنظم هو الوجه البدائي للاتساق فهو "أن تتحد أجزاء الكلام بعضها في بعض، ويشكل ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج إلى وضعها في النفس وضعا واحدا، فالكلام أو الجملة الواحدة متماسكة العناصر لها نظامها وعلاقاتها الداخلية، ولها توزع وتعدد ونظم مدلولي تام".[4]

---

[1] خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص40.

[2] أحمد عزَّت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن، ص73.

[3] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، تع: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1(1429هـ/2008م)، ص630-631.

[4] المنصف عاشور، التركيب عند المقفع في مقدمات كتاب كليلة ودمنة، (دراسة إحصائية وصفية)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص13.

لا يكاد يبتعد المفهوم الاصطلاحي للاتساق عن معانيه اللغوية رغم أن الباحثين العرب لم يتفقوا حول مصطلح واحد مقابل للمصطلح الأجنبي Cohesion بل استعملوا مصطلحات متعددة ومختلفة وذلك ما سيوضحه الجدول التالي: [1]

المقال العربي	الباحث	الموضوع
الاتساق	د. محمد خطابي	لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص11
الانسجام	د. أحمد مداس	لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب ص83
الترابط	خولة الإبراهيمي	مبادئ في اللسانيات ص192
	د. محمد الشاوش	أصول تحليل الخطاب ص1-20
الترابط القواعدي	د. موفق محمد جواد	أسس لسانيات النص ص101
التضام	الهام أبو غزالة	مدخل إلى علم لغة النص ص11
التماسك	د الأزهر الزناد	نسيج النص ص15
	د. صبحي إبراهيم الفقي	علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ص1-93
	د. فالح بن شيب	مدخل إلى علم لغة النصي ص93
التناسق	بشير إبرير	من لسانيات الجملة إلى علم النص ص23
الربط	نوال لخلف	الانسجام في القرآن الكريم ص10
الربط اللفظي	د. عزه شيل محمد	علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق ص99
الربط النحوي	د. سعيد حسن بحيري	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ص145.
السبك	د. احمد عفيف	نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ص75.
	د. تمام حسين	النص والخطاب والإجراء ص103

[1] أحمد حسين، حبال السبك النصي في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في سزرة الأنعام، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرة، العراق، 2011، ص47.

	د. جميل عبد المجيد	البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ص181
	د. سعد مصلوح	نحو اجرومية للنص الشعري ص154

ومما هو ملاحظ أن المصطلحات التي استخدمها الباحثون متنوعة ومختلفة بتنوعهم واختلافهم ولقد ارتأينا أن مصطلح الاتساق هو الأنسب لدراستنا لشيوعه في الدراسات النصية المعاصرة.

فمصطلح الاتساق يحمل الدلالة الكلية لمفهومه إذ يرى كل من هاليداي ورقية حسن أنه "مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدده كنص"[1] إلا أن مفهوم الاتساق لا يقتصر على الجانب الدلالي فحسب وهذا ما أكد عليه محمد خطابي فيعرفه بأنه: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته."[2] فهو بهذا لا يتم على مستوى واحد بل يشمل جميع المستويات ولكن بدرجات متفاوتة حيث تنتقل المعاني من النظام الدلالي إلى مفردات في النظام النحوي ثم المعجمي وصولا إلى النظام الصوتي والكتابة.

ووصلا لجهد ابتدأه تراثنا العربي القديم مبكرا حول ظاهرة الترابط والاتساق النصي واستخداماتها ننتقل إلى الحديث عن جهود بعض الدارسين المحدثين لهذه الظاهرة.

[1] شريفة بلحوت، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب" Cohension in English" رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2005م/2006م، ص75.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، "مدخل إلى انسجام الخطاب، ص05.

الاتساق في اللسانيات النصية:

تنطلق اللسانيات النصية من فكرة أن النص يتصف بالاطراد والاستمرارية وهي صفة تعني التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص، وهذه الاستمرارية تتجسد أساسا في ظاهر النص أو على المستوى الأفقي.

فالاتساق من الموضوعات المهمة التي عنيت بها لسانيات النص، وهو أحد المعايير السبعة التي اقترحها دي بوجراند، ولأهميته البالغة نال حيزاً واسعاً في الدراسات النصية، وذلك لكثرة دورانه في النصوص، إذ لا يكاد يخلو أي نص منه، فهو يتآزر مع مجموعة من الأنظمة النَّصية الأخرى للوصول إلى ما يطلق عليه بالنَّصية.

وقد عرفه دي بوجراند بقوله: هو ما "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق "[1]، أي العلاقات الشكلية التي تُسْهِمُ في ربط النص.

يُعَدُّ كتابُ الاتساق في الإنجليزية (Cohésion English) للباحثين هاليداي Halliday ورقية حسن (Rokaiya Hassan) من أهم الأعمال التي عالجت مسألة الاتساق بصفة شاملة ومفصَّلة، حيث ورد الاتساق عندهما على أنه "مفهوم دلالي، إنه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص".[2]

ويُعَلِّقُ الباحث محمد خطابي على ذلك بقوله: "إن الاتساق لا يتم في المستوى الدلالي فحسب، وإنما يتم أيضا في مستويات أخرى كالنحو والمعجم، وهذا مرتبط بتصور الباحثين للغة كنظام ذي ثلاثة أبعاد/مستويات: الدلالة (المعاني)، والنحو- المعجم (الأشكال)، والصوت والكتابة (التعبير)...".[3]

[1] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، (1418هـ/1998م) ص103.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص15.

فالاتساق من منظور الباحثين "هاليداي" و"رقية حسن" ليس مجرد خاصية ترتبط بالبنية السطحية في مستوياتها النحوية المعجمية فحسب، بل هو خلق دلالي، ناتج عن عمل نحوي بشكل واسع.

وفي مقابل هذا الطرح يذهب كريستال (Crystal) إلى جعل الاتساق "متصلا بِالْبِنْيَةِ السَّطحية الشَّكلية للنص"[1]، أمَّا كارتر (Carter) فيعرّفه بقوله: "يبدو لنا الاتساق ناتجاً عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية أما المعطيات غير اللسانية (مقاميه، تداولية) فلا تدخل إطلاقا في تحديده".[2]

والواضح أن الباحثين "كريستال" و"كارتر" يربطان الاتساق بالجانب الشكلي والذي يحدث على المستوى الأفقي للنص عكس ما ذهب إليه "هاليداي" و"رقية حسن".

ولقد كان للاتساق ووسائله حيز كبير في حقل الدراسات العربية المعاصرة وذلك لأهميته البارزة، إذ يعرفه محمد خطابي على أنه "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[3] وهو عند محمد الشاوش "مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها البعض".[4]

أما سعد مصلوح فقد عبر عن مصطلح الاتساق بمصطلح مغاير وهو السبك، ورأى بأنه يرتبط بالوسائل التي تحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص، أي الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها كما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض وفقا للمباني النحوية، ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو

---

[1] ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم النصي بين النظرية والتطبيق، ج1ص94.

[2] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1(1429هـ/2009م)، ص81.

[3] محمد خطابي لسانيات النص، ص5.

[4] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، (1421هـ/ 2001م)، ج1، ص124.

الاعتماد النحوي، ويتحقق في شبكة متداخلة من الأنواع هي: الجملة، فيما بين الجمل، في الفقرة أو المقطوعة، فيما بين الفقرات أو المقطوعات، في جملة النص.[1]

فالاتساق عنده يتحقق من خلال الوسائل النحوية التي تتوزع على سطح النص وتربط بين أجزائه فتضمن له خاصية الاستمرارية.

وفي مقابل هذا يرى "صبحي إبراهيم الفقي" أن مصطلح الاتساق (Cohésion) يقصد به التماسك، "الذي يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى".[2]

ويتضح من ذلك أن الباحث يرى أن الاتساق أو كما سماه بالتماسك قسمين: تماسك شكلي وتماسك دلالي، ومن هنا يتبين أن إبراهيم الفقي قد جمع بين مصطلحي الاتساق والانسجام تحت مصطلح واحد هو الاتساق (Cohésion) والذي أطلق عليه تسمية التماسك.

أما أحمد عفيفي فيرى أن "الاتساق يعني تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة، ولا يحده شيء ولعل تحقيق ذلك أمر بالغ الصعوبة –كما يقول الدكتور علي أبو المكارم– إذ الاتساق على هذا المستوى يتطلب قدرة على النظر الشامل، ويستلزم دقة في تلمس العلاقات المتشابكة، ويحتاج إلى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة".[3]

وانطلاقا من ذلك لابد على المحلل عند وصفه اتساق خطاب/نص ما، أن يسلك طريقة خطية، متدرجا من بداية النص حتى نهايته راصدا أدوات الاتساق المختلفة، الضمائر والإشارات

[1] ينظر: سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، الكويت، ط1، 2003م، ص227.

[2] ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص56

[3] أحمد عفيف، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص96.

المحيلة إحالة قبلية أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف والاستبدال والحذف وهلم جرا وذلك لأجل البرهنة على أن النص يشكل كلا متآخذا.[1]

آليات الاتساق النصي:

لقد اختلف معظم اللسانيين في عد آليات الاتساق النصي فنجد **أحمد عفيفي يقول**: "إن المتأمل للغة يراها صورة من نظام متشابك، تتوقف صلاحية هذا النظام على تكافل أركانه للوصول إلى كيفية تفيد المتلقي حيث تتكافل الأنظمة الخارجية للوصول إلى صورة ترتبط فيها المفاهيم وتتعالق الأجزاء وتتواصل الدلالة في تفاعل ومنطقية، ولهذا ينبغي... توضيح صور هذا الترابط الذي يصل بالمتلقي إلى هدفه...وفيما يلي نقدم حصرا لوسائل الترابط النصي Cohesion وهي: إعادة اللفظ، التعريف، التضام، الإحالة، الاستبدال، الحذف، الربط الرَّصْفي."[2]

فلم تخل وسائل الاتساق من التعدد، وذلك لاختلاف العينات الإجرائية التي اعتمد عليها علماء النص، ولعل أهمها وأبرزها، ما ذكره هاليداي ورقية حسن من أن للاتساق خمس وسائل أساسية لبيان طرائق ترابط الجمل داخل النص، إذ أن الاتساق أشهر معيار من معايير لسانيات النص التي تعمل خارج حدود الجملة، وإنها تسمح للبنية السطحية أن تتخلص وتترابط من دون الحاجة إلى إعادة ذكر كل شيء في النص[3]، إذ بهذه الوسائل يتم بيان كيفية ترابط "الجمل على اعتبار أن بعض العناصر في جملة ما لا يمكن فهمها دون الرجوع إلى جملة أخرى، هذه المصادر هي الربط المعجمي، وأدوات الوصل، والإحالة، والاستبدال، والحذف".[4]

---

[1] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص5.

[2] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص102-103.

[3] عزة شبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2 (1430هـ/2009م)، ص104.

[4] ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م، ص261.

الانسجام لغة:

ورد في مقاييس اللغة أن المادة (س ج م) (السين والجيم والميم أصل واحد، وهو صَبُّ الشَّيْءِ مِنَ الماءِ والدَّمْعِ، ويُقَالُ سَجَمَتِ العَيْنُ دَمْعَهَا)[1]، أما في لسان العرب فإن المادة (س ج م) تدل على عدة معان أهمها: (سَجَمَ: سَجَمَتِ العَيْنُ الدَّمْعَ وَالسَّحَابَةُ المِاءَ تَسْجِمُهُ وَتَسْجُمُهُ سَجْماً وَسُجُوماً وَسَجَمَاناً: وَهُوَ قَطَرَانُ الدَّمْعِ وَسَيَلانُهُ، قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً، وَذَلِكَ السَّاجِمُ مِنَ المِطَرِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ دَمْعٌ سَاجِمٌ، وَدَمْعٌ مَسْجُومٌ: سَجَمَتْهُ العَيْنُ سَجْماً، وَقَدْ أَسْجَمَهُ وَسَجَّمَهُ..)[2]، والمتتبع لهذه المادة في جل القواميس العربية القديمة يجد أنها ارتبطت بمفاهيم أهمها القَطَرَانُ والانْصِبابُ والسَّيلاَنُ.

بينما في كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، وجدنا دلالة الانسجام تأخذ مسار المفهوم الاصطلاحي وتبتعد عن المفهوم اللغوي القديم، فالانسجام فيه (هو أن يكون الكلام لِخُلُوِّهِ من العِقادة متحدِّرا كتحدُّرِ الماءِ الْمُنسَجِمِ لسهولته وعذوبةِ ألفاظه وعدم تكلُّفِه ليكون له في القلوب موقعٌ وفي النفوس تأثيرٌ..)[3].

اصطلاحا:

وأما مفهوم الانسجام أو ما يسمى كذلك بالتماسك الدلالي أو المعنوي Cohérence فهناك من نظر إلى هذه الظاهرة نظرة شمولية في انتشارها وتداولها بين مختلف الحقول المعرفية وعده (مفهوما انطولوجيا يحضر في مختلف الظواهر والمجالات، إن مباشرة وإن إضمارا)[4]، بينما أعتبره بعض الدارسين على أنه (أقرب إلى تلك الروابط التضمنية... ويتصل هذا النوع بالنحو الدلالي الذي يهتم بكيفية

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص137.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (س ج م)، مج 3، ص183.

[3] أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، (1414هـ/1998م)، ص196.

[4] جمال بن دحمان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب والانسجام، ط1، 2009م، ص16.

ارتباط مفاهيم)[1]، وأفكار وتصورات وقضايا بهدف إيجاد بنية دلالية كلية للنص، هذا يعني أن آلية الانسجام تهتم بالمضمون الدلالي في النص، وطرق الترابط الدلالية بين أفكار النص من جهة، وبينها وبين معرفة العالم الخارجي من جهة أخرى، والانسجام بهذا المعنى هو: (مكون من مكونات التواصل البشري لأن هذا التواصل لا يمكن أن يتم إلا وفق ما يحمل من دلالة ومعنى)[2]، ولهذه الجهة الأخيرة أهمية قصوى إلى الدرجة التي تجعل بعض اللغويين يحددون التماسك الدلالي وهو مصطلح التناغم عند جورج يول بأنه: (شيء موجود في الناس لا في اللغة، فالناس هم الذين يحددون معنى ما يقرؤون وما يسمعون، فهم يحاولون الوصول لتفسير ينسجم مع خبرتهم بالكون)[3] ولكن الأمر الأهم في التماسك الدلالي هو الوحدة الموضوعية، أو ما يطلق عليه فان ديك (البنية الكبرى الدلالية)[4] وما يتعلق بها من بنى دلالية صغرى في النص، وكذلك البنية العليا التي لها ارتباط قوي بالبنية النصية الكبرى، ومهما يكن من أمر فإنه لابد لكل نص من أن يتوافر فيه شرط التماسك الدلالي كي يمكن وصفه بالنصية، بل إن مقاربة هذا التماسك هي الخطوة الأهم في تحليل النص: ذلك أن التماسك الشكلي بروابطه المتعددة لا يمكن أن يكفي وحده، ولا يمكن أن يشكل تماسكا، أو وحدة في الخطاب/النص، إلا إذا كان متواشجا مع الانسجام، وذلك يعود إلى انسجام النص ولهذا لا يمكن اعتباره عنصرا ترتيبيا يمكن مفصلته في جزء معين أو محدد من النص ولكنه يتوزع على كامل مساحته ويعمل على تدعيم العلاقة بين متخيل النص والنص المنجز [5]

وانطلاقا من هذا التحديد فإن الانسجام ظاهرة تأويلية ديناميكية يتعلق بالعوالم الدلالية والسياقية والتداولية من الفهم المعرفي، تتمازج فيها أنواع عديدة من المعارف الذاتية، بحيث يكون

---

[1] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص103.

[2] جمال بن دحمان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب والانسجام، ص17.

[3] جورج يول، معرفة اللغة، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1: 2000م، ص146.

[4] منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ص159.

[5] – سعيد حسن بحيري، نظرية النص، منشورات الاختلاف، ط1، 2007م، ص49.

القارئ حينئذ المرتكز الأساس الذي يعتمد عليه في تحديد الانسجام النصي من خلال فعل القراءة الواعية المراعية للآليات الانسجام..

كل ذلك يدعونا إلى القول أن الانسجام عند فان ديك يعني (المنطق الداخلي الذي يحكم الوحدات ويضمن اتساقها)[1] وبخلاف ذلك نجده قد بين أن الاتساق يكمن في الأبنية النحوية الصغرى وهي أبنية تظهر على مستوى سطح النص (تربط بينها علاقات نحوية)[2]، ولعلنا من خلال هذا التعريف يتبين لنا أن فان ديك يرى أنَّ الاتساق أمر يتعلق بالجانب النحوي التركيبي في حين أن الانسجام يتعلق (بالمعنى العميق للنص أي دلالته)[3]، ويبدو أن التماسك الدلالي عنده إنما هو (عبارة عن خاصية سيمانطيقية للخطاب قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى)[4]، وهو بهذا يعتبر أهم من الترابط، لأن وجود الروابط (الروابط الرَّصْفِيَة/ البراغماتية) لا يدل دائما أن الجمل متماسكة ومترابطة، كما أن عدم وجودها –أي الروابط– لا ينفي عن الجمل كونها مترابطة (الروابط المفهومية/الدلالية) من حيث الاستلزام المنطقي، من سببية وتعليل، ووصل وفصل، وغيرها.

وعلى أية حال فإن (القبض على الانسجام ينجم تضافر على النحو مع علم البلاغة وتوافقهما لإيجاد نوع من الانسجام داخل النَّص[5]، كما أن العلاقة القائمة بين التماسك الدلالي والتماسك الشكلي هي ليست علاقة عادية وبسيطة يسهل على الدارس التعاطي معها دون عناء يذكر، وإنما هي علاقة متميزة متداخلة ومتشابكة في كثير من الأحيان، مما قد يؤدي عند عدم الفصل بينهما –تصورا ومفهوما– إلى اضطراب شديد في تلقي الخطاب وخلط كبير في تأويله، وما

[1] المرجع نفسه، ص50.

[2] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1: 1997م، ص119.

[3] سعيد حسن بحيري، نظرية النص، ص49.

[4] فان ديك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ص137.

[5] سعيد حسن بحيري، نظرية النص، ص50.

ننتهي إليه اعتبارا مما تقدم أن الانسجام (بنية تنظيمية ومبادئ علاقية تحدد بناء على المكونات في ذاتها أو بواسطة غيرها)[1].

ولا يستقيم النص إلا بانسجامه، ولما كان موضوع البحث الاتساق، فقد اكتفينا بإشارة خفيفة إلى آليات الانسجام.

آليات الانسجام:

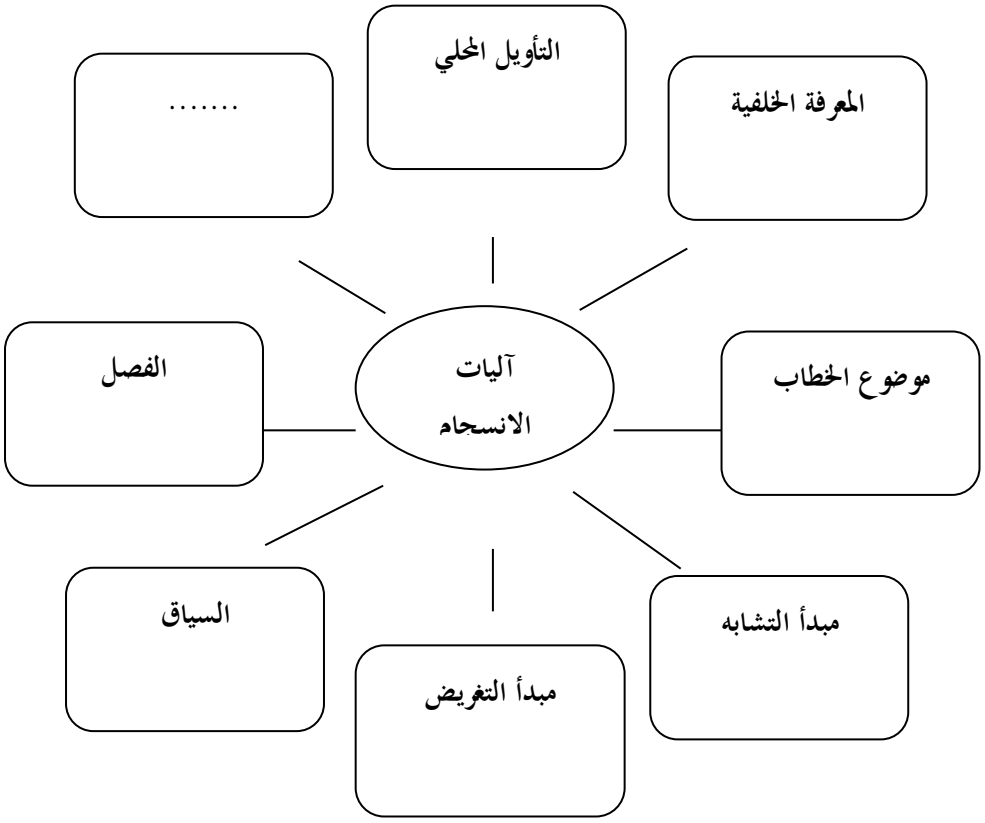

فمن خلال توضيح مفهومي الاتساق والانسجام نستطيع أن نجد الفرق بينهما.

3- الفرق بين الاتساق والانسجام:

يعد مصطلح الاتساق والانسجام من المصطلحات الأساسية التي تقوم بتحقيق التماسك النصي، ومع هذا نجد من الباحثين من فرق بينهما من جهة، ومن جهة أخرى هناك من جمع بينهما.

3-1- أوجه الاختلاف:

[1] جمال بن دحمان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب والانسجام، ص20.

ذهب "محمد خطابي" للقول: "أن الانسجام أعمُّ من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه، بحيث يتطلَّب بناء الانسجام من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن (الانسجام)[1].

أما من حيث الاستعمال –الاتساق– فقد عاد "محمود بوستة" إلى الباحث "مفتاح بن عروس" الذي أدلى بدلوه في موضوع الاتساق، حيث فضل أن يكون التفريق بين المصطلحين لغويا أولا فقال: "يقابل مصطلح الاتساق المصطلح الأجنبي Cohésion ويقابل مصطلح الانسجام المصطلح الأجنبي Cohérence"، وقد بين سبب تفريقه بين المصطلحين إذ أنه رأى بعض الباحثين قاموا بدمج المصطلحين في مصطلح واحد، وهناك من يذكر أحدهما ويريد به المصطلح الآخر، إلى درجة الخلط بينهما[2].

ويمكن التمييز بين الاتساق والانسجام، فالأول يرتبط بالروابط اللغوية التركيبية الظاهرة مثل: الضمائر، وأسماء الإشارة، وحروف العطف، والأسماء الموصولة، والتكرار...

في حين، يستند الانسجام إلى مجموعة من العمليات الضمنية الخفية التي تسعف المتلقي في قراءة النص وبناء انسجامه، مثل: التغريض، والمشابهة، والأطر، والسيناريوهات والمدونات، والتأويل، والمعرفة الخفية...، ومن هنا، فالانسجام مفهوم عام، بينما الاتساق مفهوم خاص[3].

3–2– أوجه التشابه:

إن كلا من الاتساق والانسجام وسيلة لترابط النص وتماسكه، إذ لا يعد النص نصا إلا وهو متماسك، والاتساق يحقق التماسك الشكلي الظاهر على سطح النص والانسجام يحقق التماسك الدلالي والتجريدي، وعلاقة كل منهما بالآخر هي علاقة تكامل في الدور المذكور إلا أن الانسجام

[1] محمد خطابي، لسانيات النص، ص6.

[2] محمود بوستة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة باتنة، 2008 م–2009م، ص58.

[3] جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، الألوكة، ط1، 2010م، ص76.

أهم من الاتساق، حيث أن وجوده لابد منه، فقد يغيب الاتساق ولا يضر غيابه إذا عوضه الانسجام، في حين قد يكون الاتساق ظاهرا ولا يفيد وحده.[1]

كذلك من خلال النظر إلى المصطلح الأجنبي لمفهومي الاتساق والانسجام، يمكن الربط بينهما، ولهذا يرى وصبحي إبراهيم الفقي": "بأن مصطلح 'Cohérence' يستخدم للتماسك الدلالي ومع ذلك جعل غيرهما معنى 'Cohérence' مرتبطا بالروابط الدلالية، على حين يعني مصطلح 'Cohésion' العلاقات النحوية أو المعجمية، بين العناصر المختلفة في النص وهذه العلاقة تكون بين جمل مختلفة أو أجزاء مختلفة من الجمل، وبعد هذا يضيف قائلا: "ونرى –بدلا من هذا الاختلاف– أن المصطلحين يعنيان معا التماسك النصي ومن ثمة يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما، وليكن 'Cohésion' ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقات التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى... ومن ثمة فسوف نعتمد على مصطلح 'Cohésion" بمعنى التماسك"[2]، وبهذا نلاحظ أن "صبحي إبراهيم الفقي" قد جمع بين المصطلحين الاتساق والانسجام، فوضع مصطلح يشمل معنى الاثنين والذي يتمثل في التماسك النصي.

نستخلص مما سبق أن الاتساق والانسجام ضروريان في بناء النص، فهما وجهان لعملة واحدة، إذ لا يمكن دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر، فالعلاقة بين هذين المصطلحين علاقة تكاملية، فالاثنين يحققان التماسك النصي.

[1] علي حلواجي، القواعد التعليمية للاتساق والانسجام في اللغة العربية دراسة تأسيسية، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2016م–2017م، ص52.

[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص95–96.

مفهوم التضام:

لغة: التضام مصدر من الفعل "ضمم"، وجاء في كتاب العين: "الضَّمُّ ضَمُّكَ الشيء إلى الشَّيءِ وَضَامَمْتُ فُلاَناً أَيْ قُمْتُ مَعَهُ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ"[1]، وَمِنْهُ الضِّمَامُ: كُلُّ شَيْءٍ يُضَمُّ بِهِ شَيْءٌ إِلَى شيْءٍ.

وَالإِضْمَامَةُ: الجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، ومن معاني الضَّمّ الاِشْتِمَال، تقول: تَضَامَّ الْقَوْمُ إِذَا انْضَمَّ بَعْضُهُم إلى بَعْضٍ، وَاضْطَمَّتْ عَلَيْهِ الضُّلُوعُ أَيْ: اشْتَمَلَتْ[2].

وقد أرجع ابن فارس اجتماع "الضَّادِ" وَ"الميمِ" إِلَى أَصْلٍ وِاحدٍ يَدُلُّ عَلَى التَّلاَؤُمِ بَيْنَ الشَّيئَينِ، يُقَالُ: هَذِهِ إِضْمَامَةٌ مِنْ خَيْلٍ أَيْ: جَمَاعَةٌ[3].

نلاحظ أن المعاني اللغوية التي حملتها المادة المعجمية –مادة ضمم– تدل في مجملها على عبارات الاجتماع، والاشتمال، وهي معاني لا تختلف كثيرا عن المعنى الاصطلاحي للفظ التضام.

الفرع الثاني: التضام اصطلاحا

فقد عالج تمام حسان*، هذه الظاهرة ضمن القرائن اللفظية قائلا: يمكن فهم التضام من وجهين:

الوجه الأول: إن التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف كل طريقة منها عن الأخرى، تقديما وتأخيرا وفصلا ووصلا وهلم جرا، ويمكن أن نطلق على هذا الفرع من التضام

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1424هـ/2002م)، ج3، ص25.

[2] ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، (1499هـ/ 1979م)، ج6/ص1972.

[3] ينظر: أبو الحسن ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص357.

*- تمام حسان عمر (أبو هاني): أحد الأستاذة المتميزين في الأدب العربي في دار العلوم بالقاهرة رحل إلى لندن ليناقش رسالة الماجستير في موضوع "لهجة الكرنك" ثم رسالة الدكتوراه في موضوع "لهجة عدن" يدرس مادة النحو منذ سنة 1959م، من تصانيفه: مناهج البحث في اللغة، نشر سنة1955م، كتاب اللغة بين المعيارية والوصفية "نشر سنة 1958م ثم كتاب اللغة العربية "معناها ومبناها" في حدود 1973م، أخذ عن: مبارك عبد القادر آراء تمام حسان في نقد النحو العربي –مخطوط رسالة الماجستير– إشراف عباس محمد جامعة تلمسان، قسم اللغة العربية وآدابها، 2002م/2003م، ص10.

اصطلاح التوارد"[1] فنجد أن هذا الوجه يهتم بدراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية أقرب منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية، **أما الوجه الآخر**: فيقصد بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين النحويين عنصرا آخر فيسمى التضام هنا "التلازم" أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا "التنافي" وبالتالي فالتضام في نظره ليس اتصال اللواصق بالكلمة، بل هو تطلب إحدى الكلمتين للأخرى في الاستعمال على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى.

ومن هنا يمكن القول أنّ التضام هو إيراد كلمتين أو أكثر، لخلق أعم من أي معنى آخر.

ومن هذا المفهوم "تبرز أهمية التضام باعتباره ظاهرة شكلية كبرى تصور أسلوب تآلف الكلمات في اللغة ثم استخدام صورة التآلف في إعطاء المعنى العام للتركيب الكلامي"[2]، والتضام أيضا هو الترابط الأفقي الطبيعي بين الكلمات، أو رفقة الكلمات وجيرتها لكلمات أخرى في السياق نحو: "أهلا وسهلا"، وقد تطور هذا المفهوم[3] فأصبح يعني دخول الكلمة في السياق المقبول.

التضام في الفكر اللغوي العربي:

لقد تفطن العرب لظاهرة التضام وعدوها من الظواهر الأساسية في البناء اللغوي، وذلك لما لها من دور كبير في رصف العناصر اللغوية لتكوين الجمل، ورصف الجمل لتكوين النص، إذ تشهد مصنفاتهم من نحو وفقه لغة وبلاغة وغيرها بعميق إدراكهم لهذه الظاهرة ومعالجتها وإن اختلفت مجالات البحث فيها واختلفت التسميات والمصطلحات، فجاء الحديث عن هذه الظاهرة مبثوثا في ثنايا مصنفاتهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

ويؤكد ذلك ما ذهب إليه الباحث عبد الفتاح البركاوي في كتابه "دلالة السياق" حين قال: "أما اللغويون العرب فإنهم قد ضربوا بسهم وافر في هذا المجال وكشفوا عن المجالات المختلفة التي

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، (د ط)، 1994م، ص216.

[2] كوليزار كاكل عزيز، القرينة في اللغة العربية، دار دجلة، عمان، ط1، 2009م، ص112.

[3] نادية رمضان النجار، أبحاث نحوية ولغوية، القسم الأول، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006، ص15.

تستعمل فيها ألفاظ بأعيانها بحيث لو استعمل لفظ في غير ما يتلاءم معه كان ذلك خطأ في فقه اللغة".[1]

ومن العلماء القدامى الذين أدركوا هذه الظاهرة الجاحظ (ت225هـ) والذي بين ضرورة وضع الكلمة المناسبة في موضعها المناسب من التركيب وفق ما يقتضيه السياق فقال: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة... والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال".[2]

ويستطرد الجاحظ ذاكرا الكثير من الأمثلة في هذا المقام إلى أن يصل إلى ذكر بعض المتضامَّات أو المتصاحبات التي تلازم ورودها مع بعض في القرآن الكريم في قوله: "وفي القرآن معان لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار...والجن والإنس".[3]

وتلتقي معاني الضَمّ والتَّضام مع معاني النَّظم الذي به تنتَظِم أجزاء الكلام وتلتئم في هذا النص الذي جاء به الخطابي (ت388هـ) لبيان أن النظم وجه من وجوه إعجاز القرآن حيث يقول: "أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمان المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان".[4]

وبالتأمل في قول الخطابي "يلتئم بعضه ببعض" يلحظ أنه ليس ببعيد أن هذه العبارة فيها معنى استلزام كلمة بأخرى حتى تلتئم ما يوحي بدلالة التضام نفسه.

---

[1] عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق)، دار الكتب، القاهرة، ط1، (1411هـ/1991م)، ص72.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص20.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص21.

[4] الرماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح وتع: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط2، (د ت)، ص36.

أما "أبو منصور الثعالبي (ت429هـ) فقد ألف أكثر من كتاب تظهر فيه هذه الظاهرة لاسيما كتابه "فقه اللغة وأسرار العربية" مما جعل محقق الكتاب يشير إلى إدراك الثعالبي لقواعد الاختيار والتناسب بين الألفاظ فيقول: إن الثعالبي يتيح لك أن توفق بين المعنى واللفظ، وتحسن الاختيار، وتراعي التناسب، وتجيد التوافق في دقة ومهارة".[1]

وجدير بالذكر أيضا أن ما يعالج تحت مفهوم التضام عالجه عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) تحت مفهوم النظم والترتيب، حيث بين أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ فحسب وإنما مجموعة من العلاقات تحدث بتضام الألفاظ وتعلقها ببعضها، ومن ذلك قوله:

"لا نَظْمَ في الكَلِمِ ولاَ ترتيبَ حتى يُعلَّق بعضُها ببعضٍ ويُبْنى بعضُها على بعضٍ وتُجْعل هذه بسببٍ مِن تلك، هذا ما لا يجهله عاقلٌ ولا يخفى على أحد من الناس".[2]

ونشير في هذا المقام إلى ما ذهب إليه الباحث جميل عبد المجيد في محاولة استقراء هذه الظاهرة في التراث العربي البلاغي، حيث كشف عن كثير من الظواهر البديعية التي تقوم على ظاهرة التضام في مستواها المعجمي والتي سماها بالمصاحبة المعجمية فيقول: "في البديع ثمة فنون تقوم على ظاهرة (المصاحبة المعجمية)، وتتجلى في هذه الفنون العلاقات المتعددة والمختلفة بين زوج أو أكثر من الألفاظ، وأولى هذه الفنون وأبرزها؛ نظراً لاعتمادها على أبرز تلك العلاقات (علاقة التباين)، المطابقة... والفن الثاني القائم على (المصاحبة المعجمية)... هو فن (مراعاة النظير)... وثمة فنان بديعيان يعتمدان -أحيانا- على ظاهرة (المصاحبة المعجمية) وهما فنا التوشيح والتسهيم (أو الإرصاد)... وتبقى بعد ذلك ثلاثة فنون تعتمد على ظاهرة (المصاحبة المعجمية) وهي: اللف والنشر، والاستخدام، والتورية المرشحة".[3]

---

[1] حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني، المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية)، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (1428هـ/2007م)، ص37.

[2] عبد القاهر بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص55.

[3] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص109-117.

ومن هنا يصح القول أن علماءنا العرب أولوا اهتماما وعناية بالكثير من الظواهر، وعالجوها كل حسب توجهه الفكري، وهي تتفق مع كثير من دراسات اللسانيات الحديثة وإن اختلفت في الاصطلاح والتسمية.

التضام في الدراسات اللسانية والحديثة:

اهتم علماء اللسانيات الحديثة بظاهرة التضام كغيرها من الظواهر، وتناولوها وفق رؤية جديدة تختلف عن نظرة القدامى لها، وذلك كل حسب توجهه الفكري فهناك من عالجها ضمن القرائن النحوية، وهناك من عالجها وفق ما يسمى بعلم الدلالة ونظرية السياق وغيرها من المجالات اللغوية، أما علماء لغة النص فأدرجوها ضمن وسائل الترابط النصي.

فالتضام من الظواهر اللغوية المهمة في اللغات عامة، وظهر هذا المصطلح لأول مرة سنة 1951 في بحوث اللساني الإنجليزي فيرث[1]، وهو "التراكيب المتلازمة التي تدل على معنى خاص ولا تدل عليه في وضعها دون مصاحبة على هذا النمط ولا تدل عليه وحداتها مفردة دون اصطحاب لازمها في التركيب الدال عليها، وهو ترابط بين الألفاظ للدلالة على معان مخصوصة، ويسمى بالمعنى التواردي، وتسمى في اللفظ التضام، لأنها اجتماع لفظ بلفظ أو أكثر للدلالة على معنى من تضامها".[2]

وهو عند فيرث مجيء كلمة في صحبة كلمة أخرى على نحو يجعلنا بحكم العادة والإلف نتوقع أن تجيء الكلمتان متصاحبتين، وهي شكل من أشكال العلاقة الأفقية على المستوى المعجمي، وهي تختلف عن شكل آخر من العلاقة الأفقية على المستوى النحوي.[3]

---

[1] ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، مكة، ط1، 1424هـ، ص197.

[2] محمود عكاشة، تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد، ط1، (1435هـ/2014م)، ص352.

[3] ينظر: حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني، المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية)، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1428هـ، 2007م، ص75.

وقد اصطلح عليه أولمان (Ullmann) بالرصف أو النظم وعرفه على أنه "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة أو استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى".[1]

أما هاليداي ورقية حسن فقد عدّوه أحد المعايير النصية التي تسهم في الترابط النصي على المستوى المعجمي ويعرفانه على أنه "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[2] وهذا ما أشار إليه الباحث يسري نوفل حيث يقول: "هذا الارتباط يعتاد أبناء اللغة وقوعه في الكلام، بحيث يمكن توقع ورود كلمة محددة في النص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه، وتتميز تلك الظاهرة بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة، كما هو الحال مع عناصر السبك النحوي".[3]

وللتضام أهمية بالغة في تحقيق اتساق النص إذ: "يمثل التضام النظام الحقيقي للترابط المعجمي في النص، وذلك أنه معيار قائم على علاقات الوحدات بعضها ببعض بالمعجم اللغوي الذي تتنزل فيه، ومنه تنطلق نظرية الحقول الدلالية التي تصنف الوحدات أو الألفاظ إلى حقوق دلالية مختلفة بحسب العلاقات القائمة بينها في النص".[4]

ولتوضيح التضام ودوره في الاتساق، يوضح هاليداي ورقية حسن بالمثال التالي: (لماذا يتلوى هذا الولد الصغير طوال الوقت؟ البنات لا تتلوى).

فكلمة (البنات) هنا ليس لها المرجع الذي لكلمة (الولد) في الجملة الأولى، ومن ثم ليس بينهما علاقة تكرار معجمي، ورغم هذا تبدو هاتان الجملتان مترابطتين، فما الفاعل في هذا الترابط؟

---

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م، ص74.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص25.

[3] يسري نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية (دراسة تطبيقية مقارنة)، ص113.

[4] سالم بن محمد بن سالم المنظري، الترابط النصي في الخطاب السياسي (دراسة في المعاهدات النبوية)، بيت الغشام للنشر والترجمة، سلطنة عمان، ط1، 2015م، ص128.

الفاعل –حسبما ذكر هاليداي ورقية حسن– هو وجود علاقة معجمية بين لفظتي (الولد) و(البنات)، هذه العلاقة هي علاقة التضاد.[1]

"وحسب ما ذهب إليه المؤلفان، فإن العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي علاقة التعارض، مثلما هو الأمر في أزواج كلمات مثل: ولد، بنت، جلس، وقف، أحب، كره، الجنوب، الشمال، أمر، خضع، الخ، إضافة إلى علاقة التعارض هناك علاقات أخرى مثل الكل – الجزء، أو الجزء–الجزء، أو عناصر من نفس القسم العام، كرسي، طاولة (وهما عنصران من اسم عام هو التجهيز...)".[2]

ولكن يختلف تحديد الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه كلمات ما؛ وذلك لاختلاف ثقافة المتلقين، وهو ما ذكره محمد خطابي: "أن المتلقي يواجه إشكالا في إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها، فليس دائما تكون هذه العلاقة واضحة للعيان، ولكن القارئ يعمد إلى ذلك متسلحا بمخزونه اللغوي وخلفياته الثقافية (الحدس اللغوي)، مما يعني أنه لا يوجد مقياس آلي صارم يجعل المتلقي يصنف كلمات النص في مجموعة محددة"[3] ولهذا عده الباحث عزة شبل محمد من أكثر الأنواع صعوبة في التحليل.[4]

اهتم الدارسون العرب المحدَثون أيضا بهذه الظاهرة، واختلفوا في ترجمتها فتعددت المسميات وإن كان المضمون واحدا في الغالب ومن هذه المصطلحات: المصاحبة، التلازم، الاقتران اللفظي، الرصف والنظم، التضام، قيود التوارد.[5]

حيث تعامل محمود فهمي الحجازي مع هذه الظاهرة على المستوى الدلالي تحت ما يسمى بالعلاقات التركيبية والذي يقصد بها ارتباط أكثر من كلمة على نحو يجعل استخدامها متلازما لأداء

---

[1] ينظر: جميل عبد المجيد، بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص107.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص25.

[3] خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص209.

[4] ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص109.

[5] ينظر: حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني، المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم، ص75.

المعنى المراد[1]، وهي –حسب رأيه– "ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية، ويكون معناها مفهوما من الجزئيات المكونة لها، فكلمة كرسي، مثلا تستخدم في عدة تراكيب على سبيل التضام، وتدور هذه التراكيب حول معنيين اثنين، أولهما يظهر في التراكيب: جلس على الكرسي، كرسي منخفض... أما المعنى الثاني فهو في تراكيب مثل، كرسي الفلسفة... وكرسي الأستاذية... واضح من هذه التراكيب أن المعنى الأول داخل في المجال الدلالي للأثاث والمعنى الثاني داخل في المجال الدلالي للوظائف".[2]

وكما مر سابقا ما ذهب إليه تمام حسان أن التضام نوعان: تضام نحوي قائم على مبدأي التلازم والتنافي، وتضام معجمي يسمى بالتوارد.

وهذا الأخير (التضام المعجمي) هو المعني بهذه الدراسة.

أهمية التضام:

تتعدد أدوار التضام في الاتساق النصي بتعدد أنواعه وأنماطه وحيزه داخل النص ارتفاعا وهبوطا، لأن رصف المفردات المتصاحبة في النص يسهم في تكثيف المعنى الدلالي له، ويحقق الربط المعجمي من جانب، ويبرز الموضوع من جانب آخر.[3]

وللتضام أيضا أثر في تقريب المعنى المراد عندما يكون لبعض الألفاظ أكثر من معنى، وهي بموقعها هذا تقوم بما يحتاجه فهم النص من قرائن مقالية وعقلية وحالية، كما أنها تفيد في فهم النص من خلال ما سماه البلاغيون بالمشاكلة، وهي أن نقصد شيئا بلفظ آخر، أعني أن نذكر كلمة ولكننا لا نريد معنى هذه الكلمة، وإنما ذكرناها لوقوعها في مصاحبة لفظة تشبهها مثل قوله تعالى ﴿**فَمَنِ**

[1] ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص175.

[2] المرجع السابق، ص175.

[3] ينظر: نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة، المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص، مقاربة نصية في مقالات د خالد المنيف، مجلة الدراسات اللغوية، مج14، ع3، (1433هـ/2012م)، ص78.

اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ البقرة:194، حيث إنَّ ردَّ الاعتداء لا يسمى اعتداء، ولكن الغاية البلاغية اقتضت المشاكلة[1]

كما أن للعلاقات اللغوية الدلالية بين المتضامات دور في تحقيق الاتساق وذلك لاعتمادها على التعالق الدلالي والتلازم اللفظي، مما يجعل النص أشد سبكا، لأن تلك العلاقات تحدث ارتباط القضايا داخل النص ارتباطا قصديا بين الأحداث، مما يضمن اتساق النص واستمراريته.[2]

[1] ينظر: عثمان حسين مسلم أبو زنيد، نحو النص(دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2004م ص117.

[2] ينظر: نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة، المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص، ص78.

الفصل الأول

محددات صيغ الأسلوب بين النص والخطاب

المبحث الأول: مفاهيم الصيغ الأسلوبية.

المبحث الثاني: مفاهيم النص والخطاب.

المبحث الثالث: صيغ القص القرآني.

المبحث الرابع: أدوات الاتساق

مادام هذا البحث يتخذ من الاتساق في أساليب القصص القرآني منهجا لدراسة الظواهر اللغوية في القصص القرآني وتحليل نصوصه، فكان لابد لنا من الوقوف أمام مفاهيم ومصطلحات كلٍّ من الأسلوب والاسلوبية والخطاب والنص والفرق بينهما وأدوات الاتساق.

المبحث الأول: مفاهيم الصيغ الأسلوبية

الأسلوبية هي الانتساب إلى علم الأسلوب فهي مصطلح حديث يدرس الأسلوب في اللغة حيث يمارسها الإنسان كلاما ينطق به أو يكتبه وتمتد الأسلوبية امتداد اللغة والأسلوب، وحيثما وجد الأسلوب وجدت معه الأسلوبية وحيثما تعدد مفهوم الأسلوب تعدد معه مفهومها.

تعريف الأسلوب

1/ لغة:

يقول ابن منظور في لسان العرب: "يُقَالُ لِلسَّطْرِ مِنَ النَّخيلِ: أُسْلوبٌ، وَكُلُّ طَرِيقٍ مُمْتَدٌّ فَهُوَ أُسْلوبٌ. قَالَ: الأُسْلوبُ الطَّرِيقُ وَالْوَجْهُ وَالمذهَبُ، يُقَالُ أَنتُمْ فِي أُسْلوبِ سُوءٍ، وَيُجْمَعُ أَسَالِيبَ. وَالأُسْلُوبُ بِالضَّمِّ: الفَنُّ يُقَالُ أَخَذَ فُلاَنٌ فِي أَسَاليبَ الْقَوْلِ أَيْ أَفَانِينَ مِنْهُ".[1]

ويتناول الزمخشري مادة (سَلَبَ) فيقول: "سَلَبَهُ ثَوْبَهُ وَهُوَ سَلِيبٌ، وَأَخَذَ سَلَبَ القَتيلِ وَأَسْلاَبَ القَتْلَى، ولبست الثَّكْلَى السِّلابُ وَهُوَ الْحِدَادُ، وَتَسَلَّبَتْ وَسَلَّبَتْ عَلَى مَيْتِهَا فَهِيَ مُسَلِّبٌ، وَالإِحْدَادُ عَلَى الزَّوْجِ، وَالتَّسْلِيبُ عَامٌّ، وسَلَكْتُ أُسْلُوبَ فُلاَنٍ: طَرِيقَتَهُ وَكَلاَمُهُ عَلَى أَسَالِيبَ حَسَنَةٍ، ومن المجاز: سَلَبَهُ فُؤَادَهُ وَعَقْلَهُ وَاسْتَلَبَهُ، وَهُوَ مُسْتَلَبُ العَقْلِ، وَشَجَرَةٌ سَلِيبٌ: أُخِذَ وَرَقُهَا وَثَمَرُهَا، وَشَجَرٌ سُلُبٌ، وَنَاقَةٌ سَلُوبٌ: أُخِذَ وَلَدُهَا، وَنُوقٌ سَلاَئِبٌ، وَيُقَالُ لِلْمَتَكَبِّرِ: أَنفُهُ فِي أُسْلُوبٍ إِذَا لَمْ يَلْتَفِتْ يَمْنَةً وَلاَ يَسْرَةً"[2].

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج3ص2058.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص468.

2/ اصطلاحا:

وقد قدمت تعاريف متعددة ومختلفة للأسلوب على حسب اختلاف مشارب أصحابها في تحديد مفهومه، نوجزها قبل التفصيل فيها فيما يأتي:

- **من زاوية المتكلم**: أي الباث للخطاب اللغوي، الأسلوب هو الكاشف عن فكر صاحبه، ونيته، ولذلك يقول أفلاطون: كما تكون طبائع الشخص يكون أسلوبه، ويقول بوفون: الأسلوب هو الإنسان نفسه، ويقول جوته: الأسلوب هو مبدأ التركيب النشط والرفيع الذي يتمكن به الكاتب من النفاد إلى الشكل الداخلي للغته والكشف عنها.

- **من زاوية المخاطب**: أي المتلقي للخطاب اللغوي، الأسلوب ضغط مسلط على المتخاطبين، وإن التأثير الناجم يعبر عن الإقناع أو الإمتاع، يقول فاليري: الأسلوب هو سلطان العبارة، ويقول ستاندال: الأسلوب هو أن نضيف إلى فكر معين جميع الملابسات الكفيلة بإحداث التأثير الذي ينبغي لهذا الفكر أن يحدثه، ويقول ريفاتير: الأسلوب هو البروز الذي تفرضه بعض لحظات تعاقب الجمل على انتباه القارئ، فاللغة تعبر والأسلوب يبرز.

- **من زاوية الخطاب**: أو لنقل النص نفسه: الأسلوب هو الطاقة التعبيرية الناجمة عن الاختيارات اللغوية... وقد حصر شارل بالي مدلول الأسلوب في تفجر طاقات التعبير الكامنة في اللغة، ويعرف ماروزو: الأسلوب بأنه اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حالة الحياد اللغوي إلى خطاب متميز بنفسه، ويعرفه بيير جيرو: بأنه مظهر القول الناجم عن اختيار وسائل التعبير التي تحددها طبيعة الشخص المتكلم أو الكاتب، ومقاصده. [1]

- الأسلوب ثمرة عمل: في كتابه "مقال في فلسفة للأسلوب" 1968 يعمل (غرانجه) على تأسيس أسلوبية خاصة تشمل كافة نشاطات الإنسان وعلومه أو هو الحل الشخصي الذي يقدمه الفرد للصعوبات التي في عمل بنائي ما.

[1] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية: بين النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب، 2000م، ص43-45.

– الأسلوب وتنظيمه للخطاب: ذهب رومان جاكوبسون إلى القول أننا لا يمكننا تعريف الأسلوب خارج الخطاب اللغوي كرسالة، أي كنص بوظائف إبلاغية في الاتصال بين الناس، وحمل المقاصد إليهم"[1].

ومن ثمة فإنه يمكننا اعتبار الأسلوب مفهوما عائما، "فهو وجه بسيط للملفوظ تارة، وهو فن واع من فنون الكاتب تارة أخرى، وهو تعبير عن طبيعة الإنسان تارة ثالثة، ولذا فهو يتعدى دائما الحدود التي يدعي بأنه انغلق عليها[2].

فقضية الأسلوب كانت قضية حية كما كانت موضع نقاش عالمي، فهي لم تتوقف عن إشغال الكتاب والنقاد والمؤرخين والفلاسفة، وإشغال حتى اللسانيين أنفسهم، ولم يتوقع أحد أن يجعل منها دراسة علمية".[3]

الأسلوب في التراث العربي.

يبدو أن الدراسات القديمة لم تغفل قضية الأسلوب، وإن كانت محدودة التناول له محدودية المعرفية القديمة وبيئات اللغويين القدامى.

وكلمة الأسلوب في حد ذاتها مدينة لمجال الإعجاز القرآني أين كان العلماء يحاولون المقارنة بين أسلوب القرآن وغيره من أساليب العرب، وذلك بغرض إثبات إعجازه، وسنحاول أن نعرض لمحاولات علمائنا الأجلاء في تحديد معنى كلمة أسلوب".[4]

---

[1] المرجع السابق، ص43-45.

[2] بييرجيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، ط2، دار الحاسوب للطباعة، حلب، 1994م، ص47.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص40.

[4] ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994م، ص10.

1 مفهوم الأسلوب في تراث المشارقة:

ابن قتيبة(276هـ): حاول ابن قتيبة أن يعطي لكلمة أسلوب مفهوما محددا من خلال كتابه (تأويل مشكل القرآن) حيث قال: "وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات".[1]أبو محمد على هذا نجد أن ابن قتيبة قد ربط بين الأسلوب وطرق أداء المعنى حسب المقام الذي يقال فيه الكلام، وتعدد الأساليب راجع في نظره إلى الموقف أولا، ثم إلى طبيعة الموضوع ثانيا، وإلى مقدرة المتكلم وفنيته ثالثا.[2]

ابن الأثير(637هـ): أكد ابن الأثير نفس الاتجاه الذي اتجهه ابن قتيبة في تحديد مفهوم الأسلوب، أين ربطه بأوجه التصرفات في المعنى والافتنان فيها، حيث يقول: "وذاك أن الشاعر المفْلِق أو الكاتب البليغ هو الذي إذا أخذ معنى واحداً تصرف فيه بوجوه التصرفات، وأخرجه في ضروب الأساليب".[3]

ومن خلال ذلك ركز ابن الأثير على الربط بين الأسلوب وشخصية الشاعر، ومقدرته الفنية، من حيث استخدام تلك القدرة في عرض الفكرة في أسلوب متميز وطريقة متفردة، بحيث يظهر الفرق جليا بين شاعرين أو ناثرين يتعرضان لنفس الفكرة بأوجه مختلفة ومميزة عن بعضها البعض[4].

الخطابي(388هـ): اختلف الخطابي في فهمه للأسلوب عن ابن قتيبة وابن الأثير، فقد ربط بين الأسلوب وطريقة أداء المعنى، في حين ربط الخطابي بين الأسلوب وغرض النص، فتعدد الأساليب يقتضي تعدد الأغراض بطبيعة هذا الموضوع[5].

---

[1] – عبد الله بن مسلم بن قتيبة تأويل مشكل القرآن تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2 (1393هـ/1973م)، ص12

[2] – ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية ص11

[3]– ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3ن ص280

[4] – ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص14

[5] – ينظر: نفس المرجع، ص15

على هذا فإن المقارنة بين الشعراء حسب الخطابي تكون على أساس اختلاف الموضوعات والمداخل التي يطرقونها، حيث يحكم بالسبق لكل منهم حسب الموضوع الذي تناوله، فيقال فلان أشعر في الوصف، والآخر في الهجاء، وهكذا...

الباقلاني(403هـ): الباقلاني اطلع على ما قدمه الخطابي وابن قتيبة قبله، فقد ربط بين الأسلوب والنوع الأدبي، وجاء ذلك في سياق حديثه عن إعجاز القرآن، والذي أرجعه إلى تفرده بنظم عجيب مخالف لضروب الصناعة التي يستخدمها الشعراء في أشعارهم، فللقرآن أسلوب خاص به يميزه عن غيره من الأنواع الأدبية المعروفة، وفي هذا الصدد يقول: "إن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"[1].

الفخر الرازي(606هـ): نجد أن الفخر الرازي يتفق كثيرا مع الباقلاني في ربط الأسلوب مع النوع الأدبي، فللقرآن أسلوبه كما للشعر أسلوبه، وللخطابة أسلوبها... ولكن الرجل قدم إضافة نوعية وقيِّمة جداً في هذا المجال عندما ربط بين الأسلوب وصاحبه، حيث اعتبر الأسلوب خاصية تمثل منشأها، ولو أن ما أضافه الرازي قد لقي من يطوره ويهتم به، لقدم للدراسات النقدية دفعة قوية في مجال دراسة الأسلوب، وذلك ما ذكره في كتابه؛ إذ يقول: "ومن الناس من جعل الإعجاز في أن أسلوبه مخالف لأسلوب الشعر والخطب والرسائل، لاسيما في مقاطع الآيات، مثل "يعلمون" و"يؤمنون" وهو أيضا باطل".[2]

العلوي(749هـ): خالف العلوي ما ذهب إليه الرَّازي قبله، حيث ساوى بين الأسلوب وَالنَّظْمِ" يجب على النَّاظم والنَّاثِر فيما يقصد من أساليب الكلام مراعاة ما يقتضيه علم النحو، وتتباين الأساليب بناء على هذا بتباين طرق استخدام ذلك النحو في الشِّعْرِ أو النثر.

---

[1] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط3، (د ت) ص35

[2] فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: نصر الله حاجي، دار صادر بيروت، ط1(1424هـ/2004م)، ص27-28.

غير أن العلوي لم يتوقف عند هذا الفهم للأسلوب، بل أتى بفهم آخر هو نتيجة لتأثره بابن الأثير، وذلك عندما ربط بين الأسلوب وطرق أداء المعنى حيث يقول: " ومما يجري على هذا الأسلوب قوله تعالى ﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا**﴾ **طه: 69**، كأنَّه قال ألق هذا الأمر الهائل الذي في يمينك فإنه يبطل ما أتوا به من سحرهم العظيم وكما يرد على وجه التعظيم كذلك يرد على وجه التحقير فكأنه قال وألق العويد الصغير الذي في يمينك فإنه مبطل على حقارته وصغره ما أتوا به من الكذب المختلق تهكما بهم[1].

الزمخشري(538هـ): تميز الزمخشري عن غيره من العلماء الذين ذكرناهم آنفا في تحديده لمفهوم الأسلوب، فاتجه نحو الربط بين معنى الأسلوب والخصائص الأسلوبية، أو بين الأسلوب والطاقة التعبيرية الكامنة فيه، ملاحظا بذلك وجود تنوعات لغوية لا تقوم على أساس فردي في الأسلوب[2].. وذلك عندما تطرق لأسلوبية الالتفات سورة الفاتحة نموذجا تطبيقيا"...فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان...وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن، تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد." [3]

وقد ارتكز الزمخشري لأجل ذلك على مناهج البحث البلاغي من ناحية، والتركيب النحوي من ناحية أخرى، وكل ذلك لأجل رصد الخصائص الأسلوبية، رابطاً بين التأثير الانفعالي لدى المتلقي، والخصائص التعبيرية في النص الأدبي عامة، والقرآني خاصة[4].

السكاكي(626هـ): نجد السَّكاكي يوافق الزمخشري إلى حد كبير، في ربطه بين الأسلوب والخاصية التعبيرية الكامنة فيه، ومما يؤكد ذلك هو عرضه لمجموعة من الخواص التعبيرية رابطا إياها بمفهوم

---

[1] ينظر: يحى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، (د ط)، 1323هـ، ج2، ص82.

[2]- ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص19

[3] – ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص28-29.

[4] – ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص21.

الأسلوب، كالالتفات مثلا، الذي اعتبره خاصية أساسية في الأداء التي يتميز بها الأسلوب، وهي خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بما يحويه من أفانين بلاغية[1].

وما يلاحظ على السكاكي هو ربطه لهذه الحالات التعبيرية بالمخاطب، أو المقام الذي يكون فيه ذلك المخاطب، يقول في هذا: "هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك في نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور"[2]

عبد القاهر الجرجاني(471هـ): لا يفصل عبد القاهر الجرجاني بين الأسلوب والنظم بأي وجه من الوجوه، بل هو يطابق بينهما من أنهما يمثلان تنوعا لغويا فرديا يصدر عن وعي واختيار، ومن حيث إمكانية هذه التنوعات أن تصنع نسقا وترتيبا يعتمد على إمكانات النحو، ولعل عبد القاهر الجرجاني في تركيزه على الوعي والاختيار يشير إلى نقطة هامة جدا، تعطي للمبدع مكانة حقيقية في تحديد مفهوم الأسلوب، ذلك أن الألفاظ في تراصها وتواليها لا تصنع نسقا أبدا ما لم تكن مقترنة بقصد المبدع، فيتميز كل غرض (قصد) أو معنى بأسلوب يختص به، يقول عبد القاهر: "... والأسلوب الضرب من النظم أو الطريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجئ به في شعره، فيشَّبَهَ بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها، فيقال: قد احتذى على مثاله..." [3].، أو بتعبير آخر فإن عبد القاهر يركز على العلاقة بين أنماط التعبير وخاصية الأسلوب على أساس أن هذا الأخير يختلف من مبدع لآخر على حسب المقدرة الفنية الإبداعية لكل واحد، تلك القدرة التي تظهر من خلال العلاقات التي قيمها كل واحد بين الكلمات ثم بين الجمل، في شكل انحراف على المستوى المألوف للتعبير[4].

---

[1] – ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص22

[2]. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1403هـ/1983م)، ص327.

[3] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص468

[4]البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص23-24.

ومما يمكن أن نخلص إليه أن الأسلوب بالنسبة لعبد القاهر الجرجاني هو أن ينصبَّ على الطريقة الخاصة في ترتيب المعاني، وما تحويه هذه الطريقة من إمكانات نحوية تميز ضرباً عن ضرب، وأسلوباً عن أسلوب.[1]

2 مفهوم الأسلوب في تراث المغاربة:

ارتكز النقاد المغاربة في دراستهم لمفهوم الأسلوب على التراث الوافر الذي لحقهم من المشرق العربي والتراث اليوناني، فكانت دراساتهم بذلك أكثر شمولية واستيعابا لمفهوم الأسلوب.

حازم القرطاجنّي (684هـ): تناول حازم القرطاجني مفهوم الأسلوب في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، بعد أن قرأ لكل من عبد القاهر الجرجاني وأرسطو، فجمع بين رأي كل منهما في رأي واحد، ذلك أنه يرى أن الأسلوب ترتيب للمعاني ورص للكلمات المؤدية لها كما قال عبد القاهر، ولكنه وسع مجال الأسلوبّ إلى أبعد من حدود الجملة، فجعله متعلقا بالعملية الإبداعية من بدايتها إلى نهايتها، متأثرا هنا بأرسطو الذي اعتبر العمل الفني وحدة متكاملة[2].

والمدقق في آراء حازم القرطاجني حول مفهوم الأسلوب لا يجد أنه اتجه اتجاها واحدا فقط بل إنه عاد في كثير من المرات ليربط بين الأسلوب وطبيعة الجنس الأدبي، ويظهر ذلك من خلال حديثه عن الشعراء وأقسام شعرهم، وأن لكل واحد منهم أسلوبا خاصا به، على حسب الجنس الأدبي الذي يتناوله، فشعر الجِدِّ يختلف في أسلوبه عن نظم شعر الهزل[3].

ولكن المتأمل لتفسير حازم لإعجاز القرآن الكريم يجده متجها بالأسلوب اتجاها آخر غير الذي اتجهه في المفهومين السابقين، ذلك أنه عاد ليربط الأسلوب بالنظم فقط، حيث ذكر في كتابه منهاج البلغاء أن السر في هذا الإعجاز كامن في فصاحته وبلاغته، وهو ما يدخل تحت مفهوم

[1] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص26.

[2] – ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص27

[3]. ينظر: أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008م، ص296.

النظم[1] فنجد حازم القرطاجني ربط الأسلوب بثلاث معان: مرة ربطه بالناحية المعنوية في التأليفات، ومرة بطبيعة الجنس الأدبي، ومرة ثالثة بالفصاحة والبلاغة

ابن رشيق القيرواني(456هـ): اتجه ابن رشيق في تحديده لمفهوم الأسلوب ناحية الصياغة اللفظية، مشددا في ذلك على حديث الجاحظ عن أجود الشعر عندما قرنه بالأكثر تلاؤما في الأجزاء، وسهولة في المخرج، وعذوبة في النطق، وقربا في الفهم، واعتبر ابن رشيق أن هذا الأسلوب في الشعر هو ما عذب النطق به وقرب فهمه، "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج...وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذَّ سماعه وخفَّ محتمله وقرب فهمه وعذب النطق به"[2]

ابن جزي الكلبي(741هـ): ذهب ابن جزي إلى ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في تحديده لمفهوم الأسلوب، حيث ربطه بالنظم وساوى بينهما، وذلك في سياق حديثه عن إعجاز القرآن الذي جعله في عشرة وجوه، وجعل ثانيها نظمه العجيب وأسلوبه الغريب[3].

ابن خلدون(808هـ): أخذ ابن خلدون فكرة مفصلة عن الأسلوب لدى العلماء المشارقة، كما يبدو أنه اطلع على كل ما أفاد به حازم القرطاجني في هذا الباب، وكنتيجة لذلك جاءت رؤيته لمفهومه واسعة جدا، حيث يقول في كتابه "المقدمة" في فصل صناعة الشعر: "ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة... فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه... وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص...فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به"[4]

---

[1] – ينظر: المصدر نفسه، ص352

[2] – ينظر: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده تح: محمد بدر الدين الحلبي، مطبعة السعادة مصر، ط1(1325هـ/1907م)، ج1 ص171-172.

[3] ينظر: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1(1415هـ/1995م)، ج1، ص19.

[4]. ينظر: ولي الدين عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة بن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي دمشق، ط1(1425هـ/2004م)، ج2، ص396.

فقد جعل ابن خلدون الأسلوب بذلك صورة ذهنية في ذهن المبدع تتكون لديه بناء على ما يتلقاه من ذخيرة لغوية وفق نسق معين تفرضه قواعد النحو والصرف والبلاغة والعروض، إنه أمر افتراضي في ذهن المبدع ويمكنه من خلاله تكوين ما شاء من الجمل وعلى حسب اختلاف المواقف، وعلى هذا الأساس فهذه الملكة ليست فردية عند المبدع بل هي ظاهرة اجتماعية موحدة تميز أبناء المجتمع الواحد عن غيرهم من المجتمعات[1].

لم يتوقف ابن خلدون عند هذا الحد في توضيحه لمفهوم الأسلوب، حيث نجده في سياق آخر يربط بينه وبين النوع الأدبي مفرقا بين الشعر والنثر على أساس أن لكل منهما خصائصه النحوية والصرفية والعروضية والبلاغية... وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه في المنثور[2].

ونجد أن ابن خلدون من جهة أخرى كذلك يلح على صلة الأسلوب بالسياق اللغوي وما يرتبط به من عنصري المتكلم والمخاطب: "كما يلاحظ من تطبيق الكلام على مقتضى الحال من أحوال المخاطب والمخاطب... والمقامات مختلفة ولكل مقام أسلوبه يخصه..."[3].

مستويات التحليل الأسلوبي.

يرتبط علم الأسلوب أيما ارتباط بعلم اللغة، ولعل من أبرز دلائل ذلك هو أن مستويات التحليل هي نفسها بين العلمين، فكل منهما ينطلق من المستوى الصوتي، مرورا بالمستوى المعجمي، ووصولا إلى المستوى النحوي، ويجعل المستوى الدلالي قائما وكائنا على طول هذه المستويات، أي أنه موجود في كل مستوى، غير أن الباحث الأسلوبي يختلف عن الباحث في علم اللغة في كونه يركز على الظواهر المكررة التي تبرز خصوصية ومزية العمل الأدبي، ولكن ذلك يبقى في حدود مستويات التحليل اللساني.

1/المستوى الصوتي: ويمكن أن نطلق عليه كذلك تسمية مستوى الإيقاع، ويقوم الدارس للأسلوب في هذا المستوى بدراسة مظاهر الإتقان الصوتي في النص، ومصادر وخصائص الإيقاع فيه مما ينفذ

[1]. ينظر: محمد بن عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص34.

[2]. ينظر: ابن خلدون، مقدمة بن خلدون، ج2، ص393.

[3] المرجع السابق، ج2، ص394.

إلى السمع والحس، وهو في كل هذا يحاول أن يندرج عبر ثلاثة فروع "أولها دراسة الأصوات المجردة، وثانيها دراسة الإيقاع وتأثيره الجمالي في القصيدة، وثالثها دراسة العلاقة بين الصوت والمعنى"[1].

وعليه فيمكن لمحلل الصوت في علم الأسلوب أن يعرف الخصائص الصوتية التي يحملها كل صوت، ثم يتوجه إلى معرفة الظواهر التي تخرج عن النمط ليبحث في دلالاتها بما يهم علم الأسلوب.

وعليه فعلى الباحث الأسلوبي ألا يبالغ في تتبع القضايا الصوتية الموجودة في النص الأدبي، بل عليه أن يركز على الظواهر الصوتية الغالبة في ذلك النص[2]، ولعل أغلب ما يمكن أن يبرز

صوتيا كظاهرة أسلوبية في مختلف النصوص هي ظواهر: الوقف والنبر* والمقطع، إضافة إلى التنغيم**، وغلبة بعض الأصوات –على حسب خصائصها–، فالوقف ظاهرة صوتية هامة جدا، وذلك لما لها من علاقة مباشرة وقوية بالمعنى، ولعل ذلك هو ما جعل علماء اللغة والدراسات القرآنية وعلماء القراءات يفردون لها في مؤلفاتهم مجلدات وكتب خاصة، تناولوا فيها تعريف الوقف وأنواعه، ومواضعه.

أما النبر والمقطع فدراستهما لم تحظ بالقدر الكافي من الاهتمام من قبل الدارسين والباحثين العرب إلا أن لهما أهمية كبرى في الدراسات الأسلوبية لما لهما من علاقة كبيرة –وذات أهمية– بالمعنى، وكذلك هو الحال بالنسبة للتنغيم وخصائص الأصوات من همس وجهر وتكرار وتفش وصفير... كل هذه الظواهر من شأن تكرار إحداها أن يضعنا في جو النص ومعناه العام، وكذلك من شأنه أن يعرفنا أكثر على صاحبه.

---

[1] إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1ن (1424هـ/2003م)، ص153.

[2] صلاح فضل، علم الأسلوب وعلاقته بعلم اللغة، مجلة فصول، مج5، ع1، 1984م، ص56.

*- النبر: هو ارتفاع في علو الصوت ينتج عن شدة ضغط الهواء المندفع من الرئتين، يطبع المقطع الذي يحمله ببروز أكثر وضوحا عن غيره من المقاطع المحيطة.

**- التنغيم: هو نتاج توالي نغمات الأصوات الناتجة عن درجاتها.

ولقد أعطى العلماء لعلم الأصوات أهمية بالغة في دراسة الأسلوب، وخصوصا إذا تعلق الأمر بفنون الدراما والمسرح التي تحتوي على إمكانيات صوتية قوية على أساس أنها تكتب بكلمات مسموعة، فما بالك بالقرآن الكريم الذي أوحي إلى النبي ﷺ ونقل إلينا عن طريق السماع أصلا.

2/ المستوى المعجمي: ويسمى كذلك بمستوى الألفاظ، وهو المستوى الذي يبحث فيه على وسائل التعبيرية للكلمات المكونة للنص الأدبي وما يترتب عليها من نتائج تحدثها بعض الخصائص كالتضاد والترادف والإبهام والتجديد والغرابة... ثم ينتقل البحث إلى تحديد الصور[1]، على المستوى نفسه من أجل استنتاج القدرة التصويرية لكاتب ما، تلك القدرة التي تميزه عن غيره، وعليه فعلى المحلل الأسلوبي في هذا المستوى أن يتتبع ما في الألفاظ من خاصية الحقول الدلالية*، حيث يتم تصنيف تلك الألفاظ ضمن الحقول، وتدرس تلك الحقول، وتحدد أي الألفاظ تم تغليبها.

كما على الباحث أيضا أن يهتم بدراسة ما في تلك الألفاظ من انزياحات وعلاقاتها بالسياق العام للنص (الدلالة السياقية)، إضافة إلى دراسة الصيغ الاشتقاقية وتأثيرها على الفكرة، ويبحث في النص كذلك عن صور المجاز المختلفة، ويركز على الصور التي تشكل ظاهرة أسلوبية.

3/ المستوى التركيبي: ويسمى كذلك بمستوى الجملة، وقد حظي هذا المستوى بدراسات واسعة من قبل علماء اللغة العربية الذين اهتموا بدراسة الجملة العربية من حيث تركيبها وأنماطها وأركانها ودلالاتها، وخصوصا جمل القرآن الكريم، فهذا المستوى -كما يقول إبراهيم محمود خليل- "يجيء للاهتمام بالتراكيب وتصنيفها، وأي الأنواع من التراكيب هي التي تغلب على النص، فهل يغلب عليه التركيب الفعلي أم الاسمي؟ أم الخوالف؟ أم تغلب عليه الجمل الطويلة المعقدة أم القصيرة؟ أم المزدوجة؟ وهنا يمكن أن يأتي دور الأسلوبية النحوية في دراسة العلاقات والترابط والانسجام الداخلي في النص وتماسكه عن طريق الروابط التركيبية المختلفة[2].

---

[1] - إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص166.

*- الحقول الدلالية: هي تصنيفات لغوية تَضُمُّ مجموعاتٍ من الألفاظ ذات المفهوم المشترك، أو ذات الدّلالة التي تدخل في نطاق واحد.

[2] إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص166.

علم الأسلوب يرى في دراسة التركيب عنصراً مهما لإبراز خصائص أدب كاتب معين، وللتمييز بينه وبين غيره من الأدباء، ويتوجه الأسلوبيون غالبا في هذا المستوى إلى بحث بعض العناصر التي من شأنها أن تبرز في النص، والتي من بينها: طول الجملة وقصرها، وأركان التركيب، وبخاصة المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل والصفة والحال والصلة... إضافة إلى الروابط مثل: الواو والفاء وثم وإذن وأما وإما... ودلالة استعمالها على خصائص الأسلوب، إضافة إلى دراسة ترتيب العناصر المكونة للجملة وما ينجز عنه من تقديم وتأخير وحذف وغيرها، كما يدرس في هذا المستوى عناصر التعريف والتنكير، والعدد والمعدود، والتذكير والتأنيث، وتدرس كذلك الصيغ الفعلية وتشابهها والصيغ الاسمية، والبناء للمعلوم والبناء للمجهول...[1].

وبهذا كله نجد أن الأسلوبية "تواصل تأملها لعالم النص عن طريق القراءة المتعددة الوجوه، فأحدها تتأمل فيه البنية التركيبية النحوية، وآخر تتأمل فيه البنية التعبيرية الجمالية.

فنتساءل مما يوحد كل هذه العناصر والصور والمجازات والاستعارات والألفاظ والدلالات في كيان عضوي يجتذب القارئ ويستثيره"[2].

ولا يفوتنا هنا أن نُنَبِّهَ إلى أن هذه المستويات الثلاثة إنما تترتب الواحد بعد الآخر وينهل كل منها من مستوى رابع هو **المستوى الدلالي**، فالدلالة موجودة في كل ظاهرة من ظواهر تلك المستويات، وهذا ما جعل بعض العلماء يميزون بين علمين هما علم الداخل وعلم الخارج، حيث يعنى الأول بصيغ الظواهر اللغوية، ويعنى الثاني بمعانيها ودلالاتها في سياقاتها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأسلوبية لا تشترط المرور على كل هذه المستويات في عملية التحليل الأسلوبي، بل يمكن أن تتناول مستوى واحدا منها فقط، بل أن نتناول ظاهرة واحدة فقط من ذلك المستوى بشرط أن تشكل ظاهرة أو خاصية أسلوبية بارزة في النص قيد الدارسة والتحليل، ولذلك نجد أن كثيرا من النقاد يعيبون على بعض الباحثين والدارسين تناولهم دراسة النصوص الأدبية

[1] عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي، مجلة فصول، مج1، ع2، 1981م، ص121.

[2] إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ص166.

عبر جميع مستويات التحليل الأسلوبي، ويطالبون بالتركيز على ما يميز ذلك النص من ظواهر تلك المقاربة الأسلوبية على استدعائها، يقول صلاح فضل: "على أن ما يميز الدراسة الأسلوبية عن بقية أنواع الشرح والتفسير إنما هو تركيزها على الخواص العائدة المرجعة، أي على الخواص المكررة والموظفة بانتظام في النص الأدبي"[1].

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن المقاربة الأسلوبية للنصوص الأدبية لا تقتصر على مستويات التحليل الأسلوبي المذكورة سابقا، بل تتجاوزها إلى أمور أخرى من شأنها أن تجعلنا في صلب وقلب النص الأدبي، وذلك عندما نأخذ بعين الاعتبار عناصر أخرى في عملية التحليل، وهذه العناصر هي ما يسمى بمداخل التحليل الأسلوبي.

تتجاوز المراقبة الأسلوبية مستويات التحليل المذكورة سابقا إلى مقاربة عناصر جوهرية في العمل الأدبي هي:

1/ العنصر اللغوي: وهنا يقوم الأسلوبي بالتدقيق في المكونات اللغوية التي تبني النص، وهو في هذا لم يخرج عن مستويات التحليل الأسلوبي.

2/ العنصر النصي: وهنا يدرج الباحث الأسلوبي عناصر غير لغوية في عملية التحليل كالمؤلف والقارئ والموقف التاريخي والهدف من النص، ومناسبة الآيات إن كان النص قرآنا.

3/ العنصر الجمالي الأدبي: وهنا يحاول الباحث الأسلوبي أن يكشف عن تأثير النص في القارئ، وربما تناول النصوص الأدبية بناء على هذه المداخلات هو ما جعل بعض الدارسين يضيفون إلى مستويات التحليل الأسلوبي السابقة مستوى آخر يسمونه بالمستوى التداولي يحددون فيه المؤلف وأحواله كذلك متلقي النص ومناسبة الآيات إذا كان ذلك النص قرآنا.

ولا تشترط الأسلوبية هنا كذلك اشتراك كل هذه المداخل، حيث بإمكاني الأسلوبي أن يدخل إلى النص الأدبي من أحدها دون الاثنين الآخرين، وإن كان بحاجة دائما إلى تضافرها كلها من أجل فهم شامل وكامل للنص الأدبي المدروس.

---

[1] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، مصر، ط1(1419هـ/1998م)، ص102.

الأسلوبية والعلوم العربية:

1/ علاقة الأسلوبية بالبلاغة العربية: إن تحديد علاقة الأسلوبية بأي علم قد يكون أمرا يسيرا غير أن تحديد هذه العلاقة وإبراز الحد الفاصل بينهما وبين علم البلاغة أمر يحتاج إلى وقفة أطول[1]، فالأسلوبية تعتبر أحد أهم مناهج النقد الأدبي الحديث الذي تعتبر البلاغة شريكا فاعلا في درسه النقدي والأسلوبي، ولعل هذا ما يجمع البلاغة والأسلوبية ويوثق الصلة بينهما، فالبلاغة كما يتناولها أشهر تعريف لدى القدامى هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولعلنا نلاحظ أن كلمة مقتضى الحال هذه هي ما يعبر عنها في الأسلوبية بالموقف، وعليه فكل من علم الأسلوب وعلم البلاغة يريان أن هناك طرقا جديدة للتعبير عن المعنى، ويقوم الكاتب باختيار إحدى هذه الطرق بما يرى أنه يتناسب مع الموقف[2].

ولكن إذا تتبعنا دراسة علم البلاغة للخطاب لوجدناها في حقيقة الأمر دراسة جزئية قائمة على المعيارية واستصدار الأحكام التقييمية مفضلة بذلك الشكل على المضمون ومتبعة مبدأ التخطئة والتصويب، وهو الأمر الذي جعلها تصاب بشيء من العقم في استنطاق النصوص الأدبية وتشريحها، وربما هذا هو الأمر الذي عجل بظهور الأسلوبية كعلم سليل للسانيات (دي سوسير) الداعية إلى دراسة اللغة دراسة عملية وصفية تزامنية، فمثلت الأسلوبية على هذا الأساس "علماً جديداً نسبيا حاول تجنب المزالق التي وقعت فيها البلاغة القديمة من حيث إغراقها في الشكلية، ومن حيث اقتصارها على الدراسة الجزئية بتناول اللفظة المنفردة ثم الصعود إلى الجملة الواحدة أو ما هو في حكم الجملة الواحدة، وهذه الدراسة البلاغية كانت يوما ما أداة للنقد في تقييم الأعمال الأدبية حين كانت الدراسة المعيارية المعتمدة استصدار الأحكام الآثارية الأدبية"[3].

وعلى هذا الأساس اعتبرت الأسلوبية كخليفة للبلاغة، وذلك لعلاقاتها بالدرس اللساني الحديث بوصفها منهجا وصفيا علميا يبتعد عن المعيارية وإصدار الأحكام المخطئة أو المصوبة كما

[1] شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الجيزة العامة، مصر، ط2(1413هـ/1992م)، ص43.

[2] المرجع السابق، ص43.

[3] محمد عبد المطلب البلاغة والأسلوبية، ص259-260.

عرف عن البلاغة، إضافة إلى جنوحها إلى تعليل الظواهر بعد أن تقرر وجودها، وابتعادها عن الغاية التعليمية.

ولعل أبرز من اهتم بتحديد الفروق بين البلاغة وعلم الأسلوب من العلماء العرب الدكتور عبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوبية والأسلوب"، وصلاح فضل في كتابه "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته"، وكذلك سعد مصلوح في بحثه "مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية"، وغيرهم.

وقد أورد الدكتور رابح بوحوش في كتابه اللسانيات وتحليل النصوص عدة آراء لباحثين وعلماء تناولوا فيها التفريق بين العلمين، ومنهم بيير جيرو الذي يقر بأن الأسلوبيات بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف[1].

وكذلك جورج مونين الذي رأى أن كل أسلوبيات تفضي إلى بلاغة، وأن كل نظرية لا تفسر لماذا تصبح كل أسلوبيات بلاغة، لن تبلغ منابع سر الأسلوب الحقيقية، وذلك لأن "الأسلوبيات والبلاغة يقيمان منذ زمن علاقات وطيدة، تتقلص الأسلوبيات أحيانا حتى لا تعدو أن تكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي، وتنفصل هنا عن هذا الأنموذج، وتتسع حتى تكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها مختزلة"[2].

ويرى الدكتور فتح الله سليمان أن هذه العلاقة بين البلاغة والأسلوبية إنما هي قائمة أساسا على أن كلا منهما يبحث في الأدب، غير أن الأسلوبية تتعامل مع النص بعد أن يولد في حين أن البلاغة تكون دائما موجودة قبل ولادته.

ويمكن اختصار كل هذه الآراء ووجهات النظر عند الأسلوبيين والنقاد في مجموعة من النقاط المفرقة بين العلمين والمرتبة كالآتي:

[1] رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009م، ص55.

[2] المرجع نفسه، ص56.

- الفرق الأهم والأساسي بين العلمين هو أن علم البلاغة علم لغوي قديم في حين أن علم الأسلوب علم لغوي حديث، وهذا ينجر عنه نظرة كل منهما إلى اللغة، والمنهج المتبع في دراستهما، فالعلوم اللغوية القديمة عموما تنظر إلى اللغة على أنها شيء ثابت، في حين تتبع العلوم اللغوية الحديثة تطورها وتغيرها عبر العصور، وعليه فالقوانين التي تصل إليها البلاغة هي قوانين مطلقة لا تراعي الاختلاف بين عصر وعصر، أو بين بيئة وبيئة، أو بين أديب وأديب، وهو ما يخول لها تصويب أو تخطئ كل ما يخرج عن تلك القوانين، ولكن علم الأسلوب يخرج من دائرة الحكم بالصواب والخطأ لأن قوانينه مبنية على أساس وجود اختلافات بين العصور والبيئات والأدباء، ومنه فهو يلحظ تلك الظواهر ويقر بما أصابها من تغير، ويحرص في الوقت ذاته على بيان دلالاتها في نظر قائليها وقارئيها، ولكن دون أن يحكم عليها بالصواب أو الخطأ[1].

- علم البلاغة علمٌ معياريٌ في حين أن علم الأسلوب علم وصفي، وعليه، تختلف الغاية التي يصبو إليها كلا العلمين، فغاية البلاغة تشريعية تعليمية عملية بينما غاية الأسلوبية بحثية تشخيصية وصفية، وهذا ما جعل علم البلاغة طارئا قبل ولادة النص أصلا، أما علم الأسلوب فهو يلي ولادة ذلك النص ويحلله بحثا عن مميزاته وخصائصه الأسلوبية.

- يتمثل الفرق الثالث بين العلمين في نظرة كل منهما إلى (الموقف) الذي هو (مقتضى الحال) في علم البلاغة، فبالرغم من التقارب الشديد بين المصطلحين على أساس أنه يمكن أن نطلق على كليهما مصطلح (ظروف القول) إلا أن هناك فروقا بينهما، فلأن البلاغة قد نشأت في ظل سيادة المنطق اهتم البلاغيون بالحالة العقلية للمخاطب والمتلقي، في حين أن الأسلوبيين اهتموا بالحالة الوجدانية لهما تأثرا بعلم النفس الذي غزا جميع ميادين ومناهج البحث الحديثة.

- وعلينا أن نقر باتساع آفاق علم الأسلوب بالمقارنة مع آفاق علم البلاغة، فهو يهتم بدراسة الظاهرة اللغوية في جميع مستوياتها، بدءا بالمستوى الصوتي وصولا إلى المستوى الدلالي أو مستوى

[1] شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، ص44-45.

المعنى، ويدرسها في حالة البساطة وفي حالة التركيب[1]، أما البلاغة فهي تعتمد على المثال المجزأ والجملة المفردة، ولا تتعداهما إلى معالجة نص أو خطاب في تكامله[2]، كما أن علم الأسلوب لا يقوم بمزج العصور مع بعضها بعضا في تتبعه للظاهرة اللغوية كما تفعل البلاغة، بل إنه يقوم بتتبع الظاهرة على مر العصور.

- ولعل اعتماد البلاغة على الأمثلة المجزأة هو ما يجعلها تتجه وجهة اصطفائية في تخير مادتها المراد فحصها، حيث تتخير الجيد من الكلام فقط، بينما تهتم الأسلوبية بكل النصوص، وتركز على التجليات الأسلوبية فيها، أي أنها لا تهتم بالإمكانيات التعبيرية للغة بصفة عامة، كما هو الحال في علم البلاغة، بل زيادة على ذلك تركز على ما يميز أسلوبا عن أسلوب آخر من خصائص توجد في أحدهما ولا توجد في الآخر.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن البلاغة وإن كانت قاصرة على الوصول إلى ما وصلت إليه الأسلوبية كعلم حديث إلا أنها تعتبر الأساس الأول والمصدر القيم جدا الذي نهلت منه الأسلوبية، وهذا ليس انتقاصا من قيمة هذا العلم البلاغي وإنما هو شهادة له بالأسبقية والديمومة المتمثلة في ثوبه الجديد المسمى بالعلم الأسلوبي.

2/ الأسلوبية والنحو: تعتبر الدراسة النحوية الخالصة دراسة معيارية، وهو ما يعني أن الغاية منها هي بيان الصواب من الخطأ في الاستعمال دون أن نهتم بجودة تعبير ما بالمقارنة مع تعبير آخر مع اتفاقهما في الصفة، وترك هذا الأمر لعلم البلاغة في فرع علم المعاني بالضبط الذي يهتم بمراعاة ما تؤديه التراكيب المختلفة من اختلاف في المعنى.

وهذا هو ما أسماه عبد القاهر الجرجاني ب(النظم)، حيث يقول: "لا نظم في الكلم حتى يعلق بعضه ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"[3]، ويقول: "وليس النظم

[1] المرجع نفسه، ص46-47-48.

[2] صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، ص139.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص55.

إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله"[1]، "فلست بواجد شيئا يرجع صوابُه -إن كان صوابا- وخطؤُه -إن كان خطأ- إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له[2].

وهذه النظرة الجرجانية لنظم الكلم إلى بعضه بعضاً، واختلاف المعنى من اختلاف ذلك الترتيب هو ما أفضى إليه علماء النحو التحويلي التوليدي في العصر الحديث، حيث يرون أنه إذا كانت أصوات اللغة ومفرداتها متناهية فإن التراكيب المبنية على أساس تلك المفردات غير متناهية[3].

إن ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في علاقة النحو بالمعنى إنما هو في حقيقة الأمر امتداد لما توصل إليه قبله القاضي عبد الجبار الذي يقول في ذات السياق: "اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع"[4]، على أنا نعلم: أن المعاني لا يقع فيها تزايد، فإذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عنده الألفاظ، التي يعبر بها عنها، فإذا صحت هذه الجملة، فالذي به تظهر المزية ليس إلا الإبدال الذي به تختص الكلمات، أو التقدم والتأخر، الذي يختص الموقع، أو الحركات التي تختص الإعراب، فبذلك تقع المباينة"[5].

ومن هنا تظهر العلاقة الوثيقة بين علم النحو وعلم الأسلوب، هذا الأخير الذي يحاول أن يترصد الاختيارات التي يقع عليها الأديب من بين مجموع الألفاظ والتراكيب التي يؤثرها على غيرها،

---

[1] المرجع نفسه، ص81.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص82-83.

[3] محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، دار الدعوة للطبع والنشر، مصر، ط1، (1409هـ/1988م)، ص15.

[4] القاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسترآبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: أمين الخولي، دار الكتب المصرية، (د ط)، (د ت)، ج16، ص199.

[5] المصدر، نفسه، ص199-200.

فمصطلح الاختيار الذي يتناوله علم الأسلوب هو ما عبر عنه القاضي عبد الجبار بمصطلح (الإبدال)[1].

وعليه فإن العلاقة بين العلمين هي علاقة بارزة، حتى إنه قد يصل الأمر بالبعض إلى الاعتقاد أن الأسلوب لا تتضح معالمه ولا يعرَّف إلا بالرجوع إلى علم النحو، "ولهذا يقال عموما في هذا السياق إن إمكانية التحديد الدقيق في النحو لكل من الصيغة والوظيفة تعني في النهاية إمكانية تقديم أحكام ملائمة عن الأسلوب، تمهد السبيل إلى الكشف عن ماهية التراكيب والمقولات اللغوية في النص"[2].

ويعتبر النحو هو العلم ذو الإسهام الأكبر في الدرس الأسلوبي، فالنحو هو الذي ينقل المعاني، ومنه فهو ليس شيئا تكميليا، بل هو أمر أساسي يسهم في نقل الأفكار[3].

ويذكر الدكتور محمد عبد الله جبر جملة من التغيرات التي يهتم علم الأسلوب برصدها والتي من بينها: الجملة الإسمية أو الفعلية مع ما في كل واحدة من خصائص، ومجيء الخبر في الجملة الإسمية مفردا أو جملة فعلية أو جملة إسمية، أو تقدمه لغير ضرورة نحوية، وإضافة اسم الفاعل إلى مفعوله أو عمله فيه بالنصب وما في الحالتين من توجيه للمعنى، والاستفهام وما يتطلبه من ترتيبات خاصة، وذكر الضمير العائد في جملة الصلة أو حذفه، وتقدم المفعول به عن الفاعل لمقتضيات صرفية أو بدونها وما في ذلك من زيادة المعنى، وقضايا الحذف ومخالفة الترتيب، وكذلك قضايا الذكر واستخدام بعض أنواع التوزيع بكثرة، مثل: البدل المطابق وعطف البيان، أو استخدام مكملات للجملة سائدة على ركنيها مثل المفعول المطلق والحال وتمييز النسبة[4].

مفهوم الأسلوبية ومبادئها.

1/ مفهوم الأسلوبية:

---

[1] ينظر: محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنحو، ص16.

[2] فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، ط1(1424هـ/2003م)، ص109.

[3] محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنحو، ص18.

[4] المرجع نفسه، ص19.

تعتبر كلمة "أسلوبية" من المصطلحات التي كثر الحديث حول مفهومها، ذلك أن العلماء وعلى اختلاف مشاربهم- لم يتفقوا إلى حد الآن على تعريف واحد لهذا المصطلح، ولعل أبرز أسباب اختلافهم في ذلك هو حداثة هذا العلم كتعبير عن علم قائم بذاته له مناهجه وإجراءاته، بالإضافة إلى تعدد الاختلاف الذي تؤكده تلك التشعبات التي انتابت تحديد وتعريف موضوع الأسلوبية ذاتها، ألا وهو "الأسلوب"، ومن هنا اختلفت تعاريف "الأسلوبية" كعلم باختلاف تعاريف "الأسلوب" كموضوع لهذا العلم، ولعل من أبرز هذه الأسباب التي عمقت هذا الشرح في وضع تعريف دقيق للأسلوبية هو العلاقة الكبيرة التي تجمعها بباقي العلوم كعلم البلاغة وعلم اللغة... إضافة إلى اختلافات أخرى طفت على السطح، والتي من بينها ما تعلق بالتفريق بين "الأسلوبية" و"علم الأسلوب"، والذي يقودنا بدوره إلى الفصل بين "علاقة الأسلوب" و"الأسلوبي" وهنا يقول يوسف أبو العدوس "وإذا كنا نتحدث عن الأسلوب والأسلوبية فمن الجدير بالذكر أن نفرّق بين عالم الأسلوب والأسلوبي، فمن حلل النص تحليلا لغويا ليلحظ جماليته ليس أسلوبيا وإنما هو عالم أسلوب، وهنا يتضح جليا أن مصطلح أسلوبية يختلف عن مصطلح علم الأسلوب، لأن علم الأسلوب يقف عند تحليل النص بناء على مستويات التحليل وصولا إلى علم بأساليبه بينما الأسلوبية هي التي تتجاوز النص المحلل المعلومة أساليبه إلى نقد تلك الأساليب بناء على منهج من مناهج النقد"[1].

غير أن هذا التفريق بين "الأسلوبية" و"علم الأسلوب" ليس في حقيقة الأمر سوى اختلاف في ترجمة المصطلح الغربي "stylistics" بين المشارقة والمغاربة وما تشديد الخناق والتكلف الزائد في محاولة الفصل بينهما إلى سبيل الزج بهذا المصطلح في دائرة الغموض والإبهام كما يرى العديد من الباحثين.

وتفاديا لهذا التشعب وتماشيا مع ما قاله أكثر العلماء فإننا في بحثنا هذا نسلم بوحدة المعنى الذي يكتنف مصطلحي "الأسلوبية" و"علم الأسلوب".

[1] يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط1، دار المسيرة، عمان، ط1(1427هـ/ 2007م)، ص37.

ويورد محمد عناني في معجمه (المصطلحات الأدبية الحديثة) تحديدا لعلم الأسلوب مستقيا إياه من معجم أوكسفورد، ورابطا إياه بمعنى الأسلوب حيث يقول: "تعريف الأسلوب الذي يورده معجم أوكسفورد الكبير (المعنى رقم13) هو الذي يعنينا هنا وهو: "طريقة التعبير المميزة لكاتب معين (أو لخطيب أو متحدث)، أو لجماعة أدبية أو حقبة أدبية، طريقة الكاتب في التعبير من حيث الوضوح والفعالية والجمال وما إلى ذلك"[1].

وقد تطورت دراسة الأسلوب في هذا القرن حتى أصبحت مبحثا علميا يقع على الحدود بين دراسة اللغة ودراسة الأدب، وإن كان التحليل الأسلوبي لا يقتصر على النصوص الأدبية، وهو مهم لدارسي الأدب بسبب المصطلحات والمفاهيم اللغوية التي أدخلها إلى النقد الأدبي، ويمكن وضع فئات لطرائق التناول استنادا إلى المبادئ التالية: مقصد الكاتب أو المتحدث (كقولك أسلوب فكاهي)، تقييم لواقع الحال (أي نطاق الأعراف)، الزاوية الجمالية (مثل وصف الأسلوب والزخرفة اللفظية)، مستوى اللغة (الأسلوب الفصيح) أي الذي يستخدم الفصحى، أو العامي (الذي يستخدم العامية)، أو الطبقة الاجتماعية (مثل أسلوب أبناء المدن أو أبناء الريف) وهلم جرا، وعلماء اللغة يعتبرون هذه الفئات تصنيفات غير دقيقة بطبيعة الحال، ولا شك أن الدراسة العلمية للأسلوب تضع أسسا موضوعية يمكن الاستناد إليها باطمئنان، ومعايير محددة للحكم على الأسلوب، من خلال التحليل الإحصائي مثلا للتراكيب والألفاظ والنحو.

ومن هذه الزاوية تعتبر الأسلوبية وسيلة علمية لتوكيد صحة انطباع الناقد، أي أن منهجها يعقب الحكم النقدي، ولكنها قد تستخدم في حالات أخرى لاستكشاف جوانب في النص قد يدركها القارئ وقد لا يدركها"[2].

وقد عرف شارل بالي الأسلوبية تعريفا اصطلاحيا في بادئ الأمر، لم يتوغل في ماهيتها الحقيقية، ذلك أن هذا العلم كان في بدايته الأولى، حيث حدد مجالها أو معالمها الموجود بحسبه بين

[1] محمد عناني، المصطلحات الادبية الحديثة دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط3، 2003م، المعجم، ص106.

[2] المرجع السابق، ص106-107.

علم اللسان والأدب قائلا: "طالما أنه لا يمكن النفاذ إلى جوهر الأثر الأدبي إلا عبر صياغاته الإبلاغية فإن الأسلوبية تتحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الأسلوب"[1].

وموقف بالي من الأسلوبية هو نفس الموقف الذي تبناه بعده ميشال ريفاتير الذي عرف الأسلوبية بقوله: "بأنها منهج لساني هدفه الكشف عن العناصر المميزة التي يعتمدها المرسل لمراقبة حرية الإدراك لدى القارئ بفرض وجهة نظر ما، أي حمل الذهن على فهم بعينه.

ونلاحظ هنا كيف عدلت الأسلوبية عن الصرامة اللسانية لتصبح أكثر ليونة كونها تتراجع ضمنيا عن طروحات سابقة لتبحث عن العلاقة بين كيفية القول ومحتوى الصياغة، وبذلك سنقوم بعملية توفيقية تجمع ما بين العلمي والفني في علاقتهما بالجانب الجمالي بحثا في كيفية الإثارة.

يرى شارل بالي أن الأسلوبية "تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية"[2]، وقد أورد منذر عياشي بدوره تعريفا للأسلوبية رابطا إياها باللسانيات ربطا قويا، واعتبر الأسلوبية فرعا من فروع النظرية العامة للسانيات، فهو يعتبر أن تطور اللسانيات وملامستها للعلوم الاجتماعية بأنواعها هو السبب الذي جعل الأسلوبية تلتحم بالأدب، "فصارت بها أداة هامة من أدوات النقد وتحليل النصوص... ودراسة الخطاب وتصنيفه" ثم تطورت الأسلوبية حسبه بعد ذلك حتى صارت "علما له خصوصياته، لكنها لم تقو على مغادرة اللسانيات، فظلت فرعا من فروعها"[3].

وسيرا في نفس الاتجاه يعرف عبد الله جبر في كتابه الأسلوب والنحو الأسلوبية بقوله: "وعلم الأسلوب فرع من فروع الدرس اللغوي الحديث، يهتم ببيان الخصائص التي تميز كتابات أديب ما، أو تميز نوعا من الأنواع الأدبية بما يشيع في هذه أو تلك من صيغ صرفية مخصوصة أو أنواع معينة من الجمل والتراكيب، أو مفردات يؤثرها صاحب النص الأدبي"[4].

ويلخص يوسف أبو العدوس نظرة الأسلوبية إلى النص في عناصر ثلاثة:

---

[1] عبد السلام المسدّي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط31977م، ص34.

[2] ينظر: منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار نينوى، دمشق، ط1، (1436هـ/2015م)، ص33.

[3] فرحان بدري العربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2000م، ص94.

[4] محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنحو، ص6.

- ✓ **أولا:** العنصر اللغوي الذي يعالج نصوصا قامت اللغة بوضع شيفرتها.
- ✓ **ثانيا:** العنصر النفسي، ويتمخض عنه إدخال المقولات غير اللغوية في التحليل، كالمؤلف والقارئ، والموقف التاريخي، وهدف الرسالة.
- ✓ **ثالثا:** العنصر الجمالي الأدبي، ويكشف عن تأثير النص على القارئ، وعن التفسير والتقويم الأدبيين له[1].

ومن خلال هذا الطرح الموجز لمعنى الأسلوبية يتضح الفرق بينهما وبين موضوعها (الأسلوب) في ثلاث نقاط أساسية هي كالآتي[2]:

- ✓ **أولا:** الأسلوب وصف للكلام، أما الأسلوبية فهي علم له مناهجه وقواعده.
- ✓ **ثانيا:** الأسلوب إنزال للقيمة التأثيرية منزلة خاصة بالسياق، أما الأسلوبية فهي الكشف عن تلك القيمة التأثيرية من ناحية جمالية ونفسية وعاطفية.
- ✓ **ثالثا:** الأسلوب هو التعبير اللساني والأسلوبية هي دراسة التعبير اللساني.

وتجدر الإشارة هنا إلى الدور الكبير الذي لعبه اكتشاف علم العلامات "السيميولوجيا" في تطور الأسلوبية، وقد كان ذلك على يد كل من بيرس، ودوسوسير، حيث قام بيرس بدراسة الرموز ودلالاتها وعلاقاتها مع جميع الأشياء والموضوعات الإنسانية والطبيعية[3].

وفي وسط هذا التشعب الكبير في الاتجاه بالدراسات الأسلوبية بين العقلية والانطباعية، بين التنظير والتقعيد العلمي، بين النظري والتطبيقي، تهيأت رؤية جديدة تفصل الأسلوبية عن علم اللغة وتجعلها علما وفنا قائما بذاته له مناهجه واتجاهاته الخاصة، وهو علم أكد على الأهمية الكبيرة للعلاقة القائمة بين الأدب واللغة، أو بين النص الأدبي وطبيعته اللغوية.

2/ مبادئ الأسلوبية:

---

[1] يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص38.

[2] محمد بن سعيد اللويمي، في الأسلوب والأسلوبية، مطابع الحميضي، السعودية، ط1، 2005م، ص42.

[3] محمد عبد المطلب، الأسلوب والأسلوبية، ص186.

على خلاف اللسانيات التي تقوم بدراسة اللغة في ذاتها ولذاتها من خلال ما يقوله المؤلف، فإن الأسلوبية تقوم بدراسة الكيفية التي يقول بها المؤلف لغته، فيتضح من خلال هذا أن العنصر التأثيري للأدوات البلاغية التي يوظفها الكاتب في نصه هو ما تجنح إليه الدراسة الأسلوبية.

إن ما تجدر الإشارة إليه قبل الخوض في تفصيل محددات الأسلوب في الأسلوبية هو أن التناول الأسلوبي إنما ينصب على اللغة الأدبية بما تمثله من تنوع فردي في أداء المعنى بطريقة واعية واختيار مقصود يستهدف التأثير والإقناع لدى القارئ، ولما للغة الأدبية كذلك من أشكال وانحرافات عن المستوى العادي المألوف، وذلك بخلاف اللغة العادية التي لا تحتوي على عنصر التميز، فهي تتناول بتلقائية في الحياة اليومية وبشكل دائم.

ولقد عمل النقاد الأسلوبيون المعاصرون على التمييز بين أسلوب وآخر، وذلك عن طريق رصد أساليب الكتاب، وتحديد تفردهم واختلافهم الواحد عن الآخر، وقد اعتمدوا في ذلك على ثلاثة محددات ومبادئ هي: الاختيار، والتركيب، والتوزيع.

1) **الاختيار**: تعتبر اللغة خزّانا جماعيا ضخما بما فيها من مفردات متعددة ذات دلالات متفاوتة، يعود إليها المبدع لانتقاء ألفاظه كي تمثل وعاء لأحاسيسه وانطباعاته ومشاعره.

وإذا كانت اللغة الأدبية لغة متميزة فإن ذلك التميز دليل على أن الشاعر أو الناثر قد اختار من ذلك المعجم اللغوي الضخم كلمات بعينها كي يتمكن من تأدية رسالته وإحداث الأثر المرجو منها، وبالتالي التواصل مع المتلقي.

واستخدام الكاتب للفظة واحدة من بين مجموعة من البدائل هو ما يسمى ب: الاختيار، وهو من أهم المحددات التي يقوم عليها تحليل أسلوب المبدع، هذا التحليل الذي يحاول الإجابة عن التساؤل الآتي: ما هي العلل والأسباب الكامنة وراء هذا الاختيار؟.

"مبدأ الاختيار أو الانتقاء يمثل خاصية من خصائص الأسلوبي، وإذا كانت اللغة تحتوي مفردات محددة تتركب منها أعداد لا تحصى من العبارات والجمل فإن القضية المثارة هي البحث عن الدلالات المتعلقة بأسباب اختيار جملة بدلا عن جملة أخرى، وتفضيل تركيب عن تركيب سواه"[1].

ويأخذ الاختيار صورا مختلفة، فالكاتب يجد نفسه أمام بدائل عديدة، وعلى مستويات مختلفة كذلك، فالاختيار إما أن يقع بين مفردة ومفردة "المستوى المعجمي"، أو بين تركيب وتركيب "المستوى النحوي"، وقد يكون كذلك بين تعبير مجازي وآخر.

وكما أسلفنا الذكر لا يكون الاختيار بطريقة عشوائية بل إنه يمثل عملية مقصودة تحصل في ذهن المبدع الكاتب، ويحكمها جانبان أساسيان هما: شعوري فردي وجداني تمليه الروح الإبداعية، وآخر جماعي لغوي تفرضه القواعد النحوية والعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع الذي ينتمي إليه ذلك الكاتب، "فالوضوح يتحقق باختيار الكلمات المعينة غير المشتركة بين معان، والتي تدل على فكرة كاملة، والاستعانة بالعناصر الشارحة أو المقيدة أو المخيلة، واستعمال الكلمات المتقابلة المتضادة إذا كان ذلك يخدم المعنى والفكرة والبعد عن الغريب الوحشي، والعمد إلى لغة الناس وما يستطيعون إدراكه"[2].

فالاختيار هو ما حقق الوضوح المنشود الذي يقرب الفهم ويجعل الفكرة مشتركة بين المبدع والمتلقي، وهو الذي يكشف عن خصوصية وفردية ذلك المبدع، وتحاول الأسلوبية أن تقتفي أثره على جميع مستوياته المعجمية والتركيبية والتعبيرية.

2/ التركيب: ويسمى كذلك ب: التوزيع ويقصد به "تنظيم وتوزيع الألفاظ التي تم اختيارها سابقا أو هو كما قال عنه رومان جاكوبسون: إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع"[3].

---

[1] رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1993م، ص120.

[2] عبد السلام المسدّي، الأسلوبية والأسلوب، ص135.

[3] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص186.

وفكرة التوزيع ليست فكرة حديثة، فقد أولى قدامى علماء العرب لها عناية كبيرة، ولعل أبرز من عني بذلك عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن فكرة النظم، فاعتبر أن منافع الكلام التي هي الدلالات على المقاصد لا تحصل إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص.

ويبدوا جليا أن التركيب لا يكون سليما في جميع نواحيه: معجميا ونحويا وصوتيا وصرفيا ودلاليا إلا إذا انطلق من عملية سابقة له ألا وهي عملية الاختيار، فهما مرتبطان ببعضهما البعض أيما ارتباط، لأن دقة الاختيار تسهل على المبدع عملية التركيب، ذلك أنها تمهد له وتوفر له أفضل المفردات التي يسهل تركيبها بعكس ما لو فشل المبدع في اختيار مفرداته، فإنه يجد حتما صعوبة بالغة للربط بينما "ترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسه ولا عن تصوره إلا انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية تركيبا يفضي إلى إفراز الصورة المنشودة، والانفعال المقصود"[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عملية التركيب التي يقوم بها الكاتب إنما تستدعي عمليتين اثنتين هما: الحضور والغياب، فالحضور هو حضور الكلمات التي تم اختيارها، أما الغياب فهو الكلمات الأخرى التي لم يتم اختيارها، والتي تدخل لا محالة في تحديد الدلالة الكلية، لأنها وإن لم تذكر في الكلام إلا أنها تبقى محيطة بالنص، وتخضع عملية التركيب بدورها إلى مقتضيات تفرضها وتوجهها، أهمها: المزاج النفسي للكاتب وثقافته الخاصة، إضافة إلى ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه وهو دائما خاضع لإمرته بطريقة غير إرادية" فكل كاتب له مزاجه النفسي وثقافته المتميزة، كما أن لكل عصر سماته الثقافية، ومزاجه الفكري، ومن ثمة يختلف أسلوب كاتب عن كاتب، كما يختلف أسلوب عصر عن عصر، إن الموقف وطبيعة القول وموضوعه كل ذلك سوف يفرض بالضرورة أداء يختلف عن أداء"[2].

[1] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ط1، 1997م، ص169.

[2] رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، ص49.

ومن أهم المقتضيات التي تفرض نمطا تركيبيا معينا على الكاتب كذلك مقصدية الرسالة، وهي تختلف من نص إلى آخر، أو من عبارة إلى أخرى، وتحدد بعناصر مختلفة ك: التخصيص والتعميم مثلا.

وتقوم الأسلوبية بناء على ذلك بدراسة الانسجام الحاصل بين المفردات والأثر الجمالي والنفسي الذي يتركه في ذهن المتلقي، فهي لا تقف عند حدود بنية التركيب في الخطاب الأدبي، بل تتعداه إلى استقصاء ما يتفرع عن ذلك البناء من أشكال تعبيرية كالتقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير... لكل ظاهرة من هذه الظواهر دلالة خاصة بها بناء على السياق الذي ترد فيه.

3/الانزياح: ويسمى الانزياح عدولا، وقد سماه ابن جني قديما ب: الانحراف، وقد سماه رومان جاكوبسون بـ: خيبة الانتظار[1]، ومن تسمياته كذلك الإبداع والتغيير والخروج... ولهذا المبدأ أهمية خاصة في علم الأسلوب، حتى سمي عند بعضهم بعلم الانحرافات[2].

وقد ورد هذا المصطلح كثيرا في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، ويعنى به:

الخروج عن النسيج اللغوي العادي في أي مستوى من مستويات اللغة، وهو في حد ذاته يمثل ظاهرة أسلوبية يتميز من خلالها مبدع عن مبدع آخر، كل على حسب خروجه عن الكلام المألوف، فلو قلنا مثلا: أمطرت السماء، لكان تعبيرنا هذا تعبيرا عاديا مألوفا، في حين لو قلنا: بكت السماء لخرجنا بذلك التعبير من المألوف العادي إلى غير المألوف غير العادي ولتشكل لدينا عدولا وانزياحا، هو انزياحا بلاغيا يسمى الاستعارة في هذه الحالة.

ويعتبر الانزياح مؤشرا على أدبية النص وشهرته، وتنقسم اللغة بناء عليه إلى قسمين كبيرين هما:

- ✓ **اللغة المعيار:** وهي اللغة العادية النمطية المثالية، المتعارف عليها.

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص164.

[2] محمد اللويمي، الأسلوب والأسلوبية، ص23.

✓ **اللغة الانزياح:** وهي لغة إبداعية مخالفة للنمط المعياري السابق[1].

فالعدول إذا هو مخالفة النمط المعياري المتعارف عليه إلى أسلوب جديد غير مألوف عن طريق استغلال إمكانات اللغة وطاقاتها الكامنة، من خلال هذا يظهر لنا أن العدول يتطلب شرطا أساسيا يجب تقفيه ليصلح العدول، ألا وهو عدم الخروج عن قواعد اللغة، كما على المبدع أن يقوم به بغرض إحداث فائدة للتأثير على السامع، وليس أن يكون عدولا لأجل العدول فقط، فهو ليس غاية في نفسه على الإطلاق.

وتعتمد الأسلوبية في هذا المجال إلى استقصاء أوجه العدول في النص على طول مستوياته وأشكاله المختلفة، وقد قام بذلك العديد من العلماء والنقاد الأسلوبيين، وعلى رأسهم الفرنسي جون كوهن، حيث عمد إلى الكشف عن ملامح الاختلاف بين الأساليب بدءا بمدى انحراف الكتاب عن النمط المألوف، والطقوس المتداولة في الكتابة في سياق نصوصهم الإبداعية.

والعدول ظاهرة تفرضها أفكار وتداعيات خاصة بالنسبة للمؤلف في إطار مواقف محددة تمليها المواضيع المتضمنة في النصوص، حيث "إنه من غير المجدي حصر الكلام في تكرار جمل جاهزة، كل واحد يستعمل اللغة لأجل التعبير عن فكرة خاصة في لحظة معينة يستلزم ذلك حرية الكلام"[2].

وتكمن جمالية الانزياح في توسيعه لمجال التعبير، وإعطائه لبدائل تعبيرية يجنح إليها المبدع في معرض تعبيره بين الفينة والأخرى، متفاديا بذلك التكرار الذي من شأنه أن يعطي النص رتابة مملة، هذه الجمالية هي ما تجعل القارئ يقبل على العمل الفني ويتذوقه بشغف كبير، إلى درجة الاستمتاع والاستثارة الفنية والجمالية.

[1] المرجع نفسه، ص23.

[2] جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص101.

المبحث الثاني: مفاهيم النص والخطاب

مفهوم النص: لغة:

عرفه ابن منظور في كتابه لسان العرب بقوله: نَصص، النَّصَّ: رَفْعُكَ الشَّيْءَ، نَصَّ الحَدِيثَ يَنُصُّهُ نَصًّا: رَفَعَهُ. وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ فَقَدْ نُصَّ.

وَقالَ عَمْرُو بنُ دِينَارٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَنَصَّ لِلْحَدِيثِ مِنَ الزُّهْرِيِّ، أَيْ أَرْفَعَ لَهُ وَأَسْنَدَ.

وَأَصْلُ النَّصِّ أَقْصَى الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ، وَنَصُّ كُلِّ شَيْءٍ: مُنْتَهَاهُ[1].

أما حين نعود إلى الأصل اللاتيني لكلمة نص في اللغات الأوروبية فإننا نجد كلمتي Texte-Text مشتقتين من Textus بمعنى النسيج Tissu المشتقة بدورها من بمعنى نسج.[2]

وهو بهذا المعنى (النسيج) ليس بعيدا عن الثقافة العربية فقد عرفه ابن خلدون بقوله:

"هو عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه تراكيب، أو هو القالب الذي يفرغ فيه... ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، في رصها فيه رصا كما يفعل البنَّاء في القالب أو النَّساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام.[3]

مفهوم النص: اصطلاحا:

استعصى مصطلح النص على التعريف قديما وحديثا إذ كثيرا ما تكاثفت الأسئلة في ماهيته وأقسامه وأغراضه وتمايزه عن أشكال تواصلية أخرى، ومن بين الأسئلة الملحة، أي نص نعني؟ أهو الديني أو الفلسفي أو العلمي أو الأدبي أو اللساني؟ أهو النص المكتوب أو المنطوق؟ أو التراثي أو الحداثي؟ الشعري أو النثري؟ وبازدحام هذه المعاني وتشابكها كان من الضروري أن ننطلق من عمق

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج6، ص4441.

[2] عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2006م، ص17.

[3] ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج2، ص397.

التراث للبحث عن حدود هذا النسق اللغوي، خاصة وأن هذا المصطلح سجل حضورا مركزيا في الذخيرة اللغوية العربية المعرفية.[1]

ولما كانت الرسالة الدينية نصية في شكلها فإنها أسست لكيفية استثمار المقولات الدينية في الحياة الإنسانية، ثم وجهت بطريقة غير مباشرة الفكر العربي للنظر في الكون والوجود بكل أبعاده النفسية والاجتماعية والحضارية والأدبية واللغوية. مما يجعلنا نقر أن الحضارة العربية نصية في مبدئها.[2]

وتعرف خلود العموش النص بقولها: "هو كل كلام متصل ذو وحدة جلية تنطوي على بداية ونهاية، ويتسم بالتماسك والترابط، ويتسق مع سياق ثقافي عام أدرج فيه، وينسجم مع سياق خاص أو مقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللغة، وبين بداية النص وخاتمته مراحل من النمو القائم على التفاعل الداخلي، وهذا التفاعل يؤدي بالنص إلى إحداث وظيفته التي تتمثل في خلق التواصل بين منتج النص ومتلقيه".[3]

فالنص من خلال هذه التعريفات هو عبارة عن نسيج من الكلمات المترابطة بعضها ببعض، الهدف منه تبليغ رسالة ما وخلق تفاعل بين طرفي الخطاب، وهو بهذا المفهوم قريب مما قاله الدكتور إبراهيم خليل في كتابه: "في نظرية الأدب وعلم النص"، إذ يرى بأن النص عبارة عن: "نسيج من الكلمات يترابط بعضه ببعض كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعد في كيان كلي متماسك".[4]

ويعرف الجرجاني النص بقوله: "النص ما ازداد وضوحا عن المعنى الظاهر لمعنى في نفس المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى كما يقال أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم

---

[1] نعمان بوقرة، نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية للحديث، مجلة علامات في النقد، ج61، مج16، جمادى الأولى 1428هـ/ماي 2007م، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص7.

[3] خُلود العُموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق مثل من سورة البقرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، (1429هـ/2008م)، ص22.

[4] إبراهيم خليل: في نظرية الأدب وعلم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010 م، ص220.

بغمي كان نصا في بيان محبته "كما يضيف قائلا: "هو ما لا يحتمل معنى واحدا وقل مالا يحتمل التأويل".[1]

مفهوم النص في المفهوم اللساني: ينطلق رولان بارت من العرف العام ليقف على التعريف الشائع فيقول عن النص أنه: "نسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا".[2]

أما جاك دريدا فهو يقترح تصورا جديدا للنص معتمدا على تاريخ الفلسفة بإلغاء التعارض بين المستمر والمنقطع، فالنص عنده: "نسيج لقيمات" أي تداخلات. لعبة منفتحة ومنغلقة في آن واحد. مما يجعل من المستحيل لديه القيام بجينيالوجيا "Généalogies" بسيطة للنص ما توضح مولده، فالنص لا يملك أبا واحدا ولا جذرا واحدا، بل هو نسق من الجذور، إن الانتماء التاريخي لنص ما لا يكون أبدا بخط مستقيم، فالنص دائما من هذا المنظور التفكيكي –كما يقول جاك دريدا– له عدة أعمار.[3]

ولعل هذا التصور الذي اقترحه جاك دريدا مفاده أن النص لا يموت بفعل الزمن فالنص حي دائما جديد ومتجدد بحسب المتلقي الذي يستقبله وبحسب المقام الذي يرد فيه.

أما آدم سميث Smith فيرى بأن النص: "هو كل تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي، محدد من جهة المضمون ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحها؛ أي يحقق قدرة إنجازية جلية يقصدها المتحدث ويدركها شركاؤه في الاتصال، وتتحقق في موقف اتصالي ما، حيث يتحول كم من المنطوقات اللغوية إلى نص متماسك".[4]

---

[1] بشير ابرير، مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، مجلد 23، العدد1، 2007م، ص115.

[2] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط1، 2002 ص124.

[3] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص220

[4] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص70.

يعني هذا أن الوظيفة الأساسية للنص هي الوظيفة التواصلية وتحقق هذه الوظيفة المرتبطة بتوفر العناصر التي تضمن للخطاب استمراريته ونجاعته من متحدث ومتلق ورسالة تدور بينهما وفق مقام متفق عليه.

أما هاليداي Halliday فينظر للنص على أنه: "الكلام الذي يقال أو يكتب من أجل أن يكون كيانا متحدا ولا عبرة بطوله أو قصره، وهو ترابط مستمر، يوافق فيه محور الاستبدال محور المجاورة، بحيث يتجلى فيه الترابط النحوي على أشده. والعناصر التي يتألف منها لابد أن يتبع بعضها بعضا بطريقة تُيَسِّر على القارئ أو المتلقي، تسلم الرسالة التي يبثها المتكلم، أو الكاتب فيه، ويستوعب محتواه الكلي.[1]

وترى جون ماري سشايفر Jean Marie Schaeffer أن النص: "هو سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية"[2]، فلا يهم النص إن كان جملة أو جزءاً من جملة.

معايير النصية:

يعد مفهوم النصية أو النصانية من المفاهيم التي لاقت ترحيبا واسعا من قبل علماء النص، ويعود الفضل في نشوء هذا المصطلح ودلالاته إلى روبرت دي بوجراند Robert de Beaugrand ولفجانج دريسلر Wolfgange Dresslar في كتابيهما الأول "مقدمة في علم النص" الذي نشر عام 1967م، وعرف المفهوم نضجه التام والحقيقي في كتاب دي بوجراند "النص والخطاب والإجراء" وذلك من خلال المعايير التي وضعها وتطرق لها بالشرح.[3]

وتتمثل هذه المعايير في:

-1- السبك

-2- الالتحام (الحبك)

-3- القصد

---

[1] إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع. الأردن. ط1، 2007م، ص217-218.

[2] منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ص119

[3] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص8.

-4- القبول

-5- رعاية الموقف

-6- التناص

-7- الإعلامية

– **السبك**: وهو خاصية تتجسد من خلال الترابط الظاهري -الشكلي للجمل- حتى يصبح النص متماسكا على مستوى البنية السطحية (التماسك الشكلي).

– **الحبك**: ويتجسد في البنية العميقة وذلك من خلال ترابط الأفكار وانسجامها مع بعضها البعض (التماسك الدلالي).

– **القصد**: بمعنى أن يكون وراء النص غاية وهدفا يرمي المتكلم تبليغه للمتلقي.

– **القبول**: وهو أن ينال النص الذي أنتجه المتكلم قبولا من طرف المتلقي أي أن تنال الأفكار رضى المتلقي لغايات مشتركة بينه وبين صاحب النص.

– **الموقف (المقام)**: ويمكن أن يطلق عليه لفظ السياق وهو بمعنى العوامل التي تؤثر في النص والتي يمكن من خلالها استرجاع هذا النص.

– **التناص**: ويعني العلاقة التي تربط النص بنصوص أخرى مشابهة لها.

ويمكن أن نمثل لمعايير النصية بالمخطط التالي: [1]

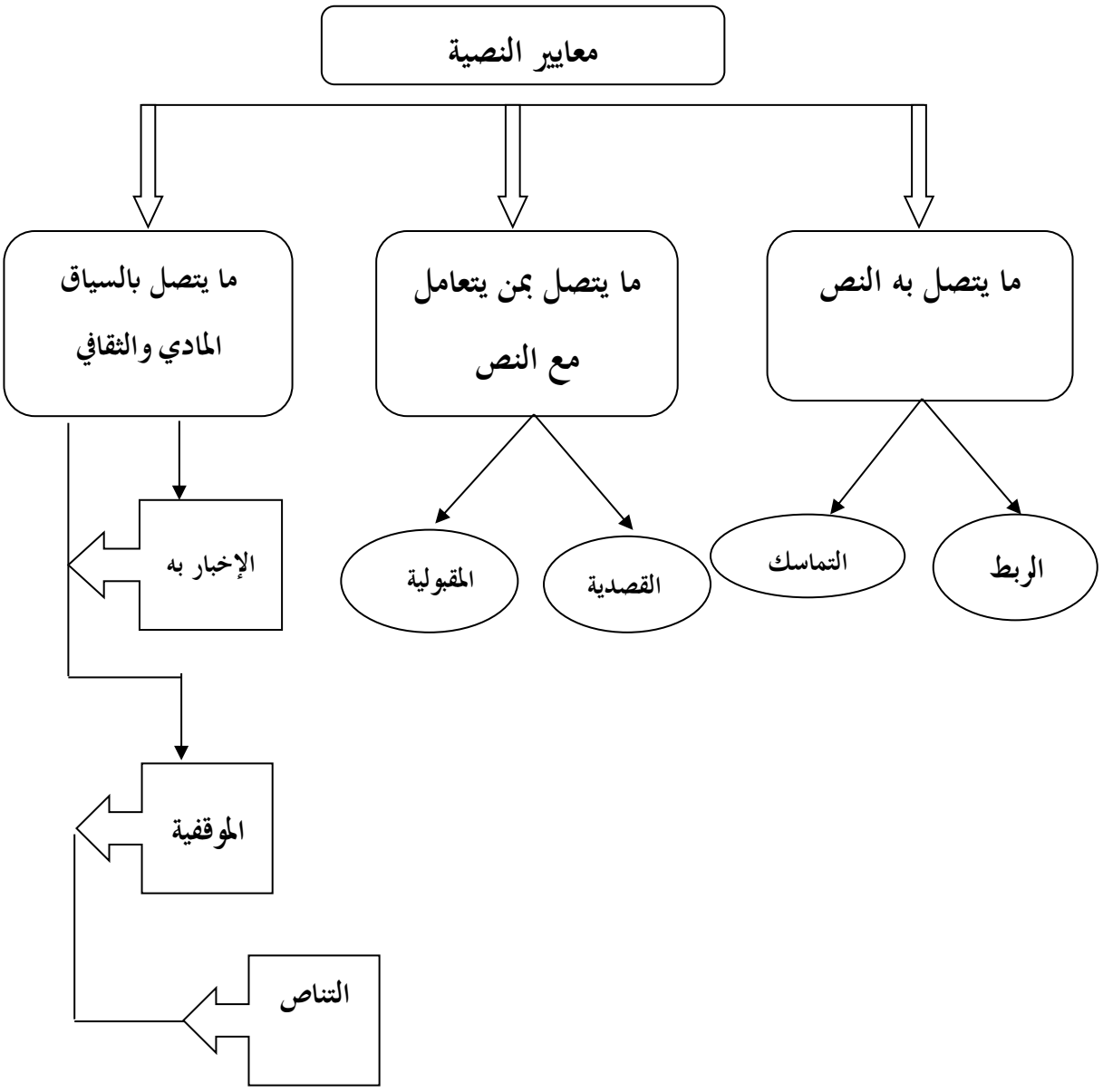

[1] البستاني بشرى حمدي- المختار وسن عبد الغني، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم -دراسة نظرية- مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية -جامعة الموصل، (2011/07/31م)، مج11، ع1، ص181.

الخطاب:

بعد أن فرغنا من تعريف النص ووسائل ترابطه، يجدر بنا الإشارة أيضا إلى مصطلح آخر يستعمله بعض المنظِّرين كبديل للنص أو مرادف له، يتداخل معه إلى حد يصعب التفريق بينهما، إنه مصطلح "الخطاب".

الخطاب لغة: لاشك أن مفهوم الخطاب كغيره من المصطلحات نال منه التعقيد وعدم الوضوح ولمعرفة مدلول استعمال هذا المصطلح في التراث العربي لابد من الرجوع إلى المعاجم وأمهات الكتب القديمة.

وقد ورد في اللسان لابن منظور في مادة (خ.ط.ب) **خَطَبَ**، الْخَطْبُ: الشَّأْنُ أَوِ الْأَمْرُ، عَظُمَ أَوِ صَغُرَ، وَأَنَّ الخِطَابَ وَالمخَاطَبَةَ: مُرَاجَعَةُ الْكَلاَمِ. وَقَدْ خَاطَبَهُ بِالْكَلاَمِ مُخَاطَبَةً وَخِطَاباً. وَهُمَا يَتَخَاطَبَانِ. وَالمخَاطَبَةُ صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن.

قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: وَالذِي قَالَ اللَّيْثُ: إِنَّ الخُطْبَةَ مَصْدَرُ الخَطِيبِ، لاَ يَجُوزُ إِلاَّ عَلَى وَجْهٍ وَاحَدٍ. وَهُوَ أَنَّ الخُطْبَةَ اسْمٌ لِلْكَلاَمِ الذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ الخَطِيبُ، فَيُوضَعُ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ.[1]

ويلاحظ في هذا التعريف أن الخطاب هو فعل إنجازي يتطلب وجود متكلم ومتلقي **الخطاب اصطلاحا:**

إن التداخل الحاصل بين مصطلحي النص والخطاب شكَّل عائقا كبيرا، وقد ظهر هذا التداخل جليا في الدراسات الغربية قبل أن ينتقل إلى الثقافة العربية عن طريق الترجمة.

وقد عرَّفَهُ هاريس على أنه "متوالية من الملفوظات ذات علاقات معينة"[2]، فهاريس حاول إخضاع الخطاب إلى منهجه التوزيعي، فالخطاب عنده عبارة عن متتاليات من الجمل ترتبط فيما بينها بواسطة علاقات معينة التي تتوزع بموجبها هاته الجمل التي تشكل الخطاب.

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ط ب)، مج2، ص1194.

[2] جمعان عبد الكريم، إشكاليات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009م، ص35.

غير أن إيميل بينفينيست رفض هذا الحصر للخطاب كموضوع لساني في الجملة، ويُعرّفه فيقول هو: "كُلُّ تَلَفُّظٍ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[1]، ففي تعريفه هذا يشترط هدف التأثير على المتلقي من قبل المتكلم بطريقة ما. أما دومينيك مانغونو فعرَّفَهُ بقوله: "إن مصطلح خطاب من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على جعل حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد متدرجين في سياقات معينة".[2]

نلاحظ أن مفهوم الخطاب عند دومنيك مانغونو يتم ضمن عملية تفاعلية متبادلة بين طرفين (متكلم ومتلقي) شرط أن تنجز هذه العملية التخاطبية ضمن مقام معين.

وحين نبحث عن مفهوم الخطاب عند اللغويين العرب المهتمين بمجال لسانيات النص نجد عبد السلام المسدّي يعرفه بقوله: "إن ما يميز الخطاب هو انقطاع وظيفته المرجعية؛ لأنه لا يُرجعنا إلى شيء ولا يُبلّغُنا أمراً خارجياً وإنما هو يبلّغ ذاتَه، وذاتُه هي المرجع والمنقول في نفس الوقت"[3]، فالوظيفة المرجعية هي التي تحدد وتميز الخطاب من عدمه.

أما سعد مصلوح فيرى الخطاب: "رسالة من المنشئ إلى المتلقي، تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية المشتركة بينهما، ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموع الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكوّن نظام اللغة".[4]

فالخطاب حسب سعد مصلوح لا تتحقق وظيفته التواصلية إلا من خلال طرفي العملية الخطابية بمجموع الأنماط والعلاقات التي ذكرها.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004م، ص37.

[2] دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، (1428هـ/2008م)، ص38.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص116.

[4] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2010م، ج2، ص68.

بين الخطاب والنص:

إن التمييز بين النص والخطاب يطرح إشكالا كبيرا نظرا لتداخل المصطلحين، ومن الباحثين الذين حاولوا الكشف عن الفرق بين النص والخطاب نجد جوليا كرستيفا في رؤيتها أن "النص يتجاوز الخطاب أو بوصفه أكثر من مجرد خطاب، أو قول لأنه موضوع للعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة لغوية باعتبار أنها مكونة بفضل اللغة"[1].

وقد أجمل محمد العبد بعض الفروق الأولية بين النص والخطاب، وهي الفروق التي تم الإجماع عليها[2]:

- ينظر إلى النص على أنه بنية مترابطة تكون وحدة دلالية، وينظر إلى الخطاب على أنه موقف ينبغي للغة فيه أن تعمل على مطابقته.
- الخطاب أوسع من النص، إذ يتسع لعرض بعض الملابسات غير اللغوية كالسلوكيات مثلا.
- يعد النص في الأصل مكتوبا، والخطاب منطوقا أي متعلق بالكلام المنطوق، ولكن يطلق الخطاب على المكتوب، كالخطاب الروائي كما يطلق النص على المنطوق.
- من مميزات الخطاب ميزة الطول والامتداد والحوارية، إذ يمكنه أن يكون حوارا أو مبادلة كلامية، أما النص فيمكن أن يكون قصيرا إلى درجة أنه يمكننا أن نطلق على كلمة مفردة نصا، وقد يطول حتى يصبح مدونة كاملة كرسالة الغفران.

أنماط الخطاب[3]:

يقترح التنميط التقليدي المتوارث للخطابات تصنيفا فيه من أحد المعايير التالية:

الموضوع والآلية والبنية.

---

[1] عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص (المفهوم-العلاقة-السلطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008م، ص135.

[2] ينظر: محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 2014م، ص10-11.

[3] خطابي محمد عبد الرحمان، لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1434هـ/2013م)، ج1، ص36.

1. تصنف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى (الخطاب الفني) (الإبداعي، الأدبي) إلى قصة ورواية وقصيدة شعر وغيرها.

2. أما من حيث الآلية المشغلة فيميز بين الخطاب السردي والخطاب الوصفي والخطاب الحجاجي.

3. ويعد هذا التنميط مفتوحا وذلك لكونه يحتمل إضافة أنماط أخرى أولا، ومن حيث إن المعايير المعتمدة في وضعه قابلة للتغيير والاستبدال ثانيا.

الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني خطاب إلهي معجز، ومن ثم فهو يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا – وبشكل دائم– لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية.[1]

ويشكل الخطاب القرآني من حيث هو رسالة سماوية نتيجة سلسلة الرسالات التي سبقتها تواصلا مفتوحا على شؤون الإنسان في تجديدها واسترسال تطورها، ذلك التطور الذي هو أساس الوجود في هذه الحياة، ورسالة قرآنية مبنية على معادلة يتفاعل بمقتضاها الأصل الثابت مع الفرع المتغير في جدلية التطور، ومع ذلك ظل الخطاب القرآني يمارس رسالته التبليغية بمنطق تواصلي يرتكز على عقلنة المعطيات في افتراضها وطرحها فكان له فاعلية المحاورة وربط الصلة الفكرية والروحية مع المتلقي.[2] فالخطاب القرآني يتميز عن بقية الخطابات، لهذا

"تنتظم هذا الخطاب وحدة بنيوية خاصة، فهو نظام فكري ونظام لغوي، يمتاز ب – (الاتساق/ الترابط الشكلي) و(الانسجام/ الترابط المعنوي)، فلا يدانيه أي خطاب آخر في نظم دواله، ودقة مدلولاته، وتأليف وتناسق عباراته، إنه خطاب يخاطب العقول ويناجي القلوب، ويحمل

[1] ينظر: لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، (1435هـ/ 2014م)، ص93.

[2] ينظر: سليمان العشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر (د ط)، 1998م، ص181.

مضامين تفصح عن مراد الله في توجيه حياة الناس، إنه خطاب متدفق عبر مسارات الأزمنة والأمكنة المتلاحقة".[1]

ولا يختلف النص القرآني في بنيته ومكوناته عن بنية النص الأدبي العربي من حيث ألفاظه وأنظمة بناء الجملة فيه، ولكن الذي يميز الخطاب القرآني عن النصوص الأخرى هو نظم هذه المفردات وارتباطها بعضها ببعض في أساليب لم يعهدها العربي فجاء نسجا جديدا، فاللفظة والتركيب والسياق تؤلف النسيج الذي يؤدي إلى المعاني المقصودة في الخطاب القرآني[2]، ويقول الخطابي بهذا الصدد: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني".[3]

[1] ينظر: لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، ص95.

[2] ينظر: كريم حسين ناصح عثمان الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دراسة دلالية أسلوبية، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، (د ط)، 2007م، ص21.

[3] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص27.

المبحث الثالث: صيغ القص القرآني

مفهوم القصة القرآنية:

أولا: معنى القصة في اللغة:

مادة "قصص" في اللغة

يقول الإمام اللغوي ابن فارس (ت390هـ): قَصَّ، القاف والصاد أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ، مِن ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، إِذَا تَتَبَّعْتَهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ اشْتِقَاقُ "الْقِصَاصِ" فِي الجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ.

وَمِنَ البَابِ الْقِصَّةُ وَالقَصَصُ، كُلُّ ذَلِكَ يُتتبَّعُ فَيُذْكَر.

وَأَمَّا الصَّدْرُ فَهُوَ القَصُّ، وَهُوَ عِندَنا قِياسُ البَابِ، لِأَنَّهُ مُتَسَاوِيَ العِظَامِ، كَأَنَّ كُلَّ عَظْمَةٍ مِنْهَا يُتبَع للآخَر.

وَمِنَ البابِ قَصَصْتُ الشَّعْر، وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قَصَصْتَهُ فَقَدْ سَوَّيْتَ بَيْنَ كُلِّ شَعْرَةٍ وَأُخْتِهَا، فَصَارَتِ الوَاحِدَةُ كَأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلأُخْرَى مُسَاوِيَةٌ لَهَا فِي طَرِيقِهَا"[1].

ويقول الإمام الرَّاغب الأصفهاني (ت502هـ): "القَصُّ: تَتَبُّعُ الأَثَرِ، يُقَالُ: قَصَصْتُ أَثَرَهُ.

وَالْقَصَصُ الأَثَرُ، قال تعالى: ﴿ **فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا** ﴾ **الكهف: 64.**

والقَصَصُ: الأَخْبَارُ المتَتَبَّعَةُ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾ **آل عمران: 62**[2].

والإمام أبو البقاء الكفوي (ت1094هـ) يقول: "القِصَّةُ: هِيَ الأَمْرُ وَالخَبرُ، وَقَصَصْتُ الحَديثَ: رَوَيْتُهُ عَلَى وَجْهِهِ، ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾-**يوسف: 3**، أَيْ نُبَيِّنُ لكَ أَحْسَنَ الْبَيانِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْخَبرَ قَصَصًا- بالفتح.

---

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص11.

[2] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص404.

وَالْقِصَصُ بِالكَسْرِ: اسْمُ جَمْعِ القِصَّة"[1].

ثانيا: الفرق بين القصص) بالفتح والكسر:

يَقُولُ ابْنُ مَنْظُورٍ: "القَصَصُ: الْخَبَرُ الْمَقْصُوصُ، بِالفَتحِ، وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ. والقِصَصُ، بِكَسْرِ القَافِ: جَمْعُ الْقِصَّةِ التِي تُكْتَبُ"[2].

وقد نقلنا قبل قليل كلام الإمام أبي البقاء الكفوي إذ يقول: "قَصَّ عَلَيْهِ الْخَبَرَ قَصَصًا، بِالْفَتْحِ، وَالقَصَصُ بِالكَسْرِ: اسْمُ جَمْعِ القِصَّةِ"[3].

فإذا كان القِصَصُ –بكسر القاف– جمع قِصَّةٍ، فالإشارة بذلك تكون إلى الأحداث والأخبار والأمور التي جمعتها القِصَّة وحوتها. يقول صاحب تاج العروس: "القِصَّةُ، بِالكَسرِ: الأَمْرُ، والحَدِيثُ، وَالْخَبَرُ، كَالْقَصَصِ بِالْفَتْحِ، والتِي تُكْتَبُ، ج: قِصَصٌ، كَعِنَبٍ، والْأَقَاصِيصُ جَمْعُ الْجَمْعِ."[4].

أمَّا القَصَصُ، بالفتح فهو الخبر المقصوص، فالإشارة هنا تكون إلى طريقة قَصِّ الأخبار وعرض الأحداث، وهو كما قال الكفوي: "قَصَّ عليه الخبرَ قَصَصًا"، بِالفَتْحِ، وليس بِالْكَسْرِ.

والقرآن الكريم استعمل لفظ **القصص)** بالجمع، وقد ورد هذا اللفظ ست مرات– ولم يستعمل إلا بالفتح، ولعل في ذلك إشارة إلى تميُّز طريقة القرآن وأسلوبه في عرض هذه الأحداث والوقائع التي تضمنتها قصصه، كما تميز من قبل بذكر الأحداث والأخبار الصحيحة التي لا خيال فيها.

والدكتور عبده إبراهيم بلبول بعد أن ساق بعض التعريفات اللغوية لمادة (قصص) ذكر أنه تبينت له من ذلك أمور أربعة:

"**الأول**: أن القصص معناه المتابعة، وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى.

---

[1] أبو البقاء أيوب الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص734.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص3651.

[3] أبو البقاء أيوب الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص734.

[4] السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، دار التراث العربي، الكويت، (د ط)، (1399هـ/1979م)، ج18، ص104.

الثاني: إن هذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان، وسرد الأحداث بصدق، والقطع بصحته، فأنت حينما تقص الحديث تقطع بصحته، ولا تزيد فيه ولا تنقص.

الثالث: الاسم من القِصَّةِ "القَصَص" وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ، وَالْجَمْعُ قِصَصٌ بِالْكَسْرِ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ الرابع: كما أنه يُطلَق على القَصِّ البيان والأمر والحديث والخبر يُطلَق عليه الحكاية... ولا تطلق بهذا الاسم (الحكاية) على قصص القرآن تأدبا، لأن الله تعالى لم يُسَمِّه إلا بالقَصَصِ.

أَقَاصِيص، وقَدْ صَحَّ لُغَةً أَنَّهُ جَمْعُ الأُقْصُوصَةِ.

ومع أن القصة تطلق على الرواية، لا يقال لقصص القرآن روايات كما لم يقل له حكايات -لأن الله تبارك وتعالى لم يُسمِّه بذلك"[1].

أما الدكتور صلاح الخالدي فقد ذكر بعد نقل كلام ابن فارس والكفوي والراغب في تعريف مادة (قصص) أن "الخلاصة من الأقوال السابقة أن مادة (قصص) تقوم على التتبع، سواء كان التتبُّعُ ماديا كقص العظام، وقص الشَّعر، وقص الأثر، أو كان التتبعُ معنويا، كقصِّ الأخبار، وقصِّ الكلام. وهذا التتبعُ والقصُّ لابد فيه من أمرين:

الأول: تَتبعُ الشيء أو الخبر كما هو، وعلى وجهه الصحيح الذي حدث عليه.

الثاني: التساوي عند التتبع، والحرص على المساواة أثناء المتابعة، ففي القصِّ المادي تكون المساواة مادية ملحوظة، فقصُّ الشَّعر والحجر والعظم يكون بوضع الجميع على قصٍّ ومقاسٍ واحد، لا يطول ولا يقصُر.

وفي القصِّ المعنوي للروايات والأخبار: لابد من المساواة عند التتبع والمتابعة، بأن يكون الخبر مرويا ومقصوصا كما هو، لا يزيد القاصُّ شيئا من الأحداث والإضافات على الأصل، فعليه أن يكون كلامه مساويا للخبر الواقع من قبل، بدون زيادة ولا نقصان"[2].

[1] ينظر: عثمان فوزي علي، مباحث في الإعجاز القرآني، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص178.

[2] صلاح الخالدي، القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م، ج1، ص20.

وفي الحقيقية أن هذين الأمرين اللذين جعلهما الدكتور الخالدي شرطين للقصص، يعودان لمعنى واحد وشيء واحد، فإن تتبع الشيء أو الخبر على وجهه الصحيح الذي حدث عليه كما هو يقضي التساوي وعدم الزيادة أو النقصان، فما كان ثَمَّ حاجة لذكر هذا التعيين.

ثالثا: استعمال القرآن لمادة (قصص) بالمعنى اللغوي والاصطلاحي:

وردت مادة "قصص" في القرآن الكريم ثلاثين مرة باشتقاقات وتصريفات متعددة، وذلك على النحو التالي:

- في صورة الفعل الماضي: أربع مرات.
- في صورة الفعل المضارع: أربع عشْرة مرة.
- في صورة فعل الأمر: وردت مرتين.
- وفي صيغة "القصص" الجمع ست مرات.
- في صيغة "القصاص" أربع مرات.

وقد اعتمد الدكتور بلبلول[1] في تقسيم المادة التي وردت في القرآن شكلا مختلفا، فقد اعتمد أمرين:

الأول: المعنى اللغوي حيث ذكر أنها وردت مرتين:

في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾ **القصص: 11**، أي تَتَبَّعِي أثرَه.

وفي قوله تعالى: ﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ **الكهف: 63**، أي اقتصاصا وتَتبُعًا لِلأَثَر.

الثاني: المعنى الاصطلاحي، بعد النقل من اللغة، فقد ذكرها القرآن الكريم أربعا وعشرين مرة، منها قوله تعالى:

- ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾ **آل عمران: 62**
- ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ**﴾ **هود: 100**.

[1] عبده إبراهيم محمد بلبول، القصص القرآني، رسالة دكتوراه في التفسير، جامعة الأزهر الشريف، مصر (د ط)، (د ت)، ص37.

وهو على هذا لم يشر إلى المرات الأربع التي وردت بصيغة "القصاص" وكان حريا أن يدخل هذا النوع تحت المعنى اللغوي، فالمادة اللغوية واحدة.

وعليه نحدد الأمر بدقة فنقول إن مادة (قصص) وردت في القرآن بالمعنى اللغوي ست مرات هي:

- آيات القصاص الأربع **البقرة: 294/179/178** و**المائدة: 45.**
- في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾ **القصص: 11.**
- في قوله تعالى: ﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ **الكهف: 64.**

وبالمعنى الاصطلاحي ذكرها القرآن أربعا وعشرين مرة هي ما تبقى من الآيات غير الستة المتقدمة الذكر.

ويمكن استخلاص النتائج التالية من خلال النظر إلى هذه الآيات الكريمة[1]:

أولا: لم ترد كلمة (قصص) منصوبة منونة نكرة في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ **الكهف: 64**، أي مقتصين أثر الأقدام اقتصاصا".

ثانيا: تعدد إسناد **القصص)** في القرآن الكريم إلى أكثر من فاعل:

1. الإسناد إلى الله تعالى، فهو تعالى الذي يقص على رسوله قصص السابقين: ﴿**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ **النساء: 164**، وقد كان هذا أكثر الحالات ورودا، حيث زادت على عشْرِ مرات.

2. الإسناد إلى الرسل في مجموعهم، حيث يقصون آيات الله على الناس، ورد ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا**﴾ **الأنعام: 130.**

[1] ينظر: صلاح الخالدي: القصص القرآني، ج1، ص24.

3. الإسناد إلى موسى عليه السلام، وذلك فيما جرى بينه وبين الرجل الصالح عندما غادر مصر إلى أرض مدين، وقص على هذا الرجل الصالح ما جرى معه، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾، **القصص: 25.**

4. الإسناد إلى رسول الله ﷺ، حيث أمره الله تعالى أن يقص القصص الذي أخبره الله تعالى به ليكون في ذلك العبرة والعظة لهم لعلهم يتفكرون ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ **الأعراف: 176.**

5. الإسناد إلى أم موسى عندما أمرت ابنتها أن تتابع سير التابوت الذي فيه موسى لتعرف أين يستقر بعد جريه في اليم (**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**) **القصص: 11**، على أن لا يلاحظ أن ورود هذا المعنى عما كان بالمعنى اللغوي وليس الاصطلاحي.

ثالثا: وصف قصص القرآن الكريم بأكثر من وصف بيانا لحقيته والغاية منه، فوصف مرة بأنه القصص الحق: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ **آل عمران: 62.**

ووصف أخرى بأن فيه عبرة وعظة: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ **يوسف: 111.**

رابعا: إنه كما تكون الدقة والضبط في سوق أخبار الأنبياء والسابقين وأقوامهم في القرآن الكريم يجب أن تكون الدقة في تحقيق مبدأ القصاص الذي يقضي بتتبع الفعل، فيفعل بالجاني كما فعل هو بالمجني عليه، وهذا فيه إشارة إلى غاية العدل.[1]

[1] ينظر : السيد محمد خير محمود العدوي، معالم القصة في القرآن الكريم، دار العدوي، عمان، الأردن، ط1، 1988م، ص33.

خامسا: من خلال إمعان النظر في دلالات الآيات التي تحدثت عن مادة (قصص) في القرآن يمكن التأكيد على أنها وردت بالمعاني اللغوية[1] التالية:

1. بمعنى الأمر والحديث والخبر المتتبع، ومنه قوله تعالى: **(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) آل عمران: 62،** ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ **القصص: 25،** ﴿**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ**﴾ **الأعراف: 7.**

2. بمعنى البيان والإعلام، ومنه قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ **يوسف:** 3)، أي نبين لك ونعلمك بذلك أحسن البيان وأحسن الإعلام.

3. المتابعة والتتبع للأثر، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ**﴾ **القصص:** 11

وقوله تعالى: ﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ **الكهف: 64**

القصة القرآنية اصطلاحا:

يقول الدكتور محمد حجازي: "فالاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشف عن آثار مضت وتنقيب عن أحداث نسيها الناس، أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد من ذلك هو إعادة عرضها من جديد، لتذكير الناس بها، ولفتهم إليها، لتكون العبرة والعظة"[2].

يقول الدكتور بلبول: القصص القرآني هو "إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفرادا وجماعات من كائنات بشرية، أو غير بشرية، بهدف الهداية والعبرة"[3].

[1] ذكر السيد محمد خير محمود العدوي هذه المعاني وزاد عليها معنيين آخرين، وهما: الحفظ/ والقطع، ينظر كتابه: معالم القصة في القرآن الكريم، ص33، وإنما لم أذكرهما هنا لأنني لم أجد أنه قد ذكر في القرآن الكريم في الاستعمالات اللغوية لمادة (قصص) آية بأحد هذين المعنيين.

[2] محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، 1970م، ص289.

[3] إبراهيم محمد بلبول، القصص القرآني، ص36.

ويعرفها ابن عاشور بقوله هي: "الخبر عن حادثة غائبة عن المخبَر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصا مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم"[1].

ويرى الدكتور عبد الكريم الخطيب أن: "القصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن... فهو –والأمر كذلك– وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة..."[2].

ثم يقول: "هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام"[3].

ويذكر لها السيد محمد خير محمود العدوي تعريفا فيقول: "هي كل خبر موجود بين دفتي المصحف أخبر به الله تعالى رسوله محمدا بحوادث الماضي، بقصد العبرة والهداية، سواء أكان ذلك بين الرسل وأقوامهم، أم بين الأمم السابقة أفرادا وجماعات"[4].

وفي ضوء ما تقدم يمكن تسجيل النقاط المنهجية التالية: –

1. إن المقصود بالقصص يجب حصره في الأخبار الماضية على وقت نزول القرآن الكريم.
2. إن سيرة النبي ﷺ لا تعد من قبيل قصص الأنبياء، لأنها ليس من الماضي الذي حدث قبل نبوته ﷺ، بل هي أحداث ووقائع عايشها المسلمون لحظة بلحظة في حياتهم اليومية.
3. يقول الدكتور بلبول: "وبهذا نرى أن حكاية القرآن عما حدث ليسدنا محمد ﷺ مع قومه لا يعد من قصص القرآن، وذلك كغزواته وزوجاته وما حدث بينه وبين أصحابه، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ**﴾ **طه: 99.**

---

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص64.

[2] عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، (1395هـ/1975م)، ص39.

[3] عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني، ص40.

[4] محمد خير محمود العدوي: معالم القصة في القرآن الكريم، ص33.

4. إن قصص القرآن ليست حصرا في أخبار الأنبياء عليهم السلام، بل تتعدى ذلك لتشمل ما جاء من القصص كقصة أهل الكهف، وأصحاب الجنة، وأصحاب الأخدود... الخ.

مع التأكيد على أن القصص القرآني يضم قصص النبي ﷺ مع قومه، كما سيشير إلى ذلك الدكتور مناع القطان في تقسيمه للقصص القرآني.

أنواع القصص القرآني:

اختلفت تقسيمات العلماء لقصص القرآني، فمنهم من قسمها باعتبار الطول والقصر ومنهم من قسمها باعتبار شخصيات القصة من أنبياء وغيرهم، فجاء تقسيم القصص عند الدكتور مريم عبد القادر السّباعي إلى:

1. قصة طويلة ترد مجزأة ثم تتجمع في موضع واحد مثل قصة نوح عليه السلام، أو ترد مرة واحدة في مكان واحد كقصة يوسف عليه السلام.

2. قصة قصيرة محتوية على بعض العناصر كقصة النمل والهدهد، أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصيرة[1].

أما تقسيمها عند الدكتور مناع القطان فقد كان إلى ثلاثة أنواع:

1. قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد ﷺ.

2. قصص قرآني يتعلق بحوادث مضت، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، ومن ذلك قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السَّبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

[1] انظر: مريم عبد القادر عبد الله السباعي، القصة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1404هـ، ص245.

3. قصص متعلقة بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ، كغزوة بدر واحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.[1]

أهداف القصة القرآنية

للقصة القرآنية أهداف كثيرة، منها:

1. بيان أن الرسل جميعا أرسلوا بدعوة واحدة، وإثبات ترابط الدعوات الإلهية واشتراكها في الدعوة إلى الله تعالى، وإخلاص العبادة لله الواحد القهار، وأداء التكاليف التي أنيطت بالناس.

2. تثبيت فؤاد النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ **هود: 120**، وتخفيف ما أصابه من أذى قومه، وحثه على الاقتداء بالأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ**﴾- **الذاريات: 52-54.**

3. تصديق الأنبياء والتذكير بأحداث الأمم الغابرة والأقوام البائدة الذين حادوا عن صراط الهداية وهدى الأنبياء والمرسلين.

4. بيان أن القرآن من عند الله تعالى وأنه معجز للبشرية، وأن ما اشتمل من قصص للسابقين لا علم للرسول ﷺ به، وإنما علم من لدن الله سبحانه وتعالى، فالرسول عليه الصلاة والسلام صادق فيما يبلغه عن ربه، قال تعالى: ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ **هود:** 49.

5. مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، قال تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ **آل عمران: 93.**[2]

---

[1] ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، (1421هـ/2000م)، ص317.

[2] ينظر: المرجع نفسه، 317-318.

6. تنبيه الإنسان من الغفلة، وإبعاده عن مهاوي الإنحراف.

7. تصويب مناهج الآداب والسلوك، والدفع إلى الحياة الإيجابية بهمة وعزيمة.

8. الترغيب بالتأكيد في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة للمؤمن، والترهيب من غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة للجاحد العاصي[1].

منهج القصة القرآنية وخصائصها

1. منهج القصة القرآنية:

القصة القرآنية تهدف إلى غرض ديني محدد، لهذا جاء أسلوبها متناغما مع هذا الغرض الذي سيقت لأجله، ومن أبرز سمات منهج القصة-أو ما سماه البعض "آثار خضوع القصة للغرض الديني"- مايلي:

أ- الاقتصار على الغرض الديني:

القصة القرآنية لا ترد في القرآن بتمامها دفعة واحدة، بل تقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي تساق القصة لأجله، بعيدا عن الأمور التي لا ينفع العلم بها ولا يضر الجهل بها، فمرة تعرض القصة من أولها ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذاك، لاعتبار أن الهدف الديني هو الأصل في سرد القصة، فقصة إبراهيم عليه السلام وردت في عشرين موضعا، ثم يكون آخر موضع ترد فيه هو سورة الحج فتعرض منها الحلقة التالية:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطهرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: 27-26، ونلاحظ هذا التلاؤم بين موضوع السورة وهذا المشهد، فقد ربطت الآيات بين شعائر الحج في الإسلام وشعائره في دين إبراهيم عليه السلام وهذا هو الغرض المقصود هنا.

[1] انظر: فضل حسن عباس، غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1427هـ/2007م)، ص309-310.

ب- اشتمال القصة القرآنية على العبر والعظات:

الإعلان عن التوجيهات والعظات المستخرجة في ثنايا القصة أو قبلها أو في ختامها يعد من منهج القصة في القرآن الكريم، تأمل قصة يوسف عليه السلام عندما فسر الرؤيا لخادمي الملك ثم يقول لهما: ﴿**ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ **يوسف: 37-38**، فقد ضمن تفسير الرؤى مجموعة من العبر والعظات[1].

ج- التكرار:

"يلاحظ بأن هناك قصصا في القرآن قد تكررت وقصصا لم تكرر، ولعل سر تكرار هذه القصص أنها سيقت لإخبار النبي ﷺ بأمر يجهله، وعلم النبي يثبت من أول وهلة فلا داعي للتكرار"[2]، كإعلامه بما في الطبائع البشرية من حرص على الشر في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته وكيف ألقوه في الجب ثم نجاته ومراودة امرأة العزيز له، "أما القصص التي تكررت في أكثر من موضع فلعل العلة الظاهرة في هذا التكرار هو تثبيت رسول الله ﷺ في دعوته، وحمله على أن يصبر على إيذاء قومه"[3]. ولعل هناك سببا آخر لعدم تكرار قصة كقصة يوسف عليه السلام، وهو حرص الإسلام على صيانة الأعراض، حيث إن القصة فيها محاولة إغراء على جريمة خُلُقية، لذلك فرغ القرآن من سوقها للاعتبار مرة واحدة[4].

---

[1] ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، (1425هـ/2004م)، ص162.

[2] عمر محمد عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، (1413هـ/1993م)، ص35.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص41.

[4] ينظر: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، (1413هـ/1992م)، ج1، ص333.

والتكرار في القصص القرآني له حكم جليلة، منها:

*- إثبات بلاغة القرآن التي تتقاصر عنها جميع البلاغات، إضافة إلى أن تكرار أحداث القصة بهذا الأسلوب المتمايز عن الآخر يجعل القارئ والسامع لا يمل من التكرار بل يتشوق وتنجذب روحه لجوانب أخرى من القصة.

*- بيان قوة الإعجاز، فإيراد المعنى الواحد في صور شتى مع عجز العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها أبلغ في التحدي، "ولا شك في أن إعادة الكلام وتكراره لمعنى واحد مع التشابه في الفصاحة والبلاغة والإعجاز وإصابة المراد في الجمل والعبارات المكررة هو سر من أسرار القرآن الكريم وضرب من ضروب القدرة الكلامية لا يعرف إلا لكتاب الله تعالى"[1].

*- التقرير، وقد ذكر الإمام الزركشي[2] أن الكلام إذا تكرر تقرر، وأن الله سبحانه أخبر بالسبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والأخبار في القرآن، حيث قال تعالى: **(وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) القصص**: 51، وتتضمن هذه الحكمة الاهتمام بشأن القصة، لتثبيت عبرها في النفس، ولولا أهمية أغراض القصة ودلالاتها لما جاء هذا التكرار.

*- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر جوانب من القصة في مقام وجوانب أخرى تكون أنسب لمقام آخر، وتُبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.[3]

2- خصائص القصة القرآنية

القصص القرآني له خصائص ذاتية وفنية، أما الذاتية فمنها:

*- القصص القرآني جزء من كتاب الله تعالى، وهو الحق الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ **الكهف**: 13.

*- القصص القرآني تعبير صادق، قائم على الواقعية، فهو يتفق مع الإنسان في حقيقته وواقعه.

---

[1] ينظر: مريم عبد القادر عبد الله السباعي، القصة في القرآن الكريم، ص108.

[2] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: يوسف عبد الرحمان المرعشلي، الشيخ جمال حمدي الذهبي، الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة، بيروت، ط1، (1410هـ/1990م)، ج3، ص96.

[3] ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص319.

*- التسامي في الهدف، حيث لا يدعى في القصص القرآني إلى شيء إلا ويقصد من ورائه هدف نبيل في غايته ولا ينهى عن شيء إلا وكان للنهي عنه حكمة جليلة[1].

*- موضوع القصص هو الإنسان المستخلف في الأرض بما يدور حوله في الكون وما يحدث له وما ينبغي أن يكون عليه حاله، فهو قطب الرحى في القصة القرآنية مثلما هو قطب الرحى في الكون الذي استخلف فيه.

*- القصة القرآنية ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه كما هو شأن القصة العادية، وإنما هي وسيلة من وسائل القرآن إلى إبراز الأغراض الدينية التي تكفل للإنسان السعادتين[2].

أما عن الخصائص الفنية: فقد قدم القصص القرآني لوحات خالدة وصورا مثيرة تلفت نظر الأعمى والبصير، والأمي والمتعلم، والمرأة والرجل، والشيخ والشاب فهو كتاب العامة والخاصة على السواء[3]، ويعتبر العرض الفني للقصة في القرآن الكريم من أصلح الأساليب لخطاب العامة والخاصة، كما أنه يقدم قناطير مقنطرة من المعاني بعدد قليل من الألفاظ والكلمات[4].

ويمكن إجمال أبرز الخصائص الفنية للقصص القرآني فيما يأتي:

أولا: تنوع طريقة العرض

1- ذكر الملخص قبل القصة، ثم عرض التفصيلات بعد ذلك من بدايتها إلى نهايتها، وذلك كقصة أصحاب الكهف، فالتلخيص في بدايتها كان مقدمة تجذب النفس للتفصيلات، فقد قال ﷻ في مطلع القصة: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي**

[1] ينظر: مريم السباعي، القصة في القرءان الكريم، ص42-77.

[2] ينظر: محمد قطب، القصة في القرآن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، 2002م، ص25.

[3] ينظر: عبد الله محمود شحاتة، علوم القرآن، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 2002م، ص128.

[4] ينظر: عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الأعلام، الأردن، ط1، (1426هـ/2005م)، ص636.

الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ الكهف: 9–12. يقول ناصر مكارم الدين الشيرازي: (الملفت للنظر أن القرآن ذكر في البداية قصَّة هذه المجموعة من الفتية بشكل مجمل، موظفا بذلك أحد أصول فن الفصاحة والبلاغة، وذلك لتهيئة أذهان المستمعين ضمن أربع آيات، ثم بعد ذلك ذكر التفاصيل في (14) آية.) [1] إذ يبين لنا القرآن العظيم كيف بدأت التفصيلات الشائقة توضح تشاورهم قبل دخول الكهف، ثم نومهم ويقظتهم، وإرسال أحدهم إلى السوق، ثم موتهم واختلاف الناس في أمرهم.

2- ذكر عاقبة القصة وهدفها، ثم بدايتها وسير خطواتها، مثال ذلك، قصة يوسف عليه السلام.

من أوجه الاختلاف بين القصة الدينية والقصة الفنية:

وكما تمتاز القصة القرآنية عن غيرها من القصص في الكتب الدينية فهي تمتاز أيضا عن غيرها من القصص الفنية التي تنسجها أيدي البشر ذلك "أن القصة القرآنية تشيع فيها التعليقات التي تلخص مغزى القصة، التي تسبق سرد أحداث القصة، أو تلحق السرد، أو تأتي خلاله لتفسر أسباب تلك الأحداث بما يبررها، حتى يكون لها وقعها في النفوس بما يستخدم في التعقيب عليها من أساليب التذكير والوعظ والزجر، ومن الأمثلة على ذلك طريقة عرض قصة أهل الكهف إذ تلتقي بملخصها في ثلاث آيات ثم يأتي التفصيل.

فالقصة القرآنية تركز على إبراز المغزى في حين لا يجوز ذلك في القصة الفنية، والمحلل الأسلوبي لا يحتاج إلى تبرير مثل هذا المنهج الذي يتناسب مع غايات القرآن الكريم الدينية، فالقصة القرآنية قصة إيمان، وهدفها تربية العقيدة في الوجدان الإنساني، والقرآن الكريم جاء لكل العقول والاتجاهات، وبعض الناس قد لا يستطيع استنتاج العبرة من القصة، فكان لابد من إرشاده إلى الغرض الذي تجسده بأسلوب يغلب عليه التبسيط أحيانا لتوضيح العبرة ليفهمها كل إنسان.

ولكن هذا لا يعني أن القصة القرآنية تأخذ بالتقرير والمباشرة وإنما هي تهتم بالتصوير والتجسيم والاستحضار والإيحاء، ف سورة "يوسف" من أولها إلى آخرها لم تقل شيئا عن وسامة يوسف

[1] – الشيرازي، ناصر مكارم الدين، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م، ج9، ص203.

عليه السلام، لكننا نرى الوسامة الأخاذة في أعين النسوة اللائي عندما رأينه، قطعن أيديهن لفرط الذهول من وسامته، فحقيقة جمال ووسامة يوسف عليه السلام قدمت لنا مجسمة تكاد تنطق في قوله تعلى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ **يوسف:** 31) والتضعيف في الفعل (قطعن) أسهم في إيضاح الموقف وتصويره بحيث يمكننا تخيل مشهد النسوة وهن يقمن بتقطيع أيديهن، فتشبيه يوسف بالمَلَك الكريم يعني أن جماله فاق الوصف.

وتلفت النظر أيضا ظاهرة أساليب التوكيد التي أكثر إخوة يوسف عليه السلام من استخدامها، فهم كانوا يتبعون قولهم بعبارة مثل: (وإنا له لناصحون) دلالة على ذلك أنهم كانوا يشعرون في قرارة أنفسهم أن نواياهم ليست سليمة، وأنهم موضع شك فيحاولون إبعاد الشبهة عن أنفسهم بأساليب التوكيد.

ومن أسطع الأمثلة على ذلك ما قاله، سبحانه وتعالى، على لسان إخوة يوسف: ﴿**قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ**﴾ **يوسف: 13** فهاهم يلجأون إلى اللام المواطئة للقسم (لئن)، واللام الواقعة في (لخاسرون) والجملة المعترضة (ونحن عصبة) ليزيلوا ما في نفس أبيهم من خوف على يوسف، ولا تبقى له علة يتشبث بها. [1]

ولِبَثِّ مزيدٍ من الاطمئنان في نفس أبيهم نلاحظ الضمير الدال على الجمع (نحن-إنا) وجمع المذكر السالم (خاسرون)، ودلالة كلمة (عصبة) لبيان قوتهم ومقدرتهم على حمايته، وكان لدى الوالد إحساس بأنهم يدبرون مكروهاً لأخيهم، لذلك عبَّر أمامهم عن مخاوفه، لكنهم طمأنوه، بينما نجد الحديث عن الصبر والدعوة إليه وبيان فضله، وبثِّ الشكوى والحزن إلى الله على لسان يعقوب، الذي كان بأمسِّ الحاجة إليه ليستطيع مواجهة الموقف الصعب الذي وجد نفسه فيه"[2].

اشتمال القصص القرآني على توجيهات وتحذيرات لا يخل بفنية القصة فيه:

[1] ينظر: إبراهيم الصعبي، القصة في القرآن الكريم.. الخصائص والدلالات، من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة، ص7.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص7.

وينبه العلامة محمد الصادق عرجون رحمه الله تعالى على أنه لا يعيب قصص القرآن الكريم اشتمالها على توجيهات إلى الخير أو تحذيرات من الشر كما ذهب إلى ذلك بعض الأدباء وقابله المثبتون بإنكار ذلك فإنه "ليس ثمة حجة لإنكار أن في القصص القرآني توجيهات دينية لكل ما جاء به الإسلام من مبادئ وعقائد، ولكل ما أنكره الإسلام من خلق وآراء زائفة وعقائد وعادات باطلة، لكن مع كل هذا لا نستطيع عَدَّ هذه القصص وثناياها، وهي في هذا الوضع أو من هذا الجانب تشبه تماما تلك الآراء والصور المنثورة التي تأتي أثناء العرض القصصي في كل قصة.[1]

الفرق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية

إن أسلوب القصة في القرآن، يختلف اختلافا كبيرا عن أسلوب القصة الأدبية، حيث إن القصة الأدبية من عمل البشر، وتحتاج إلى ضوابط وعناصر وصفها أهل هذا الفن مثل: (المقدمة-المكان-الأشخاص-تسلسل الأحداث-العقدة أو الحبكة-الحل-النهاية أو الخاتمة...)

أما القصص القرآني في أسلوبه المتميز، فيتجاوز الكثير من هذه العناصر، فلا يهتم غالبا بالمكان أو الزمان، أو الأشخاص أو التسلسل في الأحداث، وذلك لأن القرآن له أهدافا غير أهداف القصة الأدبية، حيث أن القصة القرآنية، الهدف الرئيسي منها العبرة أو العظة من القصة وأحداثها، وليس الهدف الأدبي المتمثل في المتعة وإظهار القدرات، ولو طبقنا هذه القواعد الأدبية على القرآن، لوقع المسلمون في محاذير منها:

1) لأصبح يقال القرءان مخلوقا، حيث يكون تابعا لغيره، مع أن القرآن -كما يعتقد أهل السنة والجماعة- هو كلام الله ليس بمخلوق.

2) ويلزم أيضا أن نضعه تحت الميزان النقدي للأدباء لنقده، واستخراج ما فيه من شوائب أو أخطاء وحاشا لكلام الله -تعالى- أن يكون كذلك، لأن القرآن يعلوا ولا يعلى عليه وهو أسمى من أن تناله يد البشر بالنقد والتجريح، كما أنه جاء معجزاً بألفاظه ومعانيه متحدياً بلغاء العرب أنداك.

[1] ينظر: محمد الصادق إبراهيم عرجون، القرآن الكريم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، دار القلم، دمشق، ط1، (1386هـ/1966م)، ص37.

المبحث الرابع: أدوات الاتساق:

لقد تعددت أراء العلماء في تناولهم لأدوات الاتساق، ومن أهم التقسيمات التي اعتمدها البحث ما قدمه الباحثان هاليداي ورقية حسن في كتابهما "التماسك في الإنجليزية" Cohesion in English حيث يقدمان خمسة أقسام لأدوات الرَّبط التي تساهم في خلق النَّصية، وهذه الأدوات هي: الإحالة، الحذف، الاستبدال، العطف، والاتساق المعجمي.

الإحالة: Reference

تعريفها:

لغة: أَحَالَ الغَرِيْمَ: زَّجاهُ عنه إلى غَرِيمٍ آخَرَ، والاسمُ الحَوالَةُ، اللّحيَانيُّ: يُقال للرّجُلِ إذا تحوَّلَ من مكانٍ إلى مكانٍ أو تَحَوَّلَ على رجلٍ بِدراهِمَ: حَالَ، وهو يَحُولُ حَوْلاً. ويُقالُ: أَحلْتُ فُلانًا على فُلانٍ بدراهِمَ أُحِيلُهُ إَحَالةً وإِحَالاً، فإِذَا ذَكَرْتَ فِعْلَ الرَّجُلِ قلْتَ: حَالَ يَحُولُ حَوْلاً[1].

وجاء في معجم تاج العروس في الحديث: "مَنْ أَحَالَ دَخَلَ الجَنَةَ"، قال ابْنُ الأعرابِي: أيْ أَسْلَمَ لأنه تَحَوَّلَ عَمَّا كَانَ يُعْبَدُ إلى الإسلام، وكُلُّ مَاتَحَوَّلَ من الإسْتِوَاءِ إلى العِوَجِ فقد حَالَ واسْتَحَالَ[2]، نجد المعنى اللغوي للإحالة هو التغير من صفة إلى أخرى.

اصطلاحا:

لقد تطرق العديد من الباحثين الغربيين إلى مصطلح الإحالة منهم:

الباحثان" هاليداي ورقية حسن" حيث استعملا مصطلح الإحالة استعمالا خاصا وهو أن:" العناصر المحيلة مهما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها وهي الضمائر، وأسماء الإشارة...الخ". وتعتبر الإحالة علاقة دلالية... وهي وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[3].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح و ل)، مج2، ص1058.

محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تح: محمود محمد الطناجي، دار التراث العربي، الكويت، ط1، 1413هـ_1993، ج28، ص365.

[3]- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص16- 17.

أشارا هاليداي ورقية حسن إلى أن العناصر المحيلة تحتاج لمرجع من أجل تفسيرها، شرط أن تتطابق الخصائص الدلالية (الإفراد، الجمع، التعريف والتنكير) بين المحيل والمحال عليه.

ويعرفها دي بوجراند بأنها:" العلاقات بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"[1].

تحدث دي بوجراند عن الإحالة بنوعيها الداخلية وهي العلاقات بين العبارات، والخارجية وهي وجود عناصر في النص تشير إلى ما هو خارجي.

أنواع الإحالة:

تنقسم الإحالة إلى نوعين: إحالة نصية والتي تتفرع إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية، أما النوع الثاني فهو الإحالة المقامية والمخطط الآتي يبين ذلك:

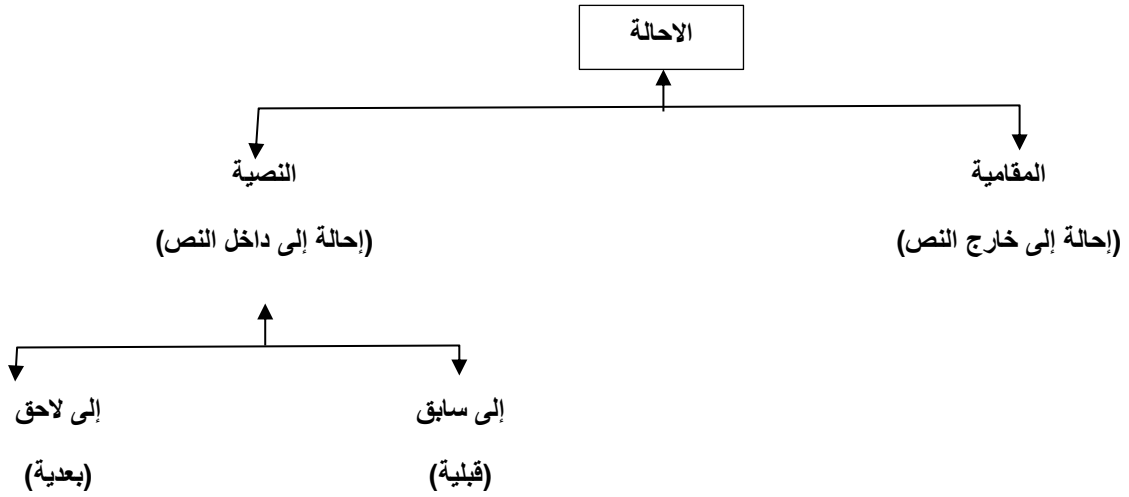

1/الإحالة النصية (Textual): هي إحالة داخل النص داخل اللغة، وتنقسم إلى:

أ _ الإحالة القبلية (Anaphora): فهي إحالة على السابق أو على إحالة بالعودة.

إذ تعود على مفسر سبق التلفظ به، وهي أكثر الأنواع دورانا في الكلام.

[1]- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص172.

ب- الإحالة البعدية (Cataphora) إحالة على اللاحق، إذ تعود على عنصر إشاري ذكر بعدها في النص أو لاحق عليها[1].

2/الإحالة المقامية (Situational): هي إحالة خارج النص" خارج اللغة".

ومن جهته" الأزهر الزناد" يحصر الإحالة في ثلاثة أنواع:

1- إحالة داخل اللغة: داخل النص" تشمل العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أم لاحقة.

2- إحالة خارج اللغة: هي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي.

3- إحالة ضمنية: هي إحالة عنصر معجمي على مقطع من الملفوظ أو النص. وتؤديها ألفاظ مثل: قصة، خبر، رأي، فعل[2].

كما أن الإحالة قسمت إلى:

1- إحالة شخصية: ضميرية.

2- إحالة إشارية.

3- إحالة مقارنة[3].

الضمائر: تقوم هذه العناصر على مفهوم دور الشخوص والمشاركة في عملية التلفظ.

وغير بعيد من هذا، إجراء لفظ" الضمير" عند النحاة العرب على الوحدات الدالة على الشخص، فتتفرع الضمائر في العربية حسب الحضور في المقام أو الغياب إلى فرعين كبيرين:

ضمائر الحضور وضمائر الغياب، ثم تتفرع ضمائر الحضور إلى متكلم هو مركز المقام الإشاري وهو الباث، وإلى مخاطب يقابله في ذلك المقام ويشاركه فيه، وهو المتقبَّل، وكل مجموعة تنقسم بدورها

---

[1]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص17.

[2]- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، ص117.

[3]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص19.

حسب الجنس والعدد، أما ضمائر الغياب فمعيار التفصيل فيها لا يتجاوز الجنس والعدد[1].

وقد اهتمت لسانيات النص بالضمائر من جهة الاتساق بالنوع الثاني من الضمائر" ضمائر الغياب"، إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه، أما ضمائر الحضور التي تشمل" المتكلم والمخاطب" فهي إحالة خارج النص.

فالضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحل ضمير محل كلمة أو جملة أو عدة جمل. ولا تقف أهميتها عند هذا الحد بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة شكلا ودلالة، داخليا وخارجيا، وسابقة ولاحقة[2].

الإشارة: إن مفهوم الإشارة مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام، من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمان أو المكان. حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به. وتتعلق دلالة هذه العناصر بالمقام الإشاري، لأنها غير ذات معنى ما لم يتعين ما نشير إليه، فهي تقوم بوظيفة تعويض الأسماء، وتتخذ محتوى مما تشير إليه.

وإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في الدوال أو غيابها عنه، فإن أسماء الإشارة تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري[3]. وتقوم بالربط القبلي والبعدي.

المقارنة: تنقسم إلى:

- عامة: يتفرع منها التطابق والتشابه والاختلاف.
- خاصة: تتفرع إلى كمية وكيفية.
- أما من منظور الاتساق فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة. في كونها نصية، فهي تقوم بوظيفة اتساقية[4].

---

[1]- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون الملفوظ به نصا، ص117.

[2]- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص137- 138.

[3]- ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص118.

[4]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص19.

الاستبدال: Substitution

لغة: يذكر ابن منظور مادة (ب د ل) تَبَدَّلَ الشَّيْءَ، وَتَبَدَّلَ بِهِ وَاسْتَبْدَلَهُ وَاسْتبَْدَلَ بِهِ، كُلُّهُ: اتَّخَذَ مِنْهُ بَدَلاً. وَأَبْدَلَ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيءِ وَبَدَّلَهُ: تَخِذَهُ مِنْهُ بَدَلاً، وَأَبْدَلْتُ الشَّيْءَ بِغَيْرِهِ وَبَدَّلَهُ اللهُ مِنَ الخَوْفِ أَمْناً، وَتَبْدِيلُ الشَّيْءِ: تَغْيِيرُهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتِ بِبدَلٍ، وَاسْتَبْدَلَ الشَّيْءَ بِغَيْرِهِ وَتَبَدَّلَهُ بِهِ إِذَا أَخَذَهُ مَكَانَهُ، وَالْمُبادَلَةُ: التَّبَادُلُ، وَالأَصْلُ فِي التَّبْدِيلِ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ، وَالأَصْلُ فِي الإِبْدالِ جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ كَإِبْدَالِكَ مِنَ الوَاوِ فِي تَالله وَالْعَربُ تَقُولُ للَذِي يَبِيعُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ بَدَّالٌ. قَالَ اللَّيْثُ: اسْتَبدلَ ثَوْباً مَكَانَ ثَوْبٍ وَأَخاً مَكَانَ أَخٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ الْمُبادَلَةُ.

فالاستبدال في اللغة إذن هو الإِبْدَالُ وَالمبادَلَةُ وَالتَّبْدِيلُ والِاسْتِبْدَالُ، وهو أيضا أن نستبدل شيئا أو عنصرا بآخر[1].

اصطلاحا: هو صورة من صور الاتساق الذي يتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وجمل، وهو عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر[2].

وقد قسمه" محمد خطابي" إلى ثلاثة أقسام: (استبدال اسمي، استبدال فعلي، استبدال قولي)[3].

1- الاستبدال الاسمي (Nominal Substitution): ويقع فيه استبدال اسم باسم، ويمكن أن يكون الاسم المستبدِل جزءا من الاسم المستبدَل، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ **البقرة**:61. حيث جاءت (خير) بمثابة إعادة التعريف للفظ السابق (طعام).[4]

---

[1] – ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص231.

[2] محمد خطابي، لسانيات النص، ص19.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص19.

[4] ينظر: سالم بن محمد المنظري، الترابط النصي في الخطاب السياسي، ص 116.

2– **الاستبدال الفعلي** "(Verbal Substutution)"[1]: يعتبر يعبر عنه بالفعل البديل (فعل)، إذ يأتي إضمارا لفعل أو حادث معين أو لعبارة فعلية، ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل / العبارة الفعلية[2]، نحو: قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ الشعراء: 70 – 84.**

حيث تم استبدال الجملة قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين بالفعل يفعلون.

3– **الاستبدال القولي** (استبدال جملي Clausal Substitution)[3]، هذا النوع من الاستبدال يكون استبدالا لجملة كاملة سابقة داخل النص، وتتم هذه العملية باستعمال الكلمات، مثل (لا، وهذا، وذلك)[4]، نحو قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: 7– 8.**

استبدلت هنا جملة كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم باسم الإشارة ذلك.

الاستبدال – باعتبار الوظيفة النحوية – ثلاثة أنواع[5]:

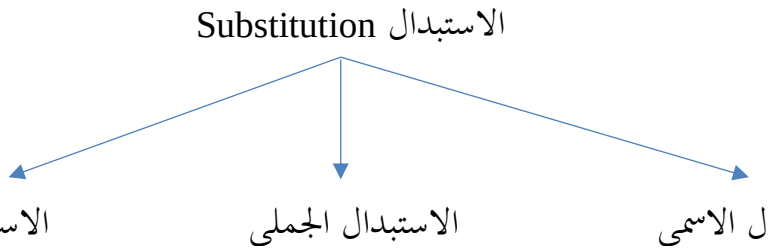

[1] المرجع السابق، ص 166.

[2] ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص، ص 114.

[3] سالم بن محمد المنظري، الترابط في الخطاب السياسي، ص 117.

[4] محمد خطابي، لسانيات النص، ص 20.

[5] صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ج1، ص 12.

فالاستبدال شكل بديل في النص، وهو وسيلة هامة لإنشاء الرابطة بين الجمل، وشرطه أن يتم استبدال وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة، ويتكون من عنصرين هما: المستبدِل والمستبدَل.

علاقة الإحالة بالاستبدال:

أما عن تقاطع الاستبدال مع الإحالة فيتمثل في كون الإحالة تقترب من المستوى الدلالي بحكم المرجعية الخارجية التي تؤول إليها في بعض الأحيان، أما الاستبدال فمرجعية داخلية دائما.[1]

أضف إلى ذلك "أن الإحالة تمثل علاقة تطابق بين المحيل والمحال عليه، أما الاستبدال فإنه يحقق علاقة بين العنصر المستبدل والعنصر المستبدل منه، تقتضي هذه العلاقة إعادة التحديد والاستبعاد دون أن يلغي ذلك وظيفة الاتساق التي تقوم بها العناصر"[2].

وعن العلاقة بين الاستبدال والحذف فهي: "علاقة التضمين، فالاستبدال يتضمن الحذف، بمعنى أن الحذف يمكن تفسيره باعتباره شكلا من أشكال الاستبدال، حين يكون الاستبدال بالصفر".[3]

الحذف: Ellipsis

لغة: حَذَفَ الشَّيْءَ يَحْذِفُهُ حَذْفاً: قَطَعَهُ مِنْ طَرَفِهِ، وَالْحَجَّامُ يَحْذِفُ الشَّعْرَ، مِنْ ذَلِكَ.

وَالْحُذَافَةُ: مَا حُذِفَ مِنْ شَيْءٍ فَطُرِحَ، وَخَصَّ اللِّحْيَانِيُّ بِهِ حُذَافَةَ الأَدِيمِ.

وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: تَحْذِيفُ الشَّعْرِ وَتَطْرِيرُهُ وَتَسْوِيتُهُ، وَإِذَا أَخَذْتَ مِنْ نَوَاحِيهِ مَا تُسَوِّيهِ بِهِ فَقَدْ حَذَفْتَهُ[4].

إن الحذف لم يطرأ على مفهومه اللغوي تغيير إلا في صياغة بعض العبارات في بعض المعاجم وعلى هذا جاء تعريف الحذف ومفهومه متشابها مضمونا عند العلماء:

---

[1] ينظر: سالم بن محمد المنظري، الترابط النصي في الخطاب السياسي، ص 115.

[2] المرجع نفسه، ص 115.

[3] علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص 113

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح ذ ف)، مج2، ص810.

فعند الخليل أحمد (ت 170هـ)"نجد حذف: الْحَذْفُ قَطْفُ الشَّيْءِ مِنَ الطَّرَفِ كَمَا يُحْذَفُ طَرَفُ ذَنَبُ الشَّاهِ"[1].

وعند الرازي (ت666هـ):" حَذْفُ الشَّيْءِ إِسْقَاطه (وَحَذَفَهُ) بِالْعَصَا رَمَاهُ بِهَا وَحَذَفَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ إِذَا ضَرَبَهُ فَقَطَعَ مِنْهُ قِطْعَةً وَ(الْحَذَفُ) بِفَتْحَتينِ غَنَمٌ سُودٌ صِغَارٌ مِنْ غَنَمِ الْحِجَازِ الوَاحِدَةُ (حَذَفَةٌ)"[2].

وحاولت في هذه التعاريف اللغوية الثلاثة أن أذكر بعض المعاني والدلالات التي لها صلة بموضوع البحث مما ورد في معاجم اللغة (القطع مطلقا أو القطع من الطرف والاسقاط وهو أشد المعاني صلة بموضوع البحث...) لأن لفظة (الحذف) وردت فيها معاني متعددة.

أما في الاصطلاح:

فهو عند سيبويه (ت 108هـ): يعني" إسقاط عنصر من عناصر النص سواء كان المسقط حركة أو حرفا أو كلمة أو جملة"[3].

وهذا المفهوم لم يصرح به:" سيبويه" وإنما هو مستنج من أمثلة وشواهد تتعلق بالحذف في كتابه.

وعند الزركشي (ت 794هـ):" إسقاط جزء من الكلام أو كله بدليل"[4].

وهو كذلك عند المحدثين:

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مادة (ح ذ ف)، ط1، (1424هـ/ 2003م)، ج1، ص297.

[2] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، مادة(ح ذ ف) (د ت)، 1986م، ص54.

[3] ينظر: مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعنى والاعجاز، دار الفكر، عمان، ط1، (1430هـ/ 2009م)، ص13.

[4]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3- ص102.

"إسقاط جزء من الكلام لدليل والمحذوف يفهم بالقرينة اللفظية أو العقلية أو من السياق"[1].

وقد أثنى عبد القاهر الجرجاني (ت 141هـ) في الحديث عنه قائلا:" هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ"، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عند الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما يكون بيانا إذا لم تبن"[2].

لقد أجازت العربية كغيرها من اللغات حذف أحد العناصر من التركيب عند استخدامها، وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى، فقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو لفظية أو مقالية تومىء إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره[3].

وقد نال الحذف اهتماما كبيرا من قبل العلماء والباحثين العرب القدماء والمحدثين.

ونظرا لأهميته فإنما قلما يوجد مؤلف لم يتحدث عن هذه الظاهرة، فيقول" ابن جني"(ت 392هـ) في كتابه الخصائص: " قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من تلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب ومعرفته"[4].

أنواع الحذف:

حذف الاسم: يشمل: الاسم المضاف، والمضاف إليه، اسمين مضافين، ثلاثة متضايفات الموصول الاسمي، الصلة، الموصوف، الصفة، المعطوف، المعطوف عليه، والمبدل منه، المؤكد، المبتدأ، والخبر، والمفعول، والحال، والتمييز والاستثناء.

---

[1]- بن عيسى بالطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص121.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص146.

[3] ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، (د ط)، 2003م، ص259.

[4] ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د ط)، 2006م، ج2، ص360.

حذف الفعل: وحده أو مع مضمر مرفوع أو منصوب أو معهما، ولاشك أيضا أن حذف الفعل مع المضمر المرفوع يمثل جملة.

حذف الحرف أو الأداة، كما في حذف: حرف العطف، وفاء الجواب وواو الحال، وقد، وما النافية، وما المصدرية، وأداة الاستثناء، ولام التوطئة، والجار وأن النافية، وحرف النداء...الخ.

حذف الجملة، كما في حذف: جملة القسم، وجواب القسم، وجملة الشرط، وجملة جوابه.

حذف الكلام بجملته.

حذف أكثر من جملة[1].

وقد فصَّل ابن جني في مسألة الحذف وأعطى نماذج مختلفة: حذف الجملة: كجملة القسم، وجملة الشرط وجملة الخبر.

وإذا كان الحذف على مستوى الجملة يراعي القرائن المعنوية والمقالية، فلاشك أن نحو النص أكثر اعتمادا على ذلك. لأنه يدخل السياق والمقام من أساسيات الحذف، حيث تكون الجمل المحذوفة أساسا للربط بين أجزاء النص من خلال المحتوى الدلالي. مما جعل" روبرت دي بوجراند" يقول عن الحذف: " إنه استبعاد العبارات السطحية لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو يوسع، أو أن يعدل بواسطة العبارات السطحية لأي نصوص غير مكتملة غالبا، وبالرغم مما يبدو في تقدير المتلقي"[2].

غير أن العرب القدامى درسوا ظاهرة الحذف، ونعتوها بمصطلحين: هما: الحذف والإضمار، ووقع استعمال كل منهما معاقبا للآخر، فالنحاة مثلا يفرقون بين الإضمار والحذف حين يقولون إن الفاعل يضمر ولا يحذف، وذلك حينما أمكن تقديره بضمير مستتر. فكأنهم يريدون بالمضمر ما

[1]- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2، ص192.

[2]- ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص301.

لابد منه، وبالمحذوف ما قد يستغنى عنه وإن كانوا يعنون بالمضمر الأسماء ويعنون بالمحذوف الأفعال ولا يقع الحذف إلا في الأفعال أو الجمل ولا في الأسماء[1].

وقد نبه سيبويه في بداية كتابه إلى وقوع الحذف في اللغة فقال: " اعلم أنهم مما يَحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، لإظهار، ويحذفون ويعوضون ويستغنون...". وتكلم كثيرا في مواضيع كثيرة عن الحذف في الأسماء والأفعال، وعن الإضمار في الأفعال[2].

كما تحدث الجرجاني عن محاسن الحذف فقال: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[3].

والقرآن الكريم مدونة ثرية بظاهرة الحذف في مختلف التراكيب الإسنادية، وخير دليل على ذلك الدراسة التي قام بها "إبراهيم الفقي في السور المكية منه". كما أن قضية الحذف من أهم وسائل التماسك النصي التي تبرز أهمية المتلقي، إذ هو الذي يدرك مواضع الحذف وكيفية قيام هذا الحذف بوظائفه البلاغية والنصية[4].

أما الحذف عند (هاليداي ورقية حسن) ثلاثة أنواع وهي: الحذف الاسمي والحذف الفعلي والحذف الجملي، وتركيزهما ينصب على العلاقات بين الجمل لأن الحذف داخل الجملة خارج دائرة التماسك النصي، بينما الحذف باعتباره شكلا من أشكال العلاقة بين الجمل فهو صفة أساسية من صفات النصية.

أ- الحذف الاسمي (Nominal ellipsis) وهو حذف العناصر الاسمية، حيث يقع حذف الاسم بعد العنصر الإشاري(deistic) أو العددي (numerative) أو النعت (epithet) والعنصر الإشاري

---

[1]- المرجع السابق، ص19.

[2]- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (1408هـ/1988م)، ج1، ص24- 25.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، ص121.

[4]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ج2- ص217.

تعبر عنه الكلمات الآتية: كل-بعض-أي-كلا -كلتا. مثل: الرجال رجعوا منتصف الليل- الكل كان متعبا والعنصر العددي يعبر عنه من خلال العدد مثل: أول-تان-ثالث... أو الكلمات التي تدل على الكم مثل: كثير-قليل-العديد من... مثال: هل لك في شيكولاطة أخرى؟ -لا شكرا، لقد كانت الثالثة.

ووظيفة النعت تملؤها الصفات مثل صفات الأوان، مثال: أنا أحب الشاي الثقيل –أعتقد أن الخفيف أفضل لك.

ب- الحذف الفعلي (verbal ellipsis) وهو حذف العناصر الفعلية، وهو نوعان: الحذف المعجمي (lexical ellipsis) حيث يحذف الفعل المعجمي من المجموعة الفعلية كما في المثال:

Have you been swimmingyes ihave

هل تقومين بالسباحة ؟نعم، أفعل.

والنوع الثاني هو حذف العامل (Operator) ويشمل حذف العامل فقط مع بقاء الفعل المعجمي، ويقع هذا في بعض التركيبات التي تحتوي على جمل مركبة عديدة مثل السؤال والجواب مثل:

No, Laughing Has she been crying

هل هي تبكي؟ لا، (بل) تضحك

ج- الحذف الجملي (Ellipsis Clausal): تستعمل الجملة في الإنجليزية للتعبير عن وظائف كلامية مختلفة (الإخبار- السؤال والإجابة وغيرها) ومن المواضع التي يكثر فيها الحذف الأسئلة التي يجاب عنها بنعم أو لا. مثل:

هل ستأتي؟ نعم. متى وصل محمد؟ - أمس [1]

[1]Halliday & ruqaiyahasan-cohesion in english-146215

علاقة الحذف بالإحالة:

يعتبر الحذف ذو طبيعة إحالة سابقة، "وذلك أن شرط الحذف هو العلم بالمحذوف، وهذه الكلمة هي الأساس الذي تدور عليه ظاهرة الحذف، لأن الحذف دون توفر القرينة والدليل من باب تكليف الغيب"[1]

فوجود القرينة والدليل هو بمثابة المرجع والإحالة، وعليه فمرجعية الحذف على ضربين: **الأول** منه قد تكون في الغالب على مستوى الجمل وهذا النوع هو مرجعية الحذف السابقة أو اللاحقة أو المتبادلة، **أما الضرب الثاني** فيكون على مستوى الجملة المفردة، والذي يمثل المرجعية الخارجية التي ليس لها مكان في التماسك النصي كونه لا يربط بين وحدات النص المختلفة وإنما في العلاقة بين الجملة وسياقها الخارجي.

علاقة الحذف بالاستبدال:

يتحقق الحذف والاستبدال بوجود عنصريه سابق ولاحق، لكن الاستبدال يشكل –بوجود عنصريه- علاقة حضور بينما يتحقق الحذف – بإلغاء أحد عنصريه- علاقة حضور وغياب، أي حضور المبدل منه وغياب المبدل، لذلك هناك من يسميه استبدالا صفريا وهو ما ذهب إليه "هاليداي" و "رقية حسن"، أي أن علاقة الاستبدال تترك أثرا، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لاتخلف أثرا، ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشرا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال، خلافا للحذف، إذ لايحل محل المحذوف أي شيء. [2]

[1] ينظر: سالم بن محمد المنظري، الترابط النصي في الخطاب السياسي، ص 116.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 115.

الوصل: Conjunction

لغة:

وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصْلاً وَصِلَةً، وَالوَصْلُ ضِدُّ الْهِجْرَانِ، ابْنُ سِيدَهْ: الوَصْلُ خِلاَفُ الْفَصْلِ، وَصَلَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ يَصِلُهُ وَصْلاً وَصِلَةً، وَصُلَةً، وَوَصَّلَهُ كلاهما: لَأَمَهُ.

وفِي التَنْزِيلِ الْعَزِيزِ" وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ "، أَيْ وَصَّلْنَا ذِكْرَ الأَنبِيَاءِ وَأَقَاصِيصَ مَنْ مَضَى بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ، وَاتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ: لَمْ يَنْقَطِعْ، وَوَصَلَ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ وُصُولاً، وَتَوَصَّلَ إِلَيهِ: انْتَهَى إِلَيْهِ وَبَلَغَهُ[1].

اصطلاحا:

يعد الوصل من أهم المباحث البلاغية وهو يقابل مصطلح العطف عند النحويين، حيث تحدث الجرجاني عن الوصل:" اعلَم أنَّ العِلْم بما ينبغي أن يُصْنَع في الجمل من عطفِ بعضها على بعض، أو تركِ العطفِ فيها، وَالمجيءِ بها مَنثُورةً، تُستأنَفُ واحدةٌ منها بعد أُخرى"[2].

ويعرف الوصل أيضا بأنه:" الإكثار من الربط بين أجزاء الجملة أو بين الجمل نفسها بأدوات الربط المختلفة لغرض بلاغي كزيادة التأثير"[3]. ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ** ﴾ [4]. **الضحى** 9-11.

يتضح لنا من التعريفيين أن الوصل يحمل معنى العطف والذي يساهم في الربط بين الجمل فلولاه لكانت متناثرة غير واضحة المعنى، ويستعمل لغرض بلاغي يتمثل في زيادة التأثير في المتلقي.

وحروف العطف تسعة:" الواو، والفاء، وثم، وأو، ولا، وبل، ولكن، وأم، وحتى"[5].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (و ص ل)، مج6، ص4850.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص222.

[3]- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص434.

[4]- أبو البركات عبد الرحمان بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، (د ط)، (1377هـ- 1957م)، ص302.

[5]- ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص346.

أمَّا في لسانيات النص فيُعرَّفُ الوصل بأنه:" تلك العلاقات بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات ويشير أيضا إلى إمكان اجتماع العناصر والصور وتعلق بعضها ببعض في عالم النص"[1]. ويعرفه تمام حسَّان بأنه:" قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر"[2].

نلاحظ أن الربط أو الوصل هنا يعني: تلك العلاقات التي تجمع العناصر داخل النص بإحكام مما يسهم في اتساقه، أو كما يحدده الباحثان "هاليداي ورقية حسن" هو: تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم ويقسم إلى أربعة أقسام وهي:

الوصل الاضافي: يتم بواسطة الأداتين" الواو" و" أو" أو بواسطة تعابير من نوع: أعني بتعبير آخر...

الوصل العكسي: الذي يدل على عكس ما هو متوقع ويتم بواسطة أدوات مثل: بل، إلا ومال ذلك (وصلت متأخرا جدا لكني أجريت الامتحان).

الوصل السببي: الذي يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر كعلاقة السببية أو النتيجة أو علاقة الشرط، ومثال ذلك: (إذا اجتهدت نجحت).

الوصل الزمني: يتم بين جملتين متتابعتين زمنيا أي: تسلسل الأحداث في نص ما. ويتم بواسطة أدوات مثل (ثم، بعد).

يقول روبرت دي بوجراند: أما عن مصطلح الربط فيشير إلى العلاقات التي بين مساحات المعلومات، أو بين الأشياء التي تكون في هذه المساحات. وهذا النوع يعتمد على الروابط السببية المعروفة بين الأحداث التي يدل عليها النص. وهي أيضا عبارة عن وسائل متنوعة تسمح بالإشارة إلى هذه المتواليات النصية[3].

إن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة. وهو لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص[4].

---

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص213.

[2]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص23- 24.

[3]- ينظر: روبرت دي بوجرائد، النص والخطاب والإجراء، ص346.

[4]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات انص، ص23.

وهناك من استعمل لفظ "العطف" وقصد به الوصل، فاستخدام التعبيرات العطفية وسيلة واضحة إلى الارتباطات الواقعة والمواقف.

الاتساق المعجمي: Lexical Cohesion

تعريفه: يعد الاتساق المعجمي مظهرا من مظاهر اتساق النص، يعود إسهامه الأساسي إلى اللغوي الفرنسي (Grimes 1966 أي تعامل مع النصوص على أنها نسق من التوافقية الاحتمالية لسمات مختلفة في الوحدات المعجمية الموجودة في نص واحد.

أنواعه: يحصره كل من" هاليداي ورقية حسن "في نوعين اثنين: التكرير والتضام[1].

أولا: التكرار:

لغة:

يقول ابن فارس في كتابه: الْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَرْدِيدٍ. مِن ذَلِكَ كَرَرْتُ، وَذَلِكَ رُجُوعُكَ إِلَيهِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الأُولَى... والْكَرِيرُ كَالْخَشْرَجَةِ فِي الْخَلْقِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ يُرَدِّدُهَا... وَالْكَرُّ حَبْلٌ، سُمِّيَ بِذَلكَ لِتَجَمُّعِ قواه.

وَالْكُرُّ: الْحِسْيُ مِنَ الْمَاءِ، وَجَمْعُهُ كِرَارٌ... وَمِنَ الْبَابِ الكِرْكِرَةُ: رَحَى زَوْرِ الْبَعِيرِ، وَالكِرْكِرَةُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، وَالْكَرْكَرَةُ: تَصْرِيفُ الرِّياحِ السَّحَابَ، وَجَمْعُهَا إِيَّاهُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ[2].

وجاء في مختار الصّحاح أَنَّ:" الْكَرَّ بِالْفَتْحِ الْحَبْلُ يُصْعَدُ بِهِ عَلَى النَّخْلَةِ، وَالْكَرَّةُ الْمَرَّةُ، وَالْجَمْعُ الْكَرَّاتُ، وَالْكَرُّ الرُّجُوعُ... وَكَرَّرَ الشَّيْءَ تَكْرِيراً وَتَكْرَاراً أَيْضاً بِفَتْحِ التَّاءِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ وَبِكَسْرِهَا وَهُوَ اسْمٌ"[3].

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص24.

[2]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص126.

[3]- الرازي، مختار الصحاح، ص236.

وقد أورد الزَّمخشري لهذه الكلمة مجموعة من المعاني المرتبطة بها، استقاها من كلام العرب، وهي تدور كلها حول معنى واحد عام ومشترك، وهو الإعادة والترديد، من ذلك" نَاقَةٌ مِكَرَّةٌ: تُحْلَبُ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَينِ، والْكَرِيرُ وَهُوَ الصَّوْتُ فِي الصَّدْرِ كَالْحَشْرَجَةِ...الخ[1]

أما من حيث الاصطلاح: فقد جاء في معجم الكليات بأن" التكرار في البديع هو أن يكرر المتكلم اللفظ الواحدة باللفظ والمعنى... لغرض من الأغراض"[2]. وعَرَّفه ابن الأثير بقوله:" دلالة اللفظ على المعنى مردداً"[3].

لكن كما يبدو أن هذين التعريفين تنقصهما الدِّقة: لأن الملاحظ أن التكرار لا يقتصر على الكلمة في حد ذاتها، ولكنه يمتد ليشمل جميع مستويات الكلام.

ولعل تعريف ابن القيم لهذا المصطلح أكثر وضوحا ودقة من التعريف السابق لأنه ينظر إليه من جوانب عدة فيعرِّفه بقوله:" وحقيقة التكرار أَن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده، سواء كان اللفظ متفق المعنى، أو مختلفا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده"[4]. ورغم اختلاف نظرة العلماء إلى التكرار، إلا أن رؤيتهم لحقيقته ظلَّت متقاربة، فهي لم تخرج عن حدود اعتباره إعادة للفظ أو للمعنى[5].

وقد اهتمَّ جلُّ النُّحاة واللُّغويين بذكر التكرار أو الحديث عنه في معرض مناقشاتهم لباب التوكيد". ومن هؤلاء ابن جِنِّي الذي تحدَّث عنه في باب الاحتفاظ، وقسَّمه إلى تكرير باللفظ وتكرير بالمعنى. وقسَّم هذا الأخير إلى نوعين: أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتثبيت والتمكين. كما اهتمَّ به علماء البلاغة، فانقسموا إلى فريقين: فريق عَزَف عنه ولم يُعِرْهُ أيَّ اهتمامٍ، وفريق من البلاغيين

[1]أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمود باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (1419هـ/1998م)، ج2، ص128-129.

[2]- أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص297.

[3]- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج3، ص3.

[4]-شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيُّوب الزرعي ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص111.

[5]- ينظر: فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004م، ص21.

القدامى التفت إلى التكرار بوصفه أسلوبا من أساليب اللغة التعبيرية لا يجوز إهماله. فوقف عليه إمَّا مشيرا أو شارحا[1].

وقسَّم البلاغيون التكرار إلى نوعين: تكرار في اللفظ والمعنى، تكرار في المعنى وحده دون اللفظ. أما المحدثون ومنهم الشكلانيون فينظرون إليه ويتعاملون معه وفق رؤية أخرى جديدة. إذ يرون أن التكرار نقطة مركزية في القصيدة[2]. أما في مجال لسانيات النص فقد اختلف الباحثون في تسميته، فهناك من سماه (التكرير) مثل: محمد خطابي وإلهام أبو غزالة، التي تورد أحيانا التكرار وتشير إليه أحيانا أخرى بـ التكرر. أما روبرت دي بوجراند فقد عبر عنه بـ (إعادة اللفظ)، وأن صور الروابط التكرارية تتنوع كما يلي:

التكرار المحض (التكرار **الكلي**) **التام:** هو التكرار المباشر للعناصر والأنماط[3].

التكرار الجزئي: يقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه. ولكن في أشكال مختلفة[4].

أو هو الذي يتمثل في نقل العناصر التي سبق استعمالها إلى فئات مختلفة من فعل إلى اسم مثلا، فهو بذلك عبارة عن استعمالات مختلفة للجذر اللغوي الواحد"[5].

التكرار المرادف: يكون بتكرار عنصر مرادف للعنصر الذي سبق استخدامه بذاته.

أو هو ما يطلق عليه المرادف دلالة وجرسا، مجيد/ أثيل، جميل/ مليح.

شبه التكرار: يقوم في جوهره على عنصر التوهم: إذ تفتقد فيه العناصر علاقة التكرار المحض، ويتحقق غالبا في مستوى التشكل الصوتي، وهو أقرب إلى الجناس الناقص.

أو هو" **الترادف دلالة**" لا غير مثل: العسل/ الرحيق. السيف/ المهند".

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص22، 23، 24.

[2]- ينظر: فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، ص25- 35- 36.

[3]- ينظر: إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، ولفجانج دريسلر، مطبعة دار الكتاب، ط1، (1413هـ/ 1996م)، ص72 81.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص301- 306.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص72- 81.

تكرار لفظ الجملة[1]:

ويعتبر التكرار من الخصائص اللغوية التي لا تخلو الأعمال الأدبية منها: إذ يلجأ الكاتب إلى تكرار بعض الألفاظ أو بعض الأفكار أو بعض الجمل لأسباب منها:

- إن اللغة لا تسعف الكاتب بالسعة والتبحر، والكاتب هو الذي لا يسعفها بالتبحر فيها والتمكن من كل معجم ألفاظها فيقع التكرار فيما منه بد.
- إن طبيعة الموضوع المعالج تقتضي تكرار معاني وأفكار معينة.
- لكل كاتب معجمه اللغوي، فكل كاتب يحترف تنسيق الكلام يلجأ إلى التكرار[2].

ثانيا: التضام:

لغة: يذكر ابن منظور في كتابه مادة (ض م م): ضَمُّكَ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ، وَقيلَ: قَبْضُ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، وَضَمَّهُ إِلَيْهِ يَضُمُّهُ ضَمًّا فَانضَمَّ وَتضَامَّ، وَتَضَامَّ الْقَوْمُ إِذَا انضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: ضَمَمْتُ هَذَا إِلَى هَذَا، فَأَنَا ضَامٌّ وَهُوَ مَضْمُومٌ. الْجَوْهَرِيُّ: ضَمَمْتُ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ فَانضَمَّ إِلَيْهِ، وَضَامَّهُ[3].

اصطلاحا: هو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك، وقد حدَّدَا كل من "هاليداي ورقية حسن" طبيعة هذه العلاقة فجعلاها لا تخرج عن كونها:

1- علاقة تعارض.

2- علاقة الكل- الجزء.

3- علاقة الجزء- الكل.

---

[1]- ينظر: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مصر، مج10، ع1.2، 1991م، ص158.

[2]- ينظر: عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السَّردي، معالجة تفكيكية سيمائية لرواية" زقاق المِدَق" ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، ابن عكنون، الجزائر، (د ط)، 1995م، ص268.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مادة(ض م)، مج4، ص2609.

4- عناصر من نفس القسم العام[1].

وعلاقات التضام متنوعة، تحدثت عنها كتب علم اللغة الحديث بإسهاب في تفصيلها:

التَّضاد: كلما كان حادًّا غير متدرج كان أكثر قدرة على الرَّبط النصي، ويتجلى في:

التَّضادّ الحادّ (التضاد غير المتدرج): قريب من النقيض عند المناطقة، مثَّل له الدكتور: أحمد مختار عمر بالكلمات ميت/ حي، متزوج/ أعزب، ذكر/ أنثى".

وأدخل أيضا كثيرا من أنواع التضاد الأخرى مثل:

التضاد العكسي: مثل: باع/ اشترى.

التضاد الاتجاهي: مثل: أعلى/ أسفل[2].

التنافر: مرتبط بفكرة النفي مثل: التضاد: ككلمات: خروف، فرس، قط، بالنسبة لكلمة حيوان، ويدخل تحت التنافر ما يسمى بعلاقة الرتبة مثل: ملازم، رائد، مقدم، عقيد، عميد، لواء. كما يدخل فيه ما يسمى بالمجموعات الدورية مثل: فصول، شهور...أعوام[3].

علاقة الجزء بالكل: مثل علاقة: اليد بالجسم، العجلة بالسيارة[4].

وللتضام عدة مصطلحات فهناك من اصطلح عليه "بالمصاحبة المعجمية" وهناك من سمَّاه "بالتشاكل" ولكن كما يقول علماء الأصول: "لا مشاحَّةَ في الاصطلاح إذا فهمت المعاني"

---

[1]- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص25.

[2]- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5- 1998م، ص102- 103- 104.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص105- 106.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص101.

الفصل الثاني:

إجراءات الاتساق في القصص القرآني

المبحث الأول: مستويات الإحالة في سورة طه.

المبحث الثاني: أوجه الاستبدال في سورة طه.

المبحث الثالث: مسالك الحذف في سورة يوسف.

المبحث الرابع: تراكيب الوصل في سورة طه.

المبحث الخامس: الاتساق المعجمي(التكرار) في سورة الشعراء.

المبحث الأول: مستويات الإحالة في سورة "طه"

جدول الإحصاء للسورة من خلال الإحالة:

تعد الإحالة من أهم أدوات الاتساق داخل النص إذ تعمل على الربط بين عناصره المختلفة وهذا ما سنبينه في نصنا المدروس (سورة طه) والجدول الموالي يوضح ذلك:

المحال إليه	الإحالة	الأداة	نوع الإحالة	رقم الآية
	أنزلنا	ضمير	داخلية لاحقة	02
	خلق	ضمير	داخلية سابقة	04
	الرحمان- استوى	ضمير	داخلية سابقة	05
	له	ضمير	داخلية سابقة	06
	فإنه — يعلم	ضمير	داخلية سابقة	07
	هو —له	ضمير	داخلية سابقة	08
	إني	ضمير	مقامية	12
	وأنا	ضمير	مقامية	13
	آياتنا	ضمير	داخلية سابقة	23
الله جل جلاله	اشرح	ضمير	مقامية	25
	يسر	ضمير	مقامية	26
	واحلل	ضمير	مقامية	27
	واجعل	ضمير	مقامية	29
	مننا	ضمير	مقامية	27
	أوحينا	ضمير	مقامية	38
	لي-وألقيت-مني-عيني-	ضمير	داخلية سابقة	39
	فرجعناك-فنجيناك-فتناك	ضمير	داخلية سابقة	40
	بآياتي-ذكري	ضمير	داخلية سابقة	42
	إنني-أسمع وأرى	ضمير	داخلية سابقة	46

	أعطى–هدى	ضمير	داخلية سابقة	49
	لا يضل	ضمير	داخلية لاحقة	52
	ولا ينسى	ضمير	داخلية سابقة	53
	آياتنا	ضمير	داخلية سابقة	56
	ليغفر–خير –أبقى	ضمير	داخلية سابقة	73
	يأته	ضمير	داخلية سابقة	75
	بعبادي	ضمير	داخلية سابقة	77
	أنجيناكم–وواعدناكم–ونزلنا	ضمير	مقامية	80
	رزقناكم–غضبي	ضمير	مقامية	81
	هو	ضمير	داخلية سابقة	98
	نقص–آتيناك	ضمير	داخلية سابقة	99
	نحن	ضمير	مقامية	104
	أنزلناه–صرفنا	ضمير	داخلية سابقة	113
	فتعالى	ضمير	داخلية لاحقة	114
	عهدنا–لم نجد	ضمير	مقامية	115
	وإذقلنا–فقلنا	ضمير	داخلية سابقة	117
	قال–هداي	ضمير	داخلية سابقة	123
	آياتنا–قال	ضمير	داخلية سابقة	126
	نجزي	ضمير	داخلية سابقة	127
	أهلكنا	ضمير	داخلية سابقة	128
	متعنا–لنفتنهم	ضمير	داخلية سابقة	131
	نحن	ضمير	مقامية	132
الرسول ﷺ	عليك	ضمير	مقامية	2
	تجهر	ضمير	مقامية	7
	أتاك	ضمير	مقامية	9

	عليك-آتيناك	ضمير	مقامية	99
	ويسألونك-فقل	ضمير	مقامية	105
	لا تعجل-إليك-وقل	ضمير	مقامية	114
	فاصبر- سبح-ربك-لعلك	ضمير	مقامية	130
	تمدن-عينيك	ضمير	مقامية	131
	أهلك-واصطبر-نرزقك	ضمير	مقامية	132
	يأتينا-ربه	ضمير	مقامية	133
	قل	ضمير	مقامية	135
القرآن	أنزلناه	ضمير	داخلية لاحقة	113
	فيه-يحدث-وحيه	ضمير	داخلية سابقة	114-113
موسى عليه السلام	رءا-أهله-ءانست -لعلي- أجد	ضمير	داخلية سابقة	10
	ربك-نعليك-إنك	ضمير	داخلية سابقة	12
	اخترتك-فاستمع	ضمير	داخلية سابقة	13
	فاعبدني-أقم	ضمير	داخلية سابقة	14
	يصدنك	ضمير	داخلية سابقة	16
	قال-أتوكؤا-أهش-غنمي-ولي	ضمير	داخلية سابقة	18
	فألقاها	ضمير	داخلية سابقة	20
	خذها- لا تخف	ضمير	داخلية سابقة	21
	اضمم-يدك-جناحك	ضمير	داخلية سابقة	22
	لنريك	ضمير	داخلية سابقة	23
	اذهب	ضمير	داخلية سابقة	24
	قال -لي	ضمير	داخلية سابقة	25
	لي-أمري	ضمير	داخلية سابقة	26
	لساني	ضمير	داخلية سابقة	27

	قولي	ضمير	داخلية سابقة	28
	واجعل لي-أهلي	ضمير	داخلية سابقة	29
	أخي	ضمير	داخلية سابقة	30
	اشدد-أزري	ضمير	داخلية سابقة	31
	عليك	ضمير	داخلية سابقة	37
	أمك	ضمير	داخلية سابقة	38
	اقذفيه-يأخذه-له-عليك-تصنع	ضمير	داخلية سابقة	39
	أختك-فرجعناك-قتلت-فلبثت-جئت	ضمير	داخلية لاحقة	40
	اصطنعتك	ضمير	داخلية سابقة	41
	اذهب-أخوك	ضمير	داخلية سابقة	42
	أنت	ضمير	مقامية	42
	قال	ضمير	داخلية سابقة	50
	بينك	ضمير	داخلية سابقة	58
	قال	ضمير	داخلية سابقة	59
	تُلْقِيَ	ضمير	داخلية سابقة	65
	قال-إليه	ضمير	داخلية لاحقة	66
	فأوجس-نفسه	ضمير	داخلية لاحقة	67
	أنت	ضمير	مقامية	68
	ألق-يمينك	ضمير	داخلية سابقة	69
	له-إنه-لكبيركم-علَّمكم	ضمير	داخلية سابقة	71
	أسر-فاضرب-لا تخاف-ولا تخشى	ضمير	داخلية سابقة	77
	أعجلك-قومك	ضمير	داخلية لاحقة	83

	قومه–قال–يا قوم–موعدي	ضمير	داخلية سابقة	86
	فنسي	ضمير	داخلية سابقة	88
	تتبعنِ–أمري	ضمير	داخلية سابقة	93
	قال	ضمير	داخلية سابقة	95
	قال–لنحرقنه–لننسفنه	ضمير	داخلية سابقة	97
هارون عليه السلام	به	ضمير	داخلية سابقة	31
	أشركه	ضمير	داخلية سابقة	32
	ياقوم–فاتبعوني–أمري	ضمير	داخلية سابقة	90
	ما منعك	ضمير	داخلية سابقة	92
	تتبعن–أفعصيت	ضمير	داخلية سابقة	93
	قال–بلحيتي–إني–خشيت–ترقب	ضمير	داخلية سابقة	94
فرعون	إنه– طغى	ضمير	داخلية سابقة	43-24
	له–لعله–يتذكر–يخشى	ضمير	داخلية سابقة	44
	يفرط–يطغى	ضمير	داخلية سابقة	45
	أرسل–تعذبهم–جئناك–ربك	ضمير	داخلية سابقة	47
	قال	ضمير	داخلية سابقة	49
	قال	ضمير	داخلية سابقة	51
	أريناه– فكذب–وأبى	ضمير	داخلية سابقة	56
	كيده–أتى	ضمير	داخلية سابقة	60
	قال–ءاذن–لأقطعن–لأصلبنكم	ضمير	داخلية سابقة	71
	نحن	ضمير	مقامية	58
	أنت	ضمير	مقامية	72
	فأتبعهم	ضمير	داخلية لاحقة	78

	قومه-وما هدى	ضمير	داخلية سابقة	79
السحرة	لهم-تفتروا-فيسحتكم	ضمير	داخلية لاحقة	61
	فتنازعوا-أمرهم-أسروا	ضمير	داخلية لاحقة	62
	قالوا-بطريقتكم	ضمير	داخلية لاحقة	63
	فأجمعوا-كيدكم-ثم ائتوا	ضمير	داخلية لاحقة	64
	قالوا-نكون-ألقى	ضمير	داخلية لاحقة	65
	حبالهم- عصيهم-سحرهم	ضمير	داخلية لاحقة	66
	قالوا-ءامنَّا	ضمير	داخلية سابقة	70
	ءامنتم-لكم-أيديكم-لأصلبنكم	ضمير	داخلية سابقة	71
	قالوا -جاءنا-فطرنا	ضمير	داخلية سابقة	72
	ءامنا-بربنا-لنا-أكرهتنا	ضمير	داخلية سابقة	73
السامري	فأخرج	ضمير	داخلية سابقة	88
	قال-بصرت-فقبصت-لي-نفسي	ضمير	داخلية سابقة	96
	فاذهب-لك-تخلفه-إلهك	ضمير	داخلية سابقة	97
أم موسى عليه السلام	عينها-لا تحزن	ضمير	داخلية سابقة	40
العصى	تلك	ضمير	داخلية لاحقة	17
	أتوكؤا-عليها-بها-فيها	ضمير	داخلية سابقة	18
	ألقِها	ضمير	داخلية سابقة	19
	فألقاها-هي	ضمير	داخلية سابقة	20
	خذها-سنعيدها-سيرتها	ضمير	داخلية سابقة	21
	ألق-تلقف	ضمير	داخلية سابقة	69
آدم	فنسي-له	ضمير	داخلية سابقة	115

آدم عليه السلام	لك-لزوجك-فتشقى	ضمير	داخلية سابقة	117
	لك-ألا تجوع-ولا تعرى	ضمير	داخلية سابقة	118
	لا تضمؤا-ولا تضحى	ضمير	داخلية سابقة	119
	إليه-أدلك	ضمير	داخلية سابقة	120
	ربه-فغوى	ضمير	داخلية سابقة	121
	اجتباه-ربه-عليه	ضمير	داخلية سابقة	122
إبليس	أبى	ضمير	داخلية سابقة	116
	هذا	ضمير	داخلية سابقة	117
	عدو-فلا يخرجنكما	ضمير	داخلية سابقة	117
	فوسوس —قال-أدلك	ضمير	داخلية سابقة	120
الشجرة	منها	ضمير	داخلية سابقة	122
الجنة	فيها-فيها	ضمير	داخلية سابقة	119-118
	منها	ضمير	داخلية سابقة	123
الملائكة	اسجدوا-فسجدوا	ضمير	داخلية سابقة	116
بني إسرآئيل	تعذبهم	ضمير	داخلية سابقة	47
	لكم	ضمير	داخلية سابقة	53
	كلوا-وارعوا-أنعامكم	ضمير	داخلية سابقة	54
	خلقناكم-نعيدكم-نخرجكم	ضمير	داخلية سابقة	55
	أنجيناكم-واعدناكم-عليكم	ضمير	داخلية سابقة	80
	كلوا_رزقناكم-عليكم	ضمير	داخلية سابقة	81
	يعدكم-ربكم-عليكم-من ربكم	ضمير	داخلية سابقة	86
	قالوا-بملكنا-حملنا-قذفناها	ضمير	داخلية سابقة	87

التحليل النصي للسورة من خلال الإحالة:

أقسام الضمير:

الضمير البارز" وهو الذي يلتزم المتكلم بإبراز لفظه صوتيا وكتابيا"[1]، ويُقسَّم بدوره إلى: ضمير منفصل وضمير متصل.

الضمير المنفصل: وهو ما يصح الابتداء به ويسمى منفصلا لانفصاله عن الكلمة"[2].

وقد ورد الضمير المنفصل في سورة "طه" في اثنى عشرة(12 موضعا، وجاء موزعا كالآتي:

ضمائر المتكلم: ويشمل (أنا، نحن) حيث جاء في قوله تعالى:﴿ **وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (13)إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾ **طه: 12-13**.

فالضمير المنفصل في الآية (12) جاء توكيداً للياء في "إني" وهي إحالة مقامية تعود على الذات الإلهية وهو مرجع موجود خارج النص، والضمير" أنا" في الآية (13) يحيل أيضا إحالة خارجية فالمحال إليه " الله عز وجل".

حيث جاء في شرح الآيتين الإخبار عن ضمير المتكلم" أنا" يعود على "رب" المخاطب لتسكين روعة نفسه من خطاب لا يرى مخاطِبه، فإن شأن الرَّب الرفق بالمربوب[3].

وقد تكرر الضمير المنفصل" أنا" في هاتين الآيتين للتأكيد على أن صاحب الخطاب هو الله، حيث ساعد هذا الضمير على الربط بين هاتين الآيتين وجعلهما نصاً موحدا، فإن القارئ لهذه الآيات لن يتعرف على صاحب الخطاب- الله عز وجل- إلا بالبحث عنه خارج النص ويجب أن يكون له اطِّلاع مسبق بتفسير هذه السورة.

---

[1]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1997م، ص155.

[2]- إبراهيم قلاتي، قصة الأعراب، كتاب في النحو والصرف لجميع المراحل التعليمية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2009م، ص125.

[3]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص196.

أما بالنسبة لضمير جمع المتكلم "نحن" فقد ورد في ثلاثةِ مواضع(03) من هذه السورة ونذكر منه **أولاً**: قوله تعالى: ﴿ **نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا** ﴾ **طه: 104**"

حيث أحال جمع المتكلم "نحن" على الذات الالهية وهي إحالة مقامية، كما نلاحظ أن المحيل لم يتطابق مع المحال عليه في العدد، ذلك أن الله عز وجل فرد استعمل ضمير الجمع "نحن" للدلالة على عظمته وسعة علمه وقدرته باعتباره الخالق لكلِّ شيء.

ثانياً: وقد اسْتُعْمِلَ الضَّمير" نحن" للدلالة على" فرعون" في قوله تعالى:﴿ **فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى** ﴾ **طه: 58**.

فالضمير" نحن" أحال إحالة خارجية لشخص" فرعون" الذي يتحدث باسمه واسم سحرته ليبين قوته لتخويف موسى وهارون عليهما السلام، فلما رأى فرعون الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام، لم يؤمن بها وادَّعى بأنها سحر، أي أن موسى جاء ليوهم الناس بأنه جاء بآية توجب اتباعه والإيمان به حتى يغلب علينا وعلى أرضنا[1].

ثالثاً: اسْتُعْمِلَ الضمير "نحن" في قوله تعالى﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ **طه: 132** فجملة "نحن نرزقك" مبينة لجملة "ورزق ربك خير وأبقى" والمقصود من هذا الخطاب هو النبي وهو المحال إليه بالضمير "نحن" إحالة مقامية خارج النص فربطت بينها وبين الآية التي قبلها فمن خلال تحليلنا لضمائر المتكلم والتي تحيل على ذوات موجودة خارج النص، يصعب التعرف عليها، لذا يجب العودة إلى كتب التفسير باعتبار النص المدروس نصاً قرآنياً يحتاج في البحث عن فك شفراته إلى كتب التفاسير من أجل الإحاطة بمعانيه وعدم الوقوع في الخطأ والزلل.

ضمائر المخاطب: اسْتُعْمِلَ ضميرُ المخاطَب في أربعةِ مواضع من السورة، حيث بدأ الله عز وجلَّ بمخاطبة نبيه موسى عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿ **اذْهَبْ أنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي**﴾ **طه: 42**.

[1]- ينظر: القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تح: الشيخ خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، (1424هـ/2003م)، مج6، ج11، ص 3274.

حيث أحال الضمير المنفصل" أنت" على موسى عليه السلام، وهي إحالة مقامية ذلك أن هذا الضمير يشير إلى ذات موجودة خارج النص، فالعنصر اللغوي في النص أحال على مرجع إشاري موجود خارجه مما ربط النص بسياق المقام، وجاء كذلك في قوله تعالى:﴿ **فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ طه: 58.**

إذ يخاطب "فرعون" لعنه الله " موسى عليه السلام"، بعدما "وعده بأن يأته بسحر مثلما جاء به موسى"[1]، وهي إحالة إلى خارج النص ثم ينتقل الخطاب مرة أخرى إلى" الله عز وجل" في قوله تعالى:﴿**قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ...﴾ طه: 68.**

وذلك ليطمئن قلب" موسى عليه السلام"، بعد أن خاطبه فرعون بأنه قادر على هزيمتهم فأوحى الله عز وجل له فقال له:" أنت الغالب لهم في الدنيا، وفي الدرجات العلا في الجنة، للنبوة والاصطفاء الذي أتاك الله به"[2]. واستعمل الضمير المنفصل" أنت" للإشارة إلى مرجع خارج النص على سبيل الإحالة المقامية، وهنا شكلت هذه الآيات كلا موحدا وذلك أن المحال عليه هو شخص واحد وهو موسى عليه السلام، و"تكرير الضمير "إنَّك أنت" ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المثابة في التقرير لغلبة موسى، والإثبات لقهره ﴿ **إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى**﴾ أي دون غيرك"[3].وجاء في الموضع الرابع في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ...﴾ طه:73**، فقوله تعالى: ﴿**فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ**﴾ **طه:72**، أي: فاصنع ما أنت صانع، فلسنا راجعين عما نحن عليه، وهو قول السحرة للطاغية فرعون وعدم مبالاتهم بتهديد فرعون ووعيده رغبة فيما عند الله فالضمير المخاطب "أنت" أشار إلى مرجع خارج النص على سبيل الإحالة المقامية، فضمائر المخاطب مثل ضمائر المتكلم أحالت على ذوات خارج النص، ذلك أن طرفي العملية الخطابية (المرسل والمرسل إليه) حاضران في سياق الخطاب.

---

[1]– الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، ط1 (1426هـ/ 1393م)، مج 4، ص535.

[2]–القرطبي بو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، مج6، ج11، ص3282.

[3] – ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط9، (1426هـ/2005م)، مج4، ج16، ص700

ضمائر الغائب: ورد ضمير الغائب بأنواعه المختلفة (المذكر، المؤنث، الجمع) في السورة حيث ورد ضمير الغائب المفرد المذكر" هو" في موضعين وذلك في قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا...﴾ طه: 98.**

حيث يعود الضمير" هو" على الله عز وجل على سبيل الإحالة السابقة وجاء الربط على مستوى هذه الآية فقط لأن المرجع مذكور في الآية نفسها.

وجاء في قوله أيضا:﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه: 112.**

فالضمير" هو" يحيل إحالة لاحقة على ملفوظ مذكور بعده مباشرة، وهو" الانسان المؤمن"، حيث ربط عناصر هذه الآية مع بعضها البعض جعل منها وحدة نصية متماسكة.

كما ورد ضمير الغائب المفرد المؤنث مرتين أيضا وذلك في قوله تعالى:﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ...﴾ طه: 18**، وفي قوله أيضا:﴿ **قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ طه: 20.**

ففي الآية (18) يعود الضَّمير المنفصل " هي" على " العصا" وهي إحالة لاحقة إذا نظرنا من جانب القرب، أي في حدود تلك الآية فقط فهو مرجع مذكور صراحة، إما إذا بحثنا خارج نطاق هذه الآية وجدنا أنه قد تم الإشارة إلى " العصا" بطريقة غير مباشرة، لأن في الأصل الضمير" هي" يعود على اسم الإشارة" تلك" في قوله تعالى:﴿ **قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ طه: 17.**

حيث جاء في شرح هذه الآية إشارة غير صريحة إلى" عصا" موسى وقيل" أعطاه إياها ملك من الملائكة إذ توجه إلى مدين كانت تضيء له بالليل، ويضرب بها الأرض فيخرج له النبات ويهش بها على غنمه ورق الشجر، بمعنى يضرب بها الشجر فيتساقط منه الورق على غنمه"[1]، فهنا ترجع الإحالة إلى مرجع سبق ذكره.

وكذلك ينطبق على الآية الثانية، فالضمير" هي" يعود على" الحية" إذا نظرنا في حدود الآية فقط فهي إحالة لاحقة، لكن إذا بحثنا في أصلها وجدنا بأنها تحيل على عنصر سابق هي" **العصا**" فالحية في الأصل كانت عصا قبل تحولها من حالة إلى أخرى، فتارة عصا وتارة حية وأخرى ثعبان إلى صورة سرعة تحركها كأنها جان، وهنا تصبح إحالة سابقة والمعنى "فَإِذَا **الْعَصَا** هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى".

ومن هنا يظهر لنا ذلك التماسك المتين بين آي الذِّكر الحكيم، فالضَّمير المنفصل في الآيتين السابقتين لم يؤد وظيفة الربط فقط، وإنما أسهم في إحضار دلالة المرجع الذي أغنت عن ذكر المرجع نفسه وهنا تكمن بلاغة وقوة إعجاز القرآن الكريم التي أعيت البلغاء والفصحاء.

وقد ورد ضمير الجمع الغائب" هم" مرة واحدة في قوله تعالى:﴿ **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ **طه: 84.**

وهي إحالة سابقة على" قوم موسى عليه السلام" الذين ذكروا في الآية السابقة لها في قوله تعالى:﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾ **طه: 83.**

وهنا الضمير" هم" أسهم في الربط بين بين هاتين الآيتين، ذلك أنه أحضر دلالة المرجع من الآية 83، إلى الآية 84 حتى بدت وكأنها ءاية واحدة متماسكة الأطراف من أولها إلى آخرها.

الضمير المتصل:" وهو الذي لا يفتتح به النطق أي لا يمكن الابتداء به في أول الكلام، بل لابد أن يتقدم عليه لفظ آخر في الكلام بحسب الوضع العربي"[2]، فهو عكس الضمير المنفصل الذي يصح الابتداء به في أول الكلام.

---

[1]- ينظر: عبد الرحمان بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د ط)، (1433هـ/2011م)، ج5، ص564.

[2]- ينظر: قصة الإعراب كتاب في النحو والصرف لجميع المراحل التعليمية، ص128.

وقد احتوت سورة" طه" على نسبة كبيرة من الضمائر المتصلة باختلاف أنواعها (المتكلم المخاطب، الغائب) وهذا أمر طبيعي ما دام النص القرآني يحمل رسالته إلى المتلقين، بغرض الدعوة إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، لذلك سنتناول في تحليلنا نماذج جزئية يمكن من خلالها بناء تصور عام للدور الذي حققته هذه الضمائر المتصلة في تحقيق التماسك النصي في سورة طه وهي كالآتي:

"**نا" المتكلمين**: وقد وردت في ثلاث وثلاثين (33) موضعا على مدار السورة، وقد اختلفت مرجعيتها، فمنها ما يعود على لفظ الجلالة " الله عز وجل" ومنها ما يعود على محمد ﷺ ومنها ما يعود على "بني اسرائيل"، وأخرى تعود على" السحرة"...الخ، ومن أمثلة ذلك نذكر:

قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ(37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (38)** ﴾ **طه**

وفي قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا...**﴾ **طه: 115.**

لقد أحال الضمير" نا" في " مننا" و"أوحينا" و" أنجيناكم" و"واعدناكم" و"نزلنا" و"عهدنا" على "الله عز وجل" وهي إحالة مقامية، موجودة خارج النص، فالله سبحانه وتعالى يتحدث باسمه ليبين قدرته وعظمته، وقد انتشرت في هذه السورة لتربط النص بمنتجه وهو الله عز وجل.

والقصص القرآني يجيء في السياق متناسقا معه، وقصة آدم هنا تجيء بعد عجلة الرسول بالقرآن خوف النسيان، فيذكر في قصة آدم نقطة النسيان، وتجيء في السورة التي تكشف عن رحمة الله ورعايته لمن يجتبيهم من عباده، فيذكر في قصة آدم أن ربه اجتباه فتاب عليه وهداه، ثم يعقبها مشهد من مشاهد القيامة يصور عاقبة الطائعين من أبنائه وعاقبة العصاة، وكأنها هي العودة من رحلة الأرض إلى المقر الأول ليجزى كل بما قدمت يداه[1]

كاف الخطاب: لقد انتشرت "كاف" الخطاب في عدة مواضع نذكر منها خطاب الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ، في قوله تعالى:﴿ **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾ **طه: 02.**

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط10، (1402هـ/1982م)، مج4، ج16، ص2353

حيث أحالت "كاف" الخطاب في" عليك" على "محمد ﷺ"، على سبيل الإحالة المقامية، حيث جاء في تفسير هذه الآية" أن النبي ﷺ أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدر قدميه فأنزل الله عز وجل:﴿**مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾ **طه: 02**، أي: لتتعب"[1].

وجاء في قوله أيضا:﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ...**﴾ **طه: 09**.

أحالت" كاف" الخطاب في "آتاك" على مرجع غير مذكور في النص وهو" ﷺ" حيث جاء في معنى هذه الآية أنه:" لما عَظُمَ حال القرآن وحال الرسول ﷺ بما كلفه أتبع ذلك بما يقوّي قلبَ رسوله من ذكر أحوال الأنبياء تقوية لقلبه في الابلاغ"[2].

وقد ورد في قوله أيضا:﴿ **اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(32)** ﴾ **طه**

حيث أحالت كاف الخطاب المتصلة في "ربك"، لعلك"، عينيك"، أهلك"، نسألك"، ونرزقك"، على" النبي محمد ﷺ"، فالله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين يخاطب نبيه الكريم محمد ﷺ ويقول له:" لا تنظر إلى ما هؤلاء المْتْرَفُون وأَشْبَاهُهُم ونظراؤُهم فيه من النعيم، فإنما هو زهرةٌ زائلة ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشَّكور"[3].

حيث ربطت "كاف" الخطاب في هذه الآيات النص بسياق المقام، ذلك أن الكاف هو عنصر لغوي موجود في النص أحال على عنصر لغوي موجود خارج النص وهو" محمد ﷺ"، وجاءت كل هذه الإحالات على الرسول ﷺ وهو أمر طبيعي وواضح كون السبب الرئيسي لنزول هذه السورة متعلق به وعليه مدار النص القرآني.

---

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج16، ص650.

[2]- الدمشقي الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، (1419هـ/ 1998م)، ج13، ص182.

[3]- ابن كثير الدمشقي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تح: محمود بن الجميل، وليد بن محمد بن سلامة، خالد بن محمد بن عثمان، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، (1425هـ/ 2004م)، ج5، ص195.

ويتضح لنا أن الإحالة الخارجية (المقامية) قد أسهمت بشكل غير مباشر في اتساق هذا النص القرآني ذلك أنها ربطت اللغة بسياق المقام، كما أنه يصعب التعرف عليها لذلك لابد من العودة إلى كتب التفسير والبلاغة من أجل توضيحها وتفسيرها.

هاء" الغيبة": وردت في أربع وثلاثين (34) موضعا في سورة طه باختلاف مراجعها، فالسورة احتوت على مجموعة من القصص وهي عبارة عن أجزاء من السُّورة منها قصة موسى مع فرعون، العصا، السَّحَرة، آدم، ... الخ. وقد اسْتُعْمِلَ" هاء" الغيبة للدلالة على عناصر هذه القصص، أما فيما يخص اتساق كل جزء مع بعضه البعض من خلال ضمائر الغيبة فهو كالآتي:

جاء في قوله تعالى:﴿ **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي...﴾ طه: 39.**

فالهاء في "اقذفيه" و"له" تعود على" موسى عليه السلام"، على سبيل الإحالة السابقة.

أما" الهاء" في "فاقذفيه"، فليلقه"، تعود على مرجع سابق وهو" التابوت".

وقوله أيضا:﴿ **رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾. طه 86**

فالهاء في" قومه" هي إحالة سابقة على" موسى عليه السلام"، المذكور في نفس الآية مما أسهم في الربط بين عناصرها.

قال تعالى:﴿ **قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى(58)** ﴾ **طه**

فالمضير المتمثل في" مثله" يعود على لفظة" سحر" في الآية (57) والضمير المتصل في نخلفه سيعود على لفظة" موعدا" وكلها إحالات سابقة.

وقوله أيضا:﴿ **قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ(67)** ﴾ **طه**

فالهاء في " إليه" "ونفسه" تحيل على" موسى عليه السلام" على سبيل الإحالة اللاحقة، أما الضمائر في" حبالهم"، " عصيتهم" و" بسحرهم" هي إحالات لاحقة تعود على " السَّحرة" الذين ذكروا في الآية (70) من قوله تعالى:﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ**﴾ **طه: 70.**

أما" الهاء في أنها" تحيل إحالة سابقة تعود على" حبالهم" و" عصيهم" فضمير الغائب أسهم في الربط بين عناصر الآية الواحدة وتعداها إلى الربط بين الآيات اللاحقة لها.

وقوله أيضا:﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا(107)** ﴾ **طه**

فضمير الغائب في" ينسفها"، "يذرها"، " فيها" هي إحالات سابقة تعود على" الجبال" وهنا " هاء" الغائب حقق الترابط على مستوى هذه الآية فقط لأن المعنى تام والمرجع مذكور فيها.

فهذا الانتشار الواسع لضمائر الغيبة أدى إلى إحداث الترابط والتلاحم بين عناصر الآية الواحدة أولا ثم تعداه إلى مستوى الآيات ليشد بذلك السورة مع بعضها البعض لتصبح كلا موحدا، ومن هنا نستنتج أن ضمائر الغيبة هي التي أسهمت بشكل كبير في شد أواصر هذه السورة من مطلعها إلى آخرها.

كما وردت" هاء" الغيبة للدلالة على" فرعون" في قوله تعالى:﴿ **اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾ **طه:24.**

وقوله أيضا:﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ طه: 43.

الهاء في هذه الآيات تحيل إحالة سابقة على" فرعون" كما أنها عملت على ربط الآيات مع بعضها البعض، فتارة أحالت على مرجع مذكور في الآية نفسها فربطت بين أجزاء هذه الآية وتارة أخرى أحالت على مرجع مذكور في آيات سابقة أو لاحقة لها فربطت الآيات مع بعضها البعض، وهنا تظهر قوة التماسك بين أجزاء هذه السورة من خلال ضمير "هاء" الغيبة.

واو الجماعة: لم ترد" واو" الجماعة بكثرة في السورة وقد جاءت متصلة بالفعل الماضي وفعل الأمر، كما كان له دور في تلاحم آيات هذه السورة نذكر منها قوله تعالى:﴿ **إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾ **طه: 10.**

فالمضير المتصل" واو" الجماعة يحيل على "أهل موسى عليه السلام" على سبيل الإحالة السابقة والربط هنا كان فقط على مستوى هذه الآية لأن المرجع مذكور فيها والمعنى تام.

وقوله أيضا:﴿ **قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ...**﴾ **طه: 81.**

فحرف "الواو" في الفعلين "كلو" و "لا تطغوا" إحالة سابقة على" بني إسرائيل" الذين ذكروا في الآية التي من قوله تعالى:﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ**﴾ **طه: 80.**

هنا نلاحظ أن الربط جاء على مستوى هاتين الآيتين ب" واو" الجماعة الذي أسهم في إحضار دلالة المحال عليه ليتم بذلك المعنى الذي كان يحتاجه التركيب فأمر الله بني إسرائيل بالأكل من الطيبات وحذرهم من الطغيان فيها لئلا يغفلوا عن الواجب الذي هم خارجون له، ف"واو" الجماعة في الفعلين يحيل على لفظ بني إسرائيل مما يجعل الآيتين مترابطتين ترابطا لا يمكن الفصل بينهما.

أيضاً في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ**﴾ **طه: 116.**

فالضمير المتصل" واو" الجماعة في فعل الأمر" اسجدوا" والفعل الماضي" سجدوا" أحال إحالة سابقة على" الملائكة"، والمرجع هنا جاء في نطاق هذه الآية، مما يسهل على القارئ فهما.

ومن هنا نستطيع القول بأن الضمير المتصل" واو" الجماعة مثله مثل الضمائر الأخرى، له وظيفة الربط على مستوى الآية، كما له القدرة أيضا على الامتداد إلى آيتين أو أكثر، غير أن" واو" الجماعة من غير الممكن أن يحيل على مرجع لا يطابقه في الجنس والعدد وهذا ما يجعل القارئ يستأنس بقراءة القرآن ويتذوق معانيه لأن غياب المرجع لا يعني الاختفاء دون ترك ما ينوب عنه.

ومما سبق ذكره يظهر دور الضمير المتصل في أنه يحيل تارة لسابق وتارة للاحق، مما يزيل اللبس والغموض، وتوجد عدة أمثلة على ذلك كما في قوله تعالى:﴿ **وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ**﴾ **طه: 83.**

هنا" كاف" الخطاب في "قومك" أحالت على " موسى عليه السلام"، ولكن لو حذف كاف الخطاب وعبر عنه بمرجعه الأصلي" موسى"، لقيل (وما أعجلك عن قوم موسى يا موسى)، هنا سيحدث خلل في فهم المعنى الصحيح لهذه الآية ولتوهم القارئ بوجود شخصين يحملان اسم موسى، وبذلك ستفقد الآية المعنى الحقيقي لها؛ لذلك فالإحالة جنبتنا الوقوع في اللبس، والقرآن الكريم معجز بألفاظه ومعانيه.

الضمير المستتر: هي فكرة تطرق إليها النحاة حين رأوا بأن الفعل لابد له من فاعل يُسْنَدُ إليه ويُذْكَرُ بعده، فإن لم يظهر هذا الفعل ولم يُشِرْ إليه بضمير بارز وجب تقديره بضمير مستتر.

فإن لم يكن للضمير المستتر وجود في اللغة لأصبح من المحال تفسير نشوء علاقة بين جملتين منفصلتين[1].

فالضمير المستتر إذن: هو عكس الضمير البارز فلا يذكر كتابة إنما يقدر في الذهن، إضافة إلى أن هذا الأخير هو قرينة لفظية بارزة في حين أن الأول هو قرينة معنوية مدركة للعقل.

وهذا ما سنكتشفه من خلال تحليلنا لسورة "طه" مع توضيح الدور الإحالي لهذه الضمائر المستترة في تماسك هذه السورة، وقد تنوعت هذه الضمائر وهي كالآتي:" هو، أنا، نحن، أنت" ومن أمثلتها: قوله تعالى:﴿ **قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**﴾ **طه: 25.**

حيث توفرت هذه الآية على ضميرين مستترين، الضمير المستتر" هو" في الفعل قال:" يحيل على موسى عليه السلام" وهي إحالة سابقة، والضمير المستتر" أنت" في الفعل" اشرح" يحيل على لفظ الجلالة "الله عز وجل" وهي إحالة مقامية، إذ توفرت هذه الآية على فعلين يحتويان على ضمرين مستترين يحيلان على مرجعين مختلفين يَعسُر على الباحث اكتشافهما إلا من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، فكل فعل يحتاج إلى فاعل، فإن لم يظهر هذا الفاعل وجب تقديره بضمير مستتر،

[1]- ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص153- 155.

فلابد على القارئ أو المتلقي أن يكون شديد التركيز لفهم مرجعية هذا الضمير المستتر، لأن القرآن ليس بالكلام العادي الذي يفهم بسهولة والأمثلة على ذلك كثيرة في سورة طه، نذكر منها قوله تعالى:﴿ **وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ**﴾ **طه: 22.**

فالضمير المستتر "هي" في الفعل "تخرج" يحيل إحالة سابقة على" يد" موسى عليه السلام.

وقوله أيضا:﴿ **إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ(40)** ﴾ **طه**

فالضمير المستتر "هي" في الفعل "تقول" يحيل على "أخت موسى عليه السلام" وهي إحالة سابقة. أما الضمير المستتر "هي" في الفعلين" تقر" و"تحزن" يحيل إحالة سابقة على" أم موسى" بالإضافة إلى وجود الضمير المستتر "أنت" في الأفعال" جئت، قتلت، لبثت"، وهي إحالة لاحقة على" موسى عليه السلام".

فالضمير المستتر في هذه الآية حتى وإن اختلفت مراجعه إلا أنه كانت له القدرة على شد العناصر وجعلها مترابطة وإزالة الغموض والابهام عنها دون إحداث أي خلل، فالضمير المستتر يسهم كذلك في الاختصار فهو يغني عن حضور المرجع ولكنه يحتاج إلى إعمال العقل لفهم مدلوله، كما أنه يعمل على تحقيق التماسك والترابط بين العبارات والآيات، فلولا وجوده لكان الكلام متناثرا ومفككا يحتاج إلى من يبين مقصوده ومعناه.

وجاء في قوله أيضا:﴿ **قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ**﴾ **طه: 135.**

حيث ختم الله تعالى السورة بالتهديد والوعيد والتخويف، أي قل لهم يا محمد: كل متربص، أي كل المؤمنين والكافرين منتظر دوائر الزمان ولمن يكون النصر[1]. وقد احتوت هذه الآية على ضمير مستتر

[1]- ينظر: أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج6، ج11، ص3312.

"أنت" في الفعل" قل" يحيل على "رسول الله ﷺ" على سبيل الإحالة المقامية وهي إحالة خارج النص لا تعرف إلا عن طريق سياق الكلام.

من خلال ما سبق نلاحظ أن "سورة طه" احتوت على الإحالة المقامية التي كان لها دور في ربط النص بسياق المقام ووردت بكثرة مع ضمائر المتكلم والمخاطب، التي تحيل إلى خارج النص باعتبار أن طرفي الخطاب حاضران في الموقف الخطابي، ومع ذلك إلا أنه طغت الإحالة النصية على السورة. ونخص بالذكر الإحالة على سابق، فأغلب العناصر قد ذكرت صراحة أولا ثم أحيل عليها باستعمال الضمائر بنوعيها البارزة والمستترة والتي انتشرت بشكل كبير في السورة، والتي أسهمت في اتساق النص القرآني وتماسكه ترتيبا وتركيبا من خلال الاختصار، الربط والتعويض، فالكلام لا يكون منتظما إلا إذا تعلق بعضه ببعض فكل ضمير يعود على مرجعه ليترك المتلقي او القارئ على علم ودراية بالعلاقة التي تجمع بين المحيل والمحال عليه وهو التطابق في المعنى تجنبا للتكرار، مع تحقيق الاختصار والسلاسة في توالي الأفكار وانتظامها دون المساس برونق الكلام، فلو لم تكن الضمائر موجودة لكان التفكك حاصلا في تركيب الآية، فاقدا اتساقه وتضامنه، فالآية الواحدة إذا كانت متلاحمة الأطراف سليمة التركيب حتما يسهم في تماسك كل آيات السورة. وهو ما يجعل النص القرآني يظهر في حلة من التناسق والتضام، والقرآن بدوره كلام موجز واف لمعناه، هذا هو الأثر لهذه الضمائر في تماسك سورة" طه" مما جعلها بنية موحدة متماسكة لا انفصال بين أجزائها رغم تعدد موضوعاتها.

من خلال ذلك كله يتضح لنا ورود الإحالة الخارجية، وكثرة الإحالة النصية بنوعيها على السورة من بدايتها إلى نهايتها، وخصوصا منها الإحالة على سابق(قبلية) التي هي أكثر انتشارا في النص القرآني، وباعتبار الضمائر من بين الأدوات الإحالية، فقد ساهمت بنسبة عالية في تكوين نسيج النص بلغت بالتقريب حوالي 85% مع النسبة الباقية لأسماء الإشارة والأسماء الموصولة كما سيأتي بيانه .

فقد ساهمت الضمائر بمرجعيتها المختلفة التي كانت جلها نصية سابقة في تحقيق تماسك هذا النص القصصي إضافة إلى التماسك الدلالي بين أحداث القصة.

أما فيما يتعلق بخاتمة السورة فلها علاقة مع افتتاحيتها وكذلك مع المحاور الأخرى وذلك ناتج عن الدور الذي تقوم به الإحالة في تجسيد ذلك حيث كانت الضمائر تعود على عناصر سبق ذكرها في البداية وهي الله جل جلاله ورسوله الكريم ﷺ مما يوحي بالاتساق العجيب بين آيات السورة والترابط بين وحداتها.

جدول توضيحي لأسماء الإشارة في سورة طه

المحال إليه	الإحالة	الأداة المستعملة	نوع الإحالة	رقم الآية
الحياة الدنيا	هذه	اسم إشارة	إحالة لاحقة	72 117
إبليس	هذا	اسم إشارة	إحالة لاحقة	88 63
العجل	هذا	اسم إشارة	إحالة سابقة	75 84
موسى وهارون	هذان	اسم إشارة	إحالة سابقة	17
مؤمنين	أولئك	اسم إشارة	إحالة سابقة	53. 54 76
قوم موسى	أولائي	اسم إشارة	إحالة مقامية	128
العصى	تلك	اسم إشارة	إحالة مقامية	
خلق السموات والأرض والأنعام	ذلك	اسم إشارة	إحالة سابقة	
جنات عدن	ذلك	اسم إشارة	إحالة سابقة	
من أهلك الأمم	ذلك	اسم إشارة	إحالة سابقة	

فقد وردت أسماء الإشارة في عشرة(10) مواضع من سورة "طه" وهي كالآتي:

المفرد: حيث جاء في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾. **طه:72**

فقد أحال اسم الإشارة" هذه" على الحياة الدنيا وهي إحالة لاحقة والتي حققت الترابط على مستوى هذه الآية فقط دون غيرها.

وجاء في قوله تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ**﴾ **طه:117**

واسم الإشارة في هذه الآية يحيل على" إبليس" لعنه الله المذكور في الآية التي سبقتها مباشرة في قوله تعالى:" وَإِذْ **قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ** ".**طه: 116**، وهنا اسم الإشارة حقق الترابط على مستوى هذه الآية والآية التي قبلها فكان الاتساق بين الآيتين جليّاً.

كما جاء اسم الإشارة مفردا في قوله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ** ﴾ **طه: 88**،

فاسم الإشارة "هذا" يحيل على لفظة" إلهكم" وهو" العجل" وهي إحالة لاحقة، وقد ذكر الألوسي بشرحه لهذه الآية: "...ولا يخفى ما في الاتيان باسم الاشارة والمشار إليه بمرأى منهم وتكريراً له، وتخصيص موسى عليه السلام بالذكر وإتيان الفاء من المبالغة في الضلال"[1].

المثنى: حيث جاء في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ(63)** ﴾. **طه**

فقد أحال اسم الإشارة" هذان" على موسى وهارون" عليهما السلام وهي إحالة سابقة، فقد ورد موسى صراحة في الآية(57) من قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ**﴾. **طه: 57.**

أما بالنسبة لهارون عليه السلام قد ورد في الآية(30) من سورة طه، وذلك في قوله تعالى: ﴿**هَارُونَ أَخِي**﴾. **طه:30**

[1] –ينظر: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د ط)، (1408هـ/ 1987م)، مج8، ج15، ص248.

ثم أحيل عليها باستعمال اسم الإشارة" هذان" في الآية(63)، فاسم الإشارة هنا قام بالربط بين كل الآيات التي جاءت قبلها وجعلت ذلك كلا موحدا متماسكاً

الجمع: وجاء في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ**﴾. **طه: 75**، "فأولئك" إشارة إلى "من" والجمع باعتبار معناها...وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم[1].

وهنا أحال اسم الإشارة "أولئك" إحالة سابقة على" المؤمنين".

وجاء في قوله أيضا: ﴿ **قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴾. **طه: 84.**

فاسم الإشارة" أولاء" تحيل على قوم موسى الذين ذكروا في الآية التي وردت قبلها مباشرة في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ** ﴾. **طه:83.**

فهي إحالة إلى سابق ومن هنا هذه الإحالة حققت ترابطا على مستوى الآيتين (83) و(84)

القرب والبعد: حيث ورد في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ** ﴾، **طه:17.**

فقد أحال اسم الإشارة" تلك" على" العصا" وهي إحالة مقامية وهنا اسم الإشارة يدل على البعد ذلك أن الله يخاطب موسى عليه السلام من مكان بعيد لأن منزلة الخالق لا تستوي مع منزلة المخلوق

وقوله أيضا: ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ(54)** ﴾ **طه**

فقد جاء اسم الإشارة" ذلك" في الآيتين السابقتين كإحالة موسعة إذ يحيل قبليا على" خلق السموات والأرض والنبات والأنعام باختلاف أنواعها، وفي هذا إشارة إلى قدرة المولى ووحدانيته بالإضافة إلى اختصار الكلام وتجنب التكرار، وهي إحالة بعيدة المدى كما أنها ربطت الآيتين مع بعضهما

[1] – ينظر: المصدر السابق، مج8، ج15، ص234

البعض". ولهذا ذكر الألوسي في شرحه: " (إنَّ في ذلك) إشارة إلى ما ذكر من شؤنه تعالى وأفعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال"[1].

وقوله أيضا: ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ** (76)﴾ **طه**

حيث أحال اسم الإشارة" ذلك" على" جنات عدن"، وهنا استعمل اسم الإشارة للدلالة على شيء معنوي غير محسوس(الجنة) لإنزاله منزلة المشاهد وهذا شيء منطقي لأن الله عز وجل يتوعد عباده المؤمنين بالجنة، وهي إحالة سابقة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ(128)** ﴾ **طه**

فقد أحال اسم الإشارة" ذلك" في هذه الآية على:" أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم"، نحو عاد وثمود ومن أهلك من الأمم[2] وهي إحالة سابقة وما فيه من معنى البعد.

من خلال تحليلنا للأدوات الإشارية في هذه السورة اتضح لنا أن أسماء الإشارة مثلها مثل الضمائر تقوم بالربط القبلي والبعدي، كما أنها تتميز بخاصية الإحالة على أكثر من عنصر واحد في النص، مما ساهم بشكل كبير في ربط الآيات مع بعضها البعض لضمان استمرارية النص القرآني وتماسكه، كما أن أسماء الإشارة تقع على كل شيء وليست خاصة بنوع معين بالإضافة إلى أنها تحمل دلالات القرب والبعد.

المحال إليه	الإحالة	الأداة المستعملة	نوع الإحالة	رقم الآية
الله	الذي	اسم موصول	إحالة داخلية سابقة	50 53
الله	الذي	اسم موصول	إحالة داخلية سابقة	72 78
الله	الذي	اسم موصول	إحالة داخلية سابقة	71 97
الله	الذي	اسم موصول	إحالة داخلية سابقة	

[1] – ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانين مج8، ج15، ص207.

[2]– جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج5، ص610.

موسى	الذي	اسم موصول	إحالة داخلية سابقة	
السامري	الذي	اسم موصول	إحالة داخلية سابقة	
ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى	ما، ما، ما، ما	أسماء موصولة	إحالات لاحقة	06
الصحف الأولى	ما	اسم موصول	إحالة لاحقة	133
يبصروا به	ما	اسم موصول	إحالة لاحقة	96
متعنا به	ما	اسم موصول	إحالة لاحقة	131
تسعى	ما	اسم موصول	إحالة لاحقة	15
استعلى	من	اسم موصول	إحالة لاحقة	64
حمل ظلما	من	اسم موصول	إحالة لاحقة	111

الأسماء الموصولة:

تعريفها: الاسم الموصول يعرف بنفسه لأنه يصل الكلام بعضه البعض داخل النص بين المتواليات لتحقيق المعنى المراد، ومن تعريفاته نذكر أنه:" اسم مفعول من وصل الشيء بغيره إذا جعله من تمامه، وسميت الأسماء الموصولة بذلك، لأنها توصل بكلام بعدها هو من تمام معناها، وذلك إن الأسماء الموصولة ناقصة الدلالة لا يتضح معناها، إلا إذا وصلت بالصلة"[1]. وهذا يعني أن الاسم الموصول هو" اسم غامض المعنى ومبهم الدلالة يحتاج دائما في تعيين مدلوله، وإيضاح المراد منه، إلى شيئين بعده، إما: جملة وإما شبهها وكلاهما يسمى: صلة الموصول، ولابد في الجملة من ضمير يعود على اسم الموصول"[2].

[1]- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1420هـ/2000م)، ج1، ص119.

[2]- ينظر: عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط3، (دت)، ج1، ص341, 342.

فالأسماء الموصولة هنا ناقصة الدلالة لا يتضح معناها إلا بوجود جملة الصلة، وهذه الأخيرة إما تكون جملة اسمية أو فعلية تحتوي على ضمير يعود على الاسم الموصول فيبينه ويوضح معناه أو أن تأتي شبله جملة والتي تزيل الغموض والإبهام عن هذا الاسم الموصول.

ألفاظ الموصول الاسمي قسمان: مختص، وعام (مشترك)

المختص: ما كان نصا في الدلالة على بعض الأنواع دون بعض مقصور عليه وحده، مثل:" الذي" للمفرد المذكر، و"التي" للمفرد المؤنث، و"اللذان" للمثنى المذكر، و" اللتان" للمثنى المؤنث، و"الذين" للجمع المذكر، ونقول" اللاتي واللواتي واللائي" لجمع المؤنث[1].

والعام أو المشترك: ما ليس نصاً في الدلالة على بعض هذه الأنواع دون بعض وهي: ما، من، أل، ذو، ذا، أي.

وقد وردت هذه الموصولات المختصة في سورة" طه" في ستة(06) مواضع وهي كالآتي:

في قوله تعالى﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ طه: 50.**

احتوت هذه الآية على الاسم الموصول "الذي"، والذي أحال إحالة سابقة على "الله عز وجل" وقد اتصلت صلة الموصول بضمير "الهاء" في الاسم خَلْقَهُ، والذي يعود على الاسم الموصول، والذي بدروه يعود على "الله عز وجل" مما جعل الآية مترابطة في أجزائها

وقوله أيضا: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ** ﴾. **طه: 53.**

فقد أحال الاسم الموصول الذي إحالة سابقة على الله عز وجل كما احتوت صلته على الضمير المستتر في الفعل جعل الذي يعود على الاسم الموصول الذي، والذي بدوره يعود على الله عز وجل وبذلك ترتبط بالآيات التي سبقتها ارتباطا دلالياً يسهم في نسيج خيوط النص القرآني.

وفي قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(72)** ﴾. **طه**

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص346,342,

ففي هذه الآية أحال الاسم الموصول "الذي" على" الله عز وجل" وهي إحالة سابقة كما احتوت صلة الموصول على الضمير المستتر في الفعل" فطر"، والذي يعود على الاسم الموصول، والذي بدروه يعود على" الله عز وجل" في الآيات السابقة مما يجعل هذه الآية تتماسك مع سابقتها بوحدة المرجع والمحال عليه وهو لفظ الجلالة

وقوله أيضا: ﴿ **إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**". **طه: 98.**

فاسم الموصول في هذه الآية أحال على الله عز وجل" إحالة سابقة وقد احتوت صلته على الضمير البارز" هو" والذي بدوره يعود على" الله عز وجل" وهو بمثابة التأكيد

وجاء في قوله تعالى: ﴿**قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ**﴾. **طه: 71.**

فالاسم الموصول "الذي" في هذه الآية يحيل على" موسى عليه السلام" وهي إحالة سابقة وقد احتوت صلته على الضمير المستتر في الفعل" علَّم" والذي يعود على الاسم الموصول "الذي" والذي بدوره يحيل على" موسى عليه السلام" فيجعل نص الآية مترابطا بين أجزائه.

وجاء في قوله أيضا: ﴿**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا** ﴾.

طه:97.

حيث أحال الاسم الموصول في هذه الآية على" إله السامري"، أي العجل الذي أخرجه لهم وهي إحالة سابقة، وقد احتوت صلة الموصول على الضمير المتصل بالهاء في" عليه"، والذي يعود على الاسم الموصول والذي بدوره يعود على "إله السامري".

فلقد أسهم الاسم الموصول المختص في سورة" طه" على الربط بين هذه الآيات، والآيات التي سبقتها وشدت بعضها ببعض، وقد احتوت صلة الموصول على الضمير، هذا الأخير هو الذي يوضح الابهام الذي يعتري الاسم الموصول وهذا ما يسمى بالاتساق.

الموصول الاسمي العام أو المشترك:

جاء في قوله تعالى: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ**﴾، **طه: 06**.

احتوت هذه الآية على أربع إحالات موصولية لاحقة لأن المرجع مذكور في جملة الصلة وهي كالآتي:

"ما" في (ما في السموات) تعود على كل شيء موجود في السماوات من ملائكة ونجوم وكواكب...الخ، أي أنها تحيل على جملة الصلة وجاءت شبه جملة تامة المعنى لا تحتاج لضمير يعود على الاسم الموصول.

أما" ما" في (وما في الأرض) تحيل أيضا على كل ما هو موجود في الأرض من عباد وحيوانات وجبال وأنهار... الخ، وجملة الصلة جاءت شبه جملة تامة المعنى.

"وما" في (وما بينهما) تحيل على كل ما هنو موجود بين السماوات والأرض من سحاب رياح... الخ، وهنا جملة الصلة جاءت ظرفية.

وأما "ما" في (وما تحت الثرى) فتحيل على" ما هو موجود تحت الثرى"، حيث جاء في تفسير هذه الآية أن تقديم المجرور في قوله (له ما في السماوات) للقصر، ردا على زعم المشركين أن لآلهتهم تصرفات في الأرض، وأن للجن اطلاعاً على الغيب، ولتقرير الرد ذكرت أنحاء الآيات، وهي السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، أي كل ذلك تحت سلطانه لا شريك له، والثرى هو التراب وما تحته هو باطن الأرض كله[1]، وهنا جاءت جملة الصلة ظرفية تامة المعنى.

وقد أسهمت "ما الموصولية" في تماسك عناصر هذه الآية من خلال تكرارها في كل جملة من الجمل المتوالية وربط جملة الصلة بموصولها، وجاء في قوله أيضا:" **وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ**﴾. **طه:133**.

حيث أحالت" ما" في هذه الجملة على صلتها وهي (في الصحف الأولى) وجاءت جملة الصلة شبه جملة حيث جاءت كل الاحالات في هذه الآيات لاحقة على جملة الصلة.

[1]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص 188.

وقال تعالى: ﴿**قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي** ﴾. **طه: 96.**

الاسم الموصول" ما" والذي أحال على عنصر لاحق له وهو الجملة الفعلية (يبصروا به) وقد اتصلت جملة الصلة بضمير المتصل" الهاء" في (به) والذي ربطها بالاسم الموصول" ما".

وقوله أيضا: ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾. **طه: 131.**

أحالت" ما" الموصولية في هذه الآية على جملة (متعنا به) فالهاء في (به) تعود على ما الموصولية، ليظهر الترابط والتماسك جلياً بين عناصر هذه الآية، فالاسم الموصول لا يتم معناه إلا بصلته والتي بدورها تشتمل على ضمير يعود عليه، يفسره ويوضح مدلوله.

وجاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ** ﴾ **طه: 15.**

حيث جاء الاسم الموصول" ما" هذه الآية للإحالة على عنصر لاحق له وهو جملة الصلة (تسعى) فاعلها ضمير مستتر تقديره" هي" والعائد المجرور محذوف تقديره بالذي تسعى فيه

وجاء في قوله أيضا: ﴿**تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى(4)** ﴾ **طه**

حيث أحال الاسم الموصول" من" على ملفوظ بعده وهو جملة (خلق الأرض) على سبيل الإحالة اللاحقة والضمير المستتر تقديره "هو" يفسر الاسم الموصول ويعود عليه.

كما ورد الاسم الموصول" من" في قوله تعالى: ﴿ **فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ** ﴾. **طه: 64.**

فقد أحال الاسم الموصول "من" على جملة (استعلى)، والضمير المستتر تقديره" هو" يفسر الاسم الموصول كذلك ويعود عليه.

كما جاء في قوله عز وجل: ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾. **طه: 111.**

أحالت" من" على ملفوظ بعدها وهي جملة الصلة (حمل ظلما) وهي إحالة لاحقة والضمير المستتر في الفعل" حمل" تقديره "هو" يعود على الاسم الموصول "من" ويفسره.

فمن خلال الآيات السابقة أن الموصولات العامة أيضا لها وظيفة الربط، باعتبارها عناصر إحالية وذلك من المعنى الذي تحمله، فلو استبدلت برابط آخر لفسد المعنى وتغير المقصد، لأن الأسماء الموصولة لا دلالة لها إذا اتصلت بصلتها، وهي في هذا النص القرآني أوجزت لنا كلاما لو ذكرناه لطال هذا النص القرآني، ولما تمعن القارئ في ألفاظه ومعانيه، ولما تعرف على دلالة ووظيفة الروابط الإحالية الموصولية، التي هي بمثابة خيوط نسيج النص القرآني، فالاستغناء عن الاسم الموصول يجعل النص جملا متناثرة لا معنى لها وهنا يظهر أثر هذه الموصولات الإحالية في ترابط النص وتوضيحه مما حقق تماسكا قويا له.

ولقد أسهمت الموصولات العامة والخاصة في تحقيق تماسك سورة" طه" وجاءت أغلب الإحالات داخلية لاحقة، وهذا التماسك يتجاوز مستوى الآية الواحدة، ما عدا الموصولات الخاصة التي أحالت إحالات سابقة فربطت بذلك الآيات ببعضها البعض فإذا تماسكت عناصر الآية الواحدة أدى ذلك إلى التماسك الكلي لبنية هذه السورة

يتضح لنا من خلال تحليلنا لسورة" طه" أن استمرارية الأدوات الإحالية (الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة) في هذه السورة كان لها دورا فعالا في تشكيل الربط النحوي من خلال تنظيم النص وترتيبه وتحقيق التماسك الدلالي وذلك باتصال المعاني وهي بهذا ترفع اللبس والغموض عن الآيات، وهنا يظهر الاتساق بين مواضيع السورة في تشكل البنية الكلية لها.

وأضفت هذه الأدوات الإحالة طابعا جماليا أيضا متمثلا في اختصار الكلام وجعله موجزاً تام المعنى من خلال حسن النظم الذي يختص به القرآن الكريم عن غيره.

المبحث الثاني: أوجه الاستبدال في سورة "طه":

نتطرق في هذا المبحث إلى دراسة الاستبدال من خلال النص القرآني لسورة طه، دراسة تطبيقية للكشف عن روابط اتساقية، تسهم في التماسك والترابط بين وحدات هذا النص القرآني، ولهذا يعد "الاستبدال معلم من معالم الاتساق، ومعالجته في اللسانيات الحديثة تعتمد على مجموع العلاقات التي تنشأ بين العنصر اللغوي والعناصر الأخرى التي يمكن أن يحل محلها في نفس السياق في التركيب"[1].

وتكمن فائدته من حيث اتساق النص، بين المستبدل والمستبدل منه في كونه يمثل علاقة قبلية بين عناصر سابق في النص وبين عنصر لاحق، ومن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية[2] المترتبة عن هذه العلاقة والتي يجمعهما السياق التركيبي نفسه، إما باتحاد الوظيفة أو اتحاد الموقع والوظيفة معا، إذ يحتل العنصر المستبدل موقع المستبدل منه ويكتسب بعض ملامحه وسماته.

جدول الإحصاء لسورة طه من خلال الاستبدال:

يساهم الاستبدال باعتباره أحد العناصر الاتساقية الفعالة في تلاحم وتماسك سورة طه مثله مثل العناصر السابقة، وذلك ما سيوضحه الجدول التالي:

المستبدل	المستبدل منه	المرجعية	نوع الاستبدال	رقم الآية
الله جل جلاه	الرحمان	داخلية	إسمي	5-90-108-109
	الغفار	داخلية	إسمي	82
	ربك	داخلية	إسمي	12-45-73-129-130-131
	الملك- الحق	داخلية	إسمي	114
	الذي	داخلية	إسمي	50

[1] عثمان حسين مسلم أبو زنيد، نحو النص (دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)، ص209.

[2] ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 20.

محمد ﷺ	طه	داخلية	إسمي	1
موسى عليه السلام	يا بنؤم	داخلية	إسمي	94
القيامة	الساعة	داخلية	إسمي	15
	الآخرة	داخلية	إسمي	127
العصى	تلك	داخلية	إسمي	17
هارون عليه السلام	وزيرا	داخلية	إسمي	29
	أخي	داخلية	إسمي	30
	أخوك	داخلية	إسمي	42
فرعون	عدو	داخلية	إسمي	39
موسى وهارون عليهما السلام	رسولا	داخلية	إسمي	47
اللوح المحفوظ	كتاب	داخلية	إسمي	52
بني إسرائيل	الناس	داخلية	إسمي	59
	قومه	داخلية	إسمي	86-79
	قومك-القوم-ياقوم	داخلية	إسمي	90-87-85-83
السحرة	كيده	داخلية	إسمي	60
	كيدكم	داخلية	إسمي	64
البحر	اليمّ	داخلية	إسمي	97-78-39
جبريل عليه السلام	الرسول	داخلية	إسمي	96
العجل	إلهك	داخلية	إسمي	97
إبليس	عدو	داخلية	إسمي	117

	الشيطان	داخلية	إسمي	120
أدم وزوجته	جميعا	داخلية	إسمي	123
القرآن	الصحف	داخلية	إسمي	133

التحليل النصي للسورة من خلال الاستبدال

من خلال الجدول يتبين أنه طغى على السورة الاستبدال الاسمي مع الغياب الكلي للنوعين الآخرين (الاستبدال الفعلي والاستبدال القولي) من بداية السورة إلى نهايتها، مما أدى إلى اتساقها وتماسكها، مع العلم أنه في جميع الأمثلة كانت على سبيل التمثيل، لا على سبيل الحصر وإلاَّ لأصبح المبحث فصلا، وأما المرجعية فهي داخلية إلا في خمس منها، فقد استبدل اسم محمد ﷺ بلفظ طه في الآية الأولى، والمرجعية هنا خارجية لأن اسم محمد ﷺ ذكر صراحة في أربعة سور من القرآن الكريم كله وهي: سورة محمد، سورة الفتح، سورة آل عمران، سورة الأحزاب، وذلك على التوالي، أولا: في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ **محمد: 02.**

وثانياً: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ **الفتح: 29.**

وثالثاً: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ **سورة آل عمران ، 134.**

ثمَّ رابعاً: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ **الأحزاب:40**

واستبدل اسم جبريل "عليه السلام" بلفظ الرسول وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**﴾ **طه: 96**، يذكر ابن كثير: أن السامري ملأ كفه من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام، فألقى ما كان في يده على حلية بني إسرائيل فانسبك عجلا جسداً له خوار خفيف الريح، فكذلك المرجعية هنا خارجية لأن اسم جبريل " عليه السلام "[1] ذكر في

[1] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص183.

ثلاث مواضع بألفاظ صريحة وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ **التحريم: 04.**

وثانياً: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ **البقرة: 97**

أمَّا الثالث: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾ **البقرة: 98**

واستبدل اسم (اللوح المحفوظ) بلفظ كتاب في قوله تعالى: ﴿**قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى**﴾ **طه: 52** قال بن كثير: ومعنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى، شرع يحتج بالقرون الأولى أي الذين لم يعبدوا الله فما بالهم عبدوا غيره، فقال له موسى: هم وإن لم يعبدوه فإن علمهم عند الله مضبوط في كتاب وهو اللوح المحفوظ...مع العلم أنه لم يذكر لفظ اللوح المحفوظ صراحة إلا في قوله تعالى في سورة البروج: ﴿**فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ **البروج: 22**.والمرجعية هذه خارجية أيضا.[1]

فالاستبدالات السابقة تدل على ترابط سور القرآن بعضها ببعض لأن المستبدل منه في سورة طه والمستبدل في سورة أخرى فهناك علاقة تقابل بينهما مما أدى الاتساق على مستوى القرآن العظيم كله.

أما فيما تعلق بالاتساق الداخلي لسورة طه فقد استبدل لفظ الجلالة "الله" في كثير من المواضع منها قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ **طه: 05.**

﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾ **طه: 82.**

﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾ **طه: 109.**

﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ**﴾ **طه: 114.**

(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) طه: 50.

[1]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص174.

ففي الآيات (5) و(82) و(109) و(50) كان الاتساق على مستوى السورة ككل لأن المستبدل منه في آية والمستبدل في آية أخرى أما في الآية (114) فالمستبدل والمستبدل منه في نفس الآية وبالتالي فالاتساق الحاصل كان على مستوى الآية.

ولم يقتصر الاستبدال على لفظ الجلالة فقط بل تعداه لعدة أسماء أخرى كما هو موضح في الجدول السابق ومنها: استبدال اسم موسى "عليه السلام" بلفظ "**يَبْنَؤُمَّ**"، وذلك عندما كان هارون عليه السلام يعتذر من أخيه بسبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم فقد ترقق له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه، لأن ذكر الأم هنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف[1]، فالمستبدل هو "موسى"، والمستبدل منه "يا بنؤم" يوجد بينهما مطابقة إحالية، أدت إلى التماسك النصي بين السابق واللاحق، وذلك في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي**﴾ **طه:94**، وقد استبدل اسم هارون مرة بلفظ وزيرا، فلما سأل موسى "عليه السلام" ربه في أمر خارج عنه وهو مساعدة أخيه هارون له.[2] وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي**﴾ **طه: 29.**، ومرة أخرى بلفظ أخي في قوله تعالى: ﴿**هَارُونَ أَخِي**﴾ **طه:30.** فالاتساق في الآية (29) تحقق على مستوى السورة أما في الآية (30) فهو على مستوى الآية.

كما استبدل اسم إبليس بلفظين، تحقق من خلالهما الاتساق على مستوى الآيات لأن المستبدل منه في آية والمستبدل في آية أخرى في الآيات التالية:

﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى**﴾ **طه: 116.**

﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ**﴾ **طه: 117.**

﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ**﴾ **طه: 120.**

فاسم إبليس اسْتُبْدِلَ مرة بلفظ عدو في الآية (117) ومرة أخرى بلفظ الشيطان في الآية (120) وكانت المرجعية هنا سابقة مما أدى إلى اتساق الآيات وتماسكها مع بعضها البعض.

---

[1] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص182.

[2] المصدر نفسه، ج5، ص165.

فمختلف الاستبدالات الحاصلة في سورة طه أدت إلى استمرارية العنصر المستبدل فلا يفهم المستبدل منه من دون العودة إلى ما هو متعلق به قبلا في سورة طه أو في سورة أخرى فالاستبدال عمل على ترابط أجزاء النص لاحتياج اللاحق للسابق، كما عمل على ترابط سور القرآن ببعضها البعض واتساقها ويختلف مدى الربط باستخدام الاستبدال الاسمي باختلاف تواجده في التركيب، حيث نجد الربط داخل الآية نفسها، وعندئذ يكون الربط قصيراً كما في الآية (114) من سورة طه، وقد يقع الربط خارج حدود الآية داخل النص القرآني، فيكون

مدى الربط كبيراً لتباعد المسافة بين المستبدل والمستبدل منه، كما مرَّ في الآيتين (117) و(120). فالاستبدال له دور مهم يتمثل في ربط وقائع السرد داخل النص القرآني، ووسيلة من وسائل التي تسهم في إيجازية النص، المتمثلة في ظاهرة الاقتصاد اللغوي.

المبحث الثالث: مسالك الحذف في سورة يوسف

نتناول في هذا المبحث مسالك الحذف دراسة تطبيقية في سورة يوسف عليه السلام، حيث نعمد إلى افتراض وجود عنصر سابق هو مصدر المعلومة المفقودة، فالعنصر المحذوف يترك فراغا أو فجوة على مستوى البنية التركيبية من الممكن ملؤها من مكان آخر في النص، "فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء، وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر، لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره".[1]

مواطن الحذف في سورة يوسف:

أ- مواطن حذف الحرف:

1- قال تعالى: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ **يوسف:9**

قال ابن عطية: أرضا مفعول ثان بإسقاط حرف الجر (في)، لأن طرح -لا يتعدى إلى مفعولين إلا كذلك وليست أرضا مبهمة حتى تعرب ظرفا كما زعمت فرقة، فقد قيدت بأنها أرض بعيدة، أو قاصية، فزال بذلك إبهامها.[2]

وكذلك الأخفش قال في معاني القرآن: (أو اطرحوه أرضا)، وليس الأرض هَهُنا بظرف، ولكن حَذفَ منها (في)، ثم أَعْمَل فيها الفعلَ، كما تقول: "تَوَجَّهْتُ مَكَّةَ".[3]

---

[1] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003م، ص259.

[2] ينظر: القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1422هـ/2001م)، ج3، ص222.

[3] أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، (1411هـ/1990م)، ج1، ص396.

ووافقهما الزَجَّاجُ في هذا حيث قال: (أرضا) منصوب على إسقاط (في) وإفضاء الفعل إليها لأن أرضا ليست من الظروف المبهمة.[1] أي: ألقوه في أرض بعيدة عن الأرض التي هو فيها.

2-قال تعالى: ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ**﴾ **يوسف:25**، قال إلى الباب فالمحذوف هنا حرف الجر (إلى) والمعنى سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب[2] يوسف عليه السلام وامرأة العزيز، فهو ليخرج وهي لتمنعه من الخروج، يتضح هذا المعنى عند تقدير المحذوف (إلى) فيظهر الترابط على مستوى هذه الآية.

3- قال تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾ **يوسف:29**.

قال إنه منادى محذوف منه حرف النداء (يا)، وذلك لقربه وكمال تفطنه للحديث وفي ندائه باسمه تقريب له عليه السلام وتلطيف.[3]

4- **قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ يوسف: 39**

قال ابن عطية: وصفه لهما يا صاحبي السجن هو: إما على أن نسبهما بصحبتهما للسجن من حيث سكناه، كما قال تعالى: ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾ **الأعراف: 44**، و﴿**أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾ **البقرة:119**، ونحو هذا

وإما أن يريد صحبتهما له في السجن، فأضافهما إلى السجن بذلك، كأنه قال: يا صاحبيَّ في السِّجن، ومنه فهي إضافة للظرف، (في) محذوفة.[4]

5-قال تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ**﴾ **يوسف:46**، قال ابن عطية: فيها حذف حرف النداء (يا).[5]

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، (1408هـ/1988م)، ج3، ص 93.

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص235.

[3] ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج6، ج11، ص224.

[4] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص245.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص 249.

6- قال تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ**﴾ **يوسف:85**، قال ابن عطية المعنى تالله لا تفتأ تذكر يوسف فتحذف لا في هذا الموضع من القسم لدلالة الكلام عليها.[1] ولهذا الحذف أبلغ من الذكر، فقال الأخفش: فزعموا أن (تفتأ): تزال، فلذلك وقعت عليه اليمين، كأنهم قالوا: والله ما تزال تذكر يوسف.[2] وهناك من لم يُجِز ذكرها مع القسم تالله، فقال بجواز إضمارها

قال الزجاج: (لا) مضمرة والمعنى: والله لا تفتأ تذكر يوسف أي لا تزال تذكر يوسف[3]، ...إلى أن قال وإنما جاز إضمار (لا) في قوله تعالى: ﴿**تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ**﴾ لأنه لا يجوز في القسم تالله تفعل حتى تقول لتفعلن، أو لا تفعل، ومنه عند ملء المتلقي للفراغ وذلك بتقدير المحذوف يتضح المعنى، فيكون الاتساق على مستوى الآية جليّاً.

7- قال تعالى: ﴿**فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ **يوسف:101**، فاطر منادى حذف منه حرف النداء(يا)[4] بمعنى: يا فاطر السماوات والأرض، يا خالقها ومبدعها، وعند التقدير يتضح المعنى لدى المتلقي مفهوماً متسقاً مترابطا.

8- قال تعالى: ﴿**أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾ **يوسف:70**، قال الزجاج المعنى: يا أيها الأصحاب للعير ولكن قال: أيتها العير وهو يريد أهل العير، كما قال تعالى: واسأل القرية" يريد أهل القرية وأَنَّثَ "أَيًّا" لأنه جعلها للعير فهو مجاز مرسل علاقته المجاورة، فالمراد أصحاب العير وحذف حرف النداء من "أَيَّتُهَا".[5]

لقد ساهمت هذه المحذوفات في تحقيق اتساق النص القرآني من خلال ملء الفراغات (مواضع الحذف) وتقديرها، ومن ثم يتضح المعنى العام للآيات القرآنية وما يترتب عليها من مقتضيات إيمانية.

ب- مواطن حذف الاسم:

---

[1] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص 272.

[2] الأخفش الأوسط، معاني القرآن، ج1، ص 399.

[3] الزجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص126.

[4] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ج13، ص43.

[5] الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص120.

1- قال تعالى: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ **يوسف:18**، قال ابن عطية: رفع إما على حذف المبتدأ وإما على حذف الخبر: إما على تقدير: فشأني صبر جميل، وإما على تقدير: فصبر جميل أمثل[1]، فالمحذوف هو فشأني ودليله هو صبرٌ وهو دليل سابق أي مرجعيته سابقة وقد حقق الاتساق على مستوى هذه الآية، وإذا ما قدرنا المحذوف خبر وهو (أمثل) فمرجعيته لاحقة مما يسهم في الاتساق على مستوى الآية كذلك وذلك من خلال ملء الفراغات (مواضع الحذف) وتقديرها ومن ثم وضوح المعنى وما يترتب عليه من معتقدات إيمانية.

2- قال تعالى: ﴿**إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**﴾ **يوسف**:40، قال ابن عطية: ذهب بعض المتكلمين إلى أنه أوقع في هذه الآية الأسماء على المسميات وعبر عنها بها إذ هي ذوات أسماء ثم قال القاضي أبو محمد: والاسم قد يجري في اللغة مجرى النفس والذات والعين، فإن حملت الآية على ذلك صح المعنى، وليس الاسم _على هذا_ بمنزلة التسمية التي هي رجل وحجر، وإن أريد بهذه الأسماء التي في الآية أسماء الأصنام التي هي بمنزلة اللات والعزى من تسميتها آلهة، فيتحمل أن يريد: إلا ذوات أسماء، وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه[2] وقيل في قوله تعالى (إلاَّ أسماءً سمَّيتُموهاَ أنتم وآباؤكم) فحذف المفعول الثاني للذلالة؛ والمعنى: سميتموها آلهةً من عند أنفسكم، فالمحذوف (آلهة) والدليل عليه (سميتم) دليل مرجعيته لاحق تحقق الاتساق على مستوى هذه الآية[3].

3- قال تعالى: ﴿**وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ التي كُنَّا فِيهَا والْعيرَ التي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِناَّ لَصَادِقُونَ**﴾ **يوسف:82**، قال ابن عطية: وحكى أبو المعالي في التلخيص عن بعض المتكلمين أنه قال: هذا من الحذف وليس من المجاز، قال: وإنما المجاز لفظة تستعار لغير ما هي له[4]، المعنى وسأل أهل القرية، وأهل العير، يعني حذف المضاف (أهلَ: مفعول به) وإقامة المضاف إليه مقامه، فالمحذوف (أهل) والدليل (القرية،

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص227.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص246.

[3] - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج9، ص2646.

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص271.

العير) مرجعيته داخلية سابقة والمتلقي يملأ الفراغ (المحذوف) الموجود في نص الآية كي يتجلى المعنى ومن ثم يتحقق الاتساق في الآية.

4-قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ **يوسف:111**، ذكر ابن عطية قراءة ثانية لكلمة تصديق، حيث قرأها عيسى الثقفي بالرفع (تصديقُ) أي برفع القاف، وكذلك كل ما عطف عليه وهذا على حذف المبتدأ، التقدير: هو تصديق، وقال أبو حاتم: النصب على تقدير: ولكن كان، والرفع على تقدير: ولكن هو [1]، بمعنى: لكن هو تصديقُ الذي بين يديه وتفصيلُ كل شيء وهدى ورحمةٌ فحذف المبتدأ وبقي الخبر، فتحقق الاتساق على مستوى هذه الآية من خلال تقدير المحذوف (هو) ليتضح المعنى أكثر.

5- قال تعالى: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ**﴾ **يوسف:35**، قال ابن عطية: وبدا معناه: ظهر، والفاعل ب (بدا) محذوف تقديره: بدوٌ- أو- رأيٌ بضمنين ثم قال ولا يجوز أن يكون الفاعل ب (بدا) ل(يسجننه) لأن الفاعل لا يكون جملة بوجه، هذا صريح مذهب سيبويه وقيل: الفاعل (ليسجننه) وهذا خطأ، وإنما هو مفسر للفاعل[2]، المحذوف (بدوٌ أو رأيٌ) والدليل عليه هو (بدا) ومرجعية دليله لاحق، ويظهر الاتساق جلياً من خلال تقدير المحذوف.

6- قال تعالى: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ **يوسف:12**، قال القرطبي: قرأ مجاهد وقتادة: "يَرْتَعْ" على معنى يُرْتِعُ مَطِيَّتَهُ، فَحَذَفَ المفعول[3]، فالمحذوف (مطيته) والدليل عليه (لحافظون) مرجعيته لاحق تحقق الاتساق على مستوى هذه الآية، والمعنى يبدو جليا عند ملء الفراغ (وذلك بتقدير المحذوف مطيته).

---

[1] المصدر السابق، ج3، ص289.

[2] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص242.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج9، ص2610.

7- قال تعالى: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ **يوسف:92**، ذكر الألوسي: (لا تثريب) أي لا تأنيب ولا لوم، وهو اسم (لا) و(عليكم) متعلق بمقدر وقع خبراً، وقوله تعالى:(اليوم) متعلق بذلك الخبر المقدر أو بالظرف أي لا تثريب مستقرٌ عليكم اليوم[1]، فالمحذوف (مستقرٌ) والدليل عليه (عليكم اليوم) فمرجعيته داخلية سابقة، فالحذف هنا حقق الاتساق بين المذكور والمحذوف، وكذلك بين المذكور السابق للحذف والمذكور اللاحق له.

8- قال تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّيَ أَرَانِيَ أَعْصِرُ خَمْراً....** ﴾ **يوسف:36**، قال الزَّجَّاج: قوله أعصر خمراً، أي أعصرُ عِنَبَ الخمْرِ أي العِنَبَ الذي يكون عصيرُهُ خَمْراً[2] فحذف المضاف والدليل على المحذوف هو (أعصر) فمرجعيته داخلية سابقة، تحقق الاتساق في هذه الآية وذلك بالربط بين السابق للمحذوف واللاحق له هذا من جهة ومن جهة أخرى تحقق الاتساق كذلك بين هذه الآية والآية(41)، يقول الطاهر بن عاشور: فإنه بعد التأمل يعلم أن الذي يسقي ربه خمراً هو رائي عصر الخمر إشارة إلى الآية (36)، فتشكل هذه الآيات كلاً متماسكاً ونصاً مترابطا.[3]

ج- مواطن حذف الفعل في سورة يوسف:

1- قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ**﴾ **يوسف:4**، قال ابن عطية: العامل في (إذ) فعل مضمر تقديره: اذكر، ويصح أن يعمل فيه (نقص)[4]، إذ في موضع نصب على الظرف، أي اذكر لهم حين قال يوسف، فالمحذوف (اذكر) ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى أكثر من جملة مما ساعد على تماسك النص.

---

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج7ن ج13، ص50.

[2] - ينظر: الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص109،

[3] - ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص277.

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص219.

2- قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ**﴾ **يوسف:15**، قال الطاهر بن عاشور: وجواب (لما) محذوف دلَّ عليه "أن يجعلوه في غيابات الجب"، والتقدير: جعلوه في الجبِّ ومثله كثير في القرآن، وهو من الإيجاز الخاص بالقرآن فهو تقليل في اللفظ لظهور المعنى، [1]، ويتجلى الاتساق عند تقدير المحذوف

3- قال تعالى: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ **يوسف:18**، وذكر أن الأشهب وعيسى بن عمر قرأ بالنصب: "فصبراً جميلاً" على إضمار فعل، وكذلك هي في مصحف أبيّ، ومصحف أنس بن مالك وهي قراءة ضعيفة عند سيبويه، ولا يصلح النصب في مثل هذا إلا مع الأمر، ولذا يحسن النصب في قول الشاعر:

شَكَا إِلَيَّ جَمَلي طُولَ السَّرَى صَبْراً جَميلاً فَكِلاَنا مُبْتَلى

وإنما تصح قراءة النصب على أن تقدر يعقوب عليه السلام رجع إلى مخاطبة نفسه أثناء مخاطبة بنيه[2]، فَحَذْفُ الفعل (**اصبر** صبراً جميلاً) عمل على الاتساق الداخلي لأجزاء الجملة والنص.

4- قال تعالى: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾ ا**يوسف:103-105**، قرأ السدي و(**الأرضَ**) بالنصب بإضمار فعل، والوقف على هذا . في ﴿**السماوات**﴾ [3]، والفعل المحذوف يفسره(يمرون) وهو من الاشتغال المفسر بما يوافقه في المعنى، وعليه فالتقدير (يسلكون الأرض) فالمحذوف يسلكون والدليل يفسره يمرون مرجعيته داخلية لاحقة ساهم في التماسك النصي للآية.

5- قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ **يوسف:108**، قال ابن عطية: وسبحان الله تنزيه لله والتقدير، وقل: سبحان الله، وقل متبرئاً من الشرك، إذن نفهم أن في هذه الآية حذفا هو (قل)[4] مرجعية الحذف داخلية سابقة

[1] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص233.

[2] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص227-228.

[3] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج7، ج13، ص66.

[4] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص216.

والدليل (قل هذه سبيلي) تحقق الاتساق في الآية من بدايتها إلى آخرها عند تقدير المحذوف وملء فراغه.

6- قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ **يوسف:111**، قال ابن عطية نصب تصديق إما على إضمار معنى كان، وإما على أن تكون ﴿لكن﴾ بمعنى لكنَّ المشدَّدة والذي يعيننا أن تكون على إضمار معنى وبذا يكون المحذوف فعل (كان)[1] والدليل هو (ما كان حديثاً)، مرجعيته داخلية سابقة، وعند تقدير الحذف يتجلى المعنى ويظهر الاتساق في هذه الآية بل حتى على مدى السورة من بدايتها إلى نهايتها.

7- قال تعالى: ﴿**وقَالَ الْمَلِكُ إِنِّيَ أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَيَ إِن كُنتُم لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ**﴾ **يوسف:43**، في هذه الآية محذوف: (إِنِّيَ أَرى): سبعَ سنبلتٍ دليله (إنيَ أرَى) في مطلع الآية، فمرجعيته داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين. والمحذوف الثاني هو (قال الملك): يأيها الملأُ، دليله (قال الملك) في بداية الآية، ومرجعيته كذلك داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين، فتحقق التماسك على مستوى الآية من خلال تقدير المحذوف وملء الفراغ ويتجلى المعنى بوضوح.

د- مواطن حذف أكثر من جملة في سورة يوسف:

1- قال تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ**﴾ **يوسف**:19، ﴿**قَالَ يَا بُشْرَى** ﴾ في الكلام حذف تقديره: فتعلَّق يوسف بحبل الدلو فلما بصُرَ به المدلي قال: يا بشراي، فالحذف هنا أكثر من جملة (يابشراي) على معنى السرور والفرح بيوسف[2]،

[1] المصدر نفسه، ج3، ص289.

[2] محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، (1413هـ/1993م)، ج5، ص290.

فالجمل المحذوفة من سياق الآية هي متممة لمعنى الآية، وهذا الحذف بدوره يؤدي إلى الاختصار وهو من الاقتصاد اللغوي الذي يؤدي إلى وضوح المعنى، مما يسهم في اتساق نص الآية.

قال تعالى: ﴿ **فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا**﴾ **يوسف:45–46**، (**فَأَرْسِلُونِ**)، المحذوف: فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال يا يوسف، هذه جمل حذفت اختصاراً لدلالة مابعدها عليها، وقوله نعالى (لعلهم يعلمون) المحذوف: لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك حذف اختصاراً ودليل المحذوف عُلِمَ من سياق الآية، وغيبرها من الآيات التي حذفت فيها أكثر من جملة فهي كثيرة مثل الآيات رقم: (15)، (47)، (50)، (54)...إلخ فكل الجمل المحذوفة من سياق الآيات هي جمل متممة لمعاني الآيات، لأن الإطناب يؤدي إلى الخلل في الأسلوب وهذا محال عن كلام المولى، الذي يهدف إلى الإيجاز غير المخل بالمعنى، بل لإظهاره، فسورة يوسف قصة متكاملة فيها وحدة الموضوع ومحورية الشخصية (يوسف عليه السلام) مما ساعد على ربط أحداثها من بدايتها إلى نهايتها، إلا أنه يتباين تقدير حذف السياق حسب اختلاف المفسرين، مما يجعل الدراسة نسبية حسب إدراك متلقي النص، ومع ذلك فقد ساهم الحذف في تماسك النص القرآني على مستوى الآية، والآيتين، بل على مستوى السورة بأكملها، وذلك من خلال ربط مطلع السورة بالختام فالحذف جزء لا يتجزأ من عملية فهم النص وتفسيره وتأويله.

المبحث الرابع: تراكيب الوصل (العطف) " سورة طه"

تتكون سورة طه –كما سبق– من قصص، كل قصة تتحدث عن قضية معينة، وتجتمع كلها في قضية أساسية، هي التوحيد والعقيدة، كونها من السور المكية.

التحليل النصي ل سورة طه) من خلال حروف العطف:

ولقد برزت أدوات العطف بكثرة في هذه السورة وداخل كل قصة على حدي مما يثبت لنا دورها الفعال في الربط بين أجزاء السورة، لكن قبل أن نشرح ذلك سنحصيها من خلال الجدول الآتي:

أداة العطف	عدد المرات	رقم الآية
الواو	145	من الآية (04) إلى الآية (135)
الفاء	88	من الآية (07) إلى الآية (135)
لا	48	من الآية (08) إلى الآية (132)
ثم	07	(40) (50) (82) (97) (60) (64) (122)
أو	06	(10) (44) (45) (113) (133)
إما	03	(65) (123)
حتى	01	(91)
بل	01	(66)
لكن	01	(87)
أم	01	(86)

من خلال الجدول الإحصائي يتبين حضور ضئيل للحروف التالية: أم، لكن، بل، حتى، إما، والانتشار الواسع للحروف التالية: من مطلع السورة إلى نهايتها على الترتيب: الواو، الفاء، لا، ثم، أو.

وبهذا ساهمت كلها في تماسك آيات هذه السورة وأجزائها، فحرف العطف (الواو) طغى على وحدات السورة، ووجد بكثرة ففي المقدمة وجد في ستة مواضع، إلا أنه في خمسة منها لم يتجاوز حدود الجملة الواحدة حيث عطف كلمة على أخرى مثل قوله تعالى: ﴿**تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى**﴾ **طه:4**

السماوات اسم معطوف على الأرض[1]، أما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ **طه:7**، عطف على جملة في قوله تعالى: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ **طه:6**، لدلالة هذه الجملة على سعة علمه تعالى كما دلت الجملة المعطوف عليها على عظيم سلطانه وقدرته، فتحقق بذبك الاتساق على مستوى هذه والجمل والآيات.

أما حرف العطف (الفاء) فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ **طه:7**، فقد عطف جملة جواب الشرط (إنه يعلم السر وأخفى) على جملة الشرط (وإن تجهر بالقول) بحرف الفاء الرابطة لأن الجواب جملة اسمية، فالله سبحانه يخاطب رسوله ﷺ: فإن تجهر بذكر الله تعالى ودعائه، فاعلم أنه غني عن ذلك، فإنه يعلم السر وما هو أخفى من السر[2]، فحقق حرف العطف (الفاء) التماسك بين جمل هذه الآية فتحقق الاتساق على مستوى الآية.

وقد استهلت قصة سيدنا موسى عليه السلام بقوله: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾ **طه:9**، أعقب تثبيت الرسول على التبليغ والتنويه بشأن القرآن بالنسبة إلى من أنزله ومن أنزل عليه بذكر قصة موسى_ عليه السلام_ ليتأسى به في الصبر على تحمل أعباء الرسالة، وتسلية له بأن الذين كذبوه سيكون جزاؤهم جزاء من سلفهم من المكذبين، ولذلك جاء في عقب قصة موسى، **قوله تعالى** "وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه "وجاء بعد ذكر قصة

[1] محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د ط) (د ت)، ج6، ص2847

[2] محمد سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 'د ط)، (1428هـ/، 2007م)، ص406.

آدم وأنه لم يكن له عزم "فاصبر على ما يقولون" فجملة ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾ عطف على جملة "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى" والغرض هو مناسبة العطف[1]، والواو استئنافية رابطة حيث ربطت وحدتين، فقد توسطت المقدمة وقصة سيدنا موسى "عليه السلام "، واستمر وجودها إلى آخر القصة في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**﴾ **طه:97**

فقد ربط (واو) العطف بين جمل هذه الآية مما أدى إلى تماسكها واتساقها لتؤدي دلالتها، فقد عوقب السامري في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش، وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا، وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا، ولن يخلف الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض، ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا، فأنت ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران البين[2].فقد شغل الواو حوالي سبعاً وثمانين موضعاً في قصة سيدنا موسى "عليه السلام " منها قوله تعالى: (**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**) **طه:13.**

﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾ **طه:41.**

﴿**فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**﴾ **طه:71.**

﴿**أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**﴾ **طه:89.**

ففي الآيتين (13)، و(41) عطف الواو الآية التي بعده على الآية التي قبله فربط بذلك الآية (13) بسابقاتها في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ **طه:12**، فقد

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص193

[2] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، مج4، ج16، ص719.

أمر الله جل جلاله موسى "عليه السلام" بخلع نعليه تعظيماً منه لذلك المكان الذي سيسمع فيه الكلام الإلهي وفيه زيادة خشوع، وذلك أبلغ في التواضع وأقرب إلى التشريف والتكريم وحسن التأدب[1].

كما ربط الآية (41) ب الآية التي تسبقها في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى**﴾ **طه:40.**

وفي هذين الموضعين حقق الواو الاتساق على مستوى الآيات وذلك بإضافة معنىً جديد.

أما في الآيتين (71) و(89) فقد حقق الواو الاتساق على مستوى كل آية ففي الآية (71) ربط الواو بين جملتي جواب القسم حيث عطفت (ولأصلبنكم) على (فلأقطعن)، وذلك ما حدث في الآية (89) فقد عطف الواو الجملة الفعلية (يملك) على الجملة الفعلية (يرجع)، فتماسكت جمل الآيتين السابقتين وذلك ما أدى إلى ترابطها.

أما حرف العطف (الفاء) فقد وجد في حوالي سبع وعشرين موضع منها قوله تعالى: ﴿**إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾ **طه:10.**

﴿**فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**﴾ **طه:20.**

﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ **طه:44.**

﴿**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ**﴾ **طه:39.**

فقد ساهم حرف (الفاء) في هذه الآيات في تحقيق الاتساق على مستوى الآية الواحدة بالإضافة إلى الاتساق على مستوى الآيات السابقة، ليضيف عناصر دلالية جديدة إلى النص القرآني، ففي الآية (20) ربط حرف (الفاء) الأول بين هذه الجملة التي بعده "إذا هي حية تسعى" والجملة التي قبله "فألقاها" بعد عطفه عليها في نفس الآية، أما في الآية (39) فقد عطف حرف (الفاء) بين كل جملتين توسطهما فتماسكت جمل هذه الآية وترابطت لتؤدي دلالتها فقد روي أنَّ أمَّ موسى ألقته في اليم، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير، فبينا هو جالس على رأس بركة

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص197.

مع آسية، إذا بالتابوت، فأمر به، فأخرج ففتح، فإذا صبي أصبح الناس وجها، فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه.[1]

أما حرف العطف (لا) فقد وجد في ثلاثين موضع منها:

﴿أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ طه:14.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طه:46.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ طه:61.

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ طه:94.

ففي جميع الآيات حقق حرف العطف (لا) الاتساق على مستوى كل آية حيث ربط بين الجمل في الآية إلا في الآية (46) ربط بين جملة مقولة القول التي بعده مع الآية السابقة في قوله تعالى: **﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ طه:45**، مما حقق التماسك بين الآيتين.

أما حرف العطف (ثم) فقد وجد في الآيات التالية:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه:50.

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ طه:40.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ طه:60.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ طه:64.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ طه:82.

﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ طه:97.

وحرف العطف (أو) في الآيات الثلاثة الآتية:

﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ طه:10.

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج6، ج11، ص3263.

﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ طه:44

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ طه:45.

فقد عمل كل حرف من الحرفين السابقين على عطف الجملة التي لحقته على الجملة التي سبقته مما أدى إلى ترابط الجمل الذي أدى بدوره إلى تحقيق الاتساق على مستوى كل آية فتماسكت الوحدة ككل –قصة سيدنا موسى "عليه السلام" – أما حروف العطف: (حتى، أم، بل، إما)، فقد ذكر كل حرف مرة واحدة في السورة، إلا الحرف الأخير ذكر ثلاثاً وهذا ما سنوضحه في الآيات الآتية:

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ طه:91.

والمعنى فأجابوه بنواْ إسرائيل بأنهم لا يزالون عاكفين على عبادته حتى يرجع موسى فيصرح لهم بأن ذلك العجل ليس هو ربهم[1]، فحرف (حتى) ــوهي حرف غاية وجرــ أي إلى غاية رجوع موسى، فربطت ما قبلها بما بعدها ربطا زمنيا أدى إلى ترابط أجزاء هذه الآية.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ طه:86

فحرف العطف (أم) هنا بمعنى بل، وهي للإضراب عن الكلام الأول (أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ) وعدول إلى الثاني، كأنه يقول بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي[2].

وبذلك ربط حرف العطف (أم) بين الجملتين اللتين توسطهما فتحقق الاتساق على مستوى الآية (86)، أما قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ طه:66.

فحرف العطف (بل) هنا يعطف هذه الآية على الآية التي تسبقها في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ طه:65.

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص290.

[2] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص181.

فدل الحرف بل على الإضراب الانتقالي من معنى إلى معنى آخر[1]، وبذلك تحقق الاتساق على مستوى الآيتين.

أما حرف العطف (إما) فوجوده في الآية (66) كان لغرض التخيير، فلقد خير السحرة سيدنا موسى "عليه السلام" على من سيكون الأول في الإلقاء[2].

وبذلك عطف هذا الحرف كل جملة على الجملة التي قبلها مما أدى إلى الاتساق داخل هذه الآية.

فقد ساهمت حروف العطف في قصة سيدنا موسى "عليه السلام" في الربط الشكلي والدلالي بين الآيات وداخلها فتماسكت هذه الوحدة فيما بينها واتسقت مع بقية الوحدات الأخرى.

أما التعقيب الذي يلي قصة موسى "عليه السلام" فلم يذكر فيه عدى أربعة حروف عاطفة فوجد الواو في خمسة عشرة موضع منها قوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا**﴾ **طه:65**.

﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**﴾ **طه:102**.

﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا**﴾ **طه:105**.

﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**﴾ **طه:111**.

ففي الآيتين (99) و(102) عطف حرف الواو كل جملة على سابقتها فكان الاتساق على مستوى الآية أما في الآيتين (105) و(111) فكان الاتساق بين الآيات على مستوى الوحدة، أما حرف العطف الفاء فقد وجد في خمسة مواضع منها قوله تعالى: ﴿**مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا**﴾ **طه:100**.

﴿**وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا**﴾ **طه:108**.

فقد ربطت الفاء بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط في الآية (100).

---

[1] محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، ج6، ص2880

[2] ينظر: المرجع نفسه، ج6، ص2880

أما في الآية (108) فعطفت الجملة التي تلحقها على الجملة التي تسبقها وفي كلا الآيتين الاتساق الحاصل على مستوى الآية.

أما حرف العطف لا فكان في الآيات الآتية:

﴿**لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا**﴾ **طه:107**.

﴿**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾ **طه:109**.

﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ **طه:114**.

فحرف العطف (لا) في الآية (107) ربطها بسابقتها في قوله تعالى"﴿**فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا**﴾ **طه:106**، فعندما ينسف الله سبحانه وتعالى الجبال لا ترى الأرض يومئذ لا واديا ولا رابية ولا مكانا منخفضا ولا مرتفعا، فتحقق الاتساق بين هذه الآيات شكلا ودلالياً أما في الآيتين (109) و(114) فالربط كان بين الجمل وبالتالي الاتساق على مستوى الآية.

أما حرف العطف (أو) لم يذكر إلا في نهاية التعقيب في قوله تعالى: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾ **طه:113**، فعطف الجملة "يحدث لهم ذكرا" على الجملة "لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" فحدث الترابط فيما بينهما فتماسكت الآية الكريمة.

وفي قصة سيدنا آدم "عليه السلام" كان حضور حروف العطف قويا كذلك فوجد الواو في أربعة عشر موضع منها قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾ **طه:115**.

﴿**قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾ **طه:126**.

﴿**وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾ **طه:127**.

ففي الآية (115) كان الاتساق بين القصتين، وذلك لما كانت قصة موسى عليه السلام مع فرعون ومع قومه ذات عبرة للمكذبين والمعاندين، الذين كذبوا النبي عليه الصلاة والسلام وذلك المقصود من قصصها المشار إليه في قوله تعالى: "كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق...يوم القيامة وزراً"، فكأن النبي عليه الصلاة والسلام استحب الزيادة من القصص ذات العبرة رجاء قومه يفيقون من ضلالاتهم كما في قوله تعالى: "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه"، أعقبت

تلك القصة بقصة آدم –عليه السلام– وما عرض له به الشيطان تحقيقاً لفائدة قوله "وقل رب زدني علماً" فالجملة عطف قصة على قصة[1]..ومنه يكون قد تحقق الاتساق على مستوى القصتين، قصة موسى وقصة آدم عليهما السلام كما أسلفنا. أما في الآية 127 تحقق التماسك الدلالي بينها وبين الآية التي قبلها لأن حرف العطف (و) عطف الآية 127 على الآية 126.

أما حرف العطف (الفاء) فوجد في اثنتي عشر موضعاً منها قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ طه:116.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا﴾ طه:121.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ طه:124.

ففي الآية (116) و(124) عطف الفاء كل جملة بعدها على كل جملة قبلها فتشكل الترابط بينهما، أما في الآية (121) فكان الربط بين الآيات، حيث عطفت الآية (121) على الآية التي تسبقها في قوله تعالى: **﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ طه:120.**

قوله تعالى: "فوسوس إليه الشيطان"، و(الفاء) لتعقيب مضمون جملتها على مضمون التي قبلها، وهو تعقيب نسبي بما يناسب مدة تقلب في خلالها بخيرات الجنة حتى حسده الشيطان واشتدَّ حسده، وقوله تعالى: "وعصى آدم ربه" عطف على "فأكلا منها" أي أكلا معاً، وتعمد آدم مخالفة نهي الله تعالى إياه عن الأكل من تلك الشجرة، وإثبات العصيان لآدم دون زوجه، يدل على أن آدم كان قدوة لزوجه، فلما أكل من الشجرة تبعته زوجه[2]، وبذلك حققت الفاء الاتساق في هذا المقطع، وذلك من خلال تعاقب سرد أحداث القصة وتسلسلها مع ترابط الحدث السابق باللاحق شكلاً ودلالةً لتأدية المعنى المطلوب.

أما حرف العطف (لا) فقد وجد في قوله تعالى:

---

[1]- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص318

[2] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص325-327.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ طه:118.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ طه:119.

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه:123.

ففي هذه الآيات عمل حرف العطف (لا) على الربط بين جملها وبذلك تحقق الاتساق داخل كل آية، بل بين هذه الآيات كلها، وهذا من خصائص أسلوب القصص القرآني.

أما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ طه:122.

فقد عمل حرف العطف (ثم) على الربط بين هذه الآية وسابقاتها في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه:121، وجملة "ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" معترضة بين جملة "وعصى آدم" وجملة "قال اهبطا منها جميعا"، لأن الاجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم وزوجه بالخروج من الجنة كما في سورة البقرة، وهو المناسب لترتب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة، وفائدة هذا الاعتراض التعجيل ببيان مآل آدم إلى صلاح.[1]

أما في قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه:123.

فقد ربط حرف العطف (إما) بين هذه الآية و الآية التي بعدها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه:124، لأنها شرطية وكلا الآيتين احتوت جملة جواب الشرط، فيكون بذلك تحقق الاتساق بين هذه الجمل والآيات المتوالية.

هكذا كان انتشار حروف العطف في قصة سيدنا آدم "عليه السلام" في كل جملة وفي كل آية، محدثة بذلك تماسكا بين مقاطعها وربطا بين أجزاءها.

أما المقطع الأخير وهو الخاتمة فوجدت فيها ثلاثة حروف عطف:

[1] المصدر السابق، ج16، ص327.

(الواو) في واحد وعشرين موضعاً منها قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى**﴾ **طه:129.**

﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ **طه:131.**

فقد ربط الواو بين كل آية من الآيتين التي قبلها، كما عملت على عطف الجمل بعضها على بعض في كل موضع وجدت به مما حقق التماسك داخل هذه الآيات وبينها.

أما (الفاء) فذكر في خمسة مواضع منها قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**﴾ **طه:130.**

﴿**قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى**﴾ **طه:134**

ففي الآية (130) ربط حرف (الفاء) بين الجملة الاستئنافية التي تليه وبين افتتاحية السورة ربطا دلاليا لأن الله سبحانه قال لنبيه ﷺ هذا القول ليصبر من تكذيب الكفار له[1]

أما في الآية (134) فربطت (الفاء) بين الجملتين التي توسطتهما حيث عطفت جملة (تربصوا)، على التي قبلها (كل متربص)، فحققت بذلك التماسك داخل هذه الآية.

أما حرف العطف (لا) فقد ذكر في الآيتين التاليتين:

﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ **طه:131.**

﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا**﴾ **طه:132.**

ففي الآية (131) ربط الحرف (لا) بين هذه الآية و الآية التي تسبقها في قوله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ **طه:130.**

فقد أمره سبحانه أن يصلي كما نهاه ألاَّ ينظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم ونظراؤهم فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك[2].

[1] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص190.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص نفسها.

وقد جاءت خاتمة هذه السورة كأبلغ خواتم الكلام لإيذانها بانتهاء المحاجَّة وانطواء بساط المقارعة، ومن محاسنها: أن فيها شبيه رد العجز على الصدر لأنها تنظر إلى فاتحة السورة، وهي قوله تعالى: ﴿**مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَنْ يَّخْشَى**﴾ **طه:2-3**، لأن الخاتمة تدل على أنه قد بلَّغ كل ما بعث به من الإرشاد والاستدلال، فإذا لم يهتدوا به فكفاهُ انثلاجَ صدرٍ أنه أدَّى الرِّسالة والتَّذكرة فلم يكونواْ من أهل الخشية فتركهم وضلالهم حتى يتبين لهم أنه الحق[1]، ومنه نجد أدوات الوصل لها حضور قوي في فضاء النص القصصي للقرآن، خاصة الوصل الإضافي بنسبة كبيرة بعد أن اتخذ أشكالاً متنوعة، فقد تجلى في الربط بين كلمتين أو بين جملتين في الآية الواحدة، أو بين آيتين أو بين أجزاء القصة، أو بين قصتين، أكثر من ذلك بين مطلع السورة ونهايتها، ليتحقق التماسك الدلالي والترابط الشكلي في السورة كلها.

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص349.

المبحث الخامس: الاتساق المعجمي (التكرار) في سورة الشعراء:

نتناول في هذا المبحث وسائل الاتساق المعجمي (التكرار) في سورة الشعراء والتي هي ضمن السُّور المكية، وموضوعها الأساسي هو العقيدة والذي يتلخص أساسا في توحيد الله والبعث، والرسالة، شأنها شأن السُّور المكية التي تهتم بجانب العقيدة وأصول الإيمان.

كما أنها تتميَّز في بنائها بالطابع القصصي الذي يُشْغِلُ جُلَّ السورة.

أ- علاقات التكرار في سورة الشعراء:

وتتكون هذه السورة من تسع مقاطع متماسكة فيما بينها مشكلة بذلك الإطار الكلي للسورة، ومحدّدة دلالتها من خلال علاقات وآليات عدّة أبرزها التّكرار بتشكيلاته المختلفة والمتنوعة، ضمن المقاطع الآتية:

- المقطع (1) قصة موسى -عليه السلام- وتبدأ من الآية من 10 إلى الآية 68.
- المقطع (2) قصة إبراهيم -عليه السلام- وتبدأ من الآية 69 إلى 104.
- المقطع (3) قصة نوح -عليه السلام- وتبدأ من الآية 105 إلى الآية 122.
- المقطع (4) قصة هود -عليه السلام- وتبدأ من الآية 123 إلى 140.
- المقطع (5) قصة صالح -عليه السلام- وتبدأ من الآية 141-159.
- المقطع (6) قصة لوط -عليه السلام- وتبدأ من الآية 160 إلى 175.
- المقطع (7) قصة شعيب -عليه السلام- وتبدأ من الآية 176 إلى 191.

ولا شك أن كل مقطع من هذه المقاطع يشكل ترابطاً دلالياً فيما بينها، كون هذه المقاطع تتحدث عن موضوع واحد هو موضوع العقيدة، ولا شك أن هذا الترابط الدّلالي يدعمه ترابطاً آخر شكلياً من خلال أدوات لها وظيفة أساسية في الإسهام في تحقيق هذا الترابط، والتي من بينها التّكرار الذي هو موضوع دراستنا في هذه المبحث،

جدول الإحصاء لسورة الشعراء من خلال التكرار

1- إعادة عنصر معجمي:

أ- إعادة عنصر معجمي عبر التكرار(الكلمات): المباشر (التام) والجزئي (الاشتقاقي).

الرقم	الجذر المكرر	الآيات من سورة الشعراء	عدد التكرارات	نوع التكرار
01	لفظ الجلالة (ربّ)	قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبُّكُم وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ ٱلأَوَّلِينَ**﴾ الآية 5/50/48/47/28/26/26/24/23/21/16/12/10/9/26 /127/122/117/113/109/104/98/83/77/68/62/1 1/191/188/180/157/169/166/164/159/145/140 .92	36	جزئي
02	لفظ الجلالة (الله)	قال تعالى: ﴿**فَلَا تَدعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلمُعَذَّبِينَ**﴾ الآية /163/150/144/131/126/110/108/97/93/89/213 .227/179	13	مباشر
03	اسم الإشارة (هو) المحيل إلى لفظ الجلالة	قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهدِينِ**﴾ الآية 78 قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِي هُوَ يُطعِمُنِي وَيَسقِينِ**﴾ الآية 79 قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ**﴾ الآية 80-81	3	مباشر
04	لفظ (آية)	قال تعالى: ﴿**إِن نَّشَأ نُنَزِّل عَلَيهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ءَايَة فَظَلَّت أَعنَٰقُهُم لَهَا خَٰضِعِينَ**﴾ الآية 19/190/174/158/154/139/128/121/103/67/8/4 .15/2/7	14	جزئي

05	الجذر اللغوي (ق ول)	قال تعالى: ﴿قَالَ لِمَن حَولَهُۥٓ أَلَا تَستَمِعُونَ﴾ الآية /31/30/29/28/27/26/24/23/20/18/16/15/12/25 /71/70/62/61/50/49/47/44/43/42/41/39/36/34 13/124/117/116/112/111/106/96/92/75/74/72 203/188/185/177/168/167/161/155/153/142/6 .226/216/	52	جزئي
06	لفظة (فرعون)	قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرعَونُ وَمَارَبُّ ٱلعَٰلَمِينَ﴾ .53/44/41/16/11/23	6	مباشر
07	الجذر اللغوي (ك ذ ب)	قال تعالى: ﴿فَقَد كَذَّبُواْ فَسَيَأتِيهِم أَن بُؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَستَهزِءُونَ﴾ الآية /189/186/176/160/141/139/123/117/105/12/6 .223	12	جزئي
08	الجذر اللغوي (أت ى)	قال تعالى: ﴿وَمَا يَأتِيهِم مِّن ذِكر مِّنَ ٱلرَّحمَٰنِ مُحدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنهُ مُعرِضِينَ﴾ الآية .89/202/165/154/37/31/16/10/6/5	10	جزئي
09	لفظة (موسى)	قال تعالى: ﴿وَإِذ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ٱئتِ ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الآية .65/63/61/52/48/45/43/10	8	مباشر
10	الجذر اللغوي (آ م ن)	قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأيَة وَمَا كَانَ أَكثَرُهُم مُّؤمِنِينَ﴾ الآية 1/121/118/114/111/103/102/67/51/49/47/3/8 .125/178/174/162/158/146/143/39	20	جزئي

11	الجذر اللغوي (ع ذ ب)	قال تعالى: ﴿وَمَا نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ .213/204/201/189/189/158/156/135/138	9	جزئي
12	الجذر اللغوي (س ح ر)	قال تعالى: ﴿قَالَ لِلمَلَإِ حَولَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيم﴾34 .185/153/49/46/41/40/38/37/254/24/	11	جزئي
13	الجذر اللغوي (رس ل)	قال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرسِل إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ الآية .178/176/162/160/143 /141/125/123/107/105/53/27/27/21/17/16/13	17	جزئي
14	لفظ (قوم)	قال تعالى: ﴿وَإِذ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ٱئتِ ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ 166/160/117/105/70/7/11/10.	8	مباشر
15	لفظ (بني إسرائيل)	قال تعالى: ﴿أَن أَرسِل مَعَنَا بَنِي إِسرَٰءِيلَ﴾ الآية .197/59/22/17	4	مباشر
16	الجذر اللغوي (ض ل)	قال تعالى: ﴿قَالَ فَعَلتُهَا إِذا وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ﴾ الآية 99/97/86/20.	4	جزئي
18	الجذر (ل ق ى)	قال تعالى: ﴿فَأَلقَواْ حِبَالَهُم وَعِصِيَّهُم وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرعَونَ إِنَّا لَنَحنُ ٱلغَٰلِبُونَ﴾ الآية .46/45/43/43/32/44	6	جزئي
19	لفظة (الأجر)	قال تعالى: ﴿وَمَا أَسأَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ إِن أَجرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ﴾ الآية 18/180/145/145/127/127/109/109/41/164/164 0	11	مباشر

21	جذر (غ ف ر)	قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي أَطمَعُ أَن يَغفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَومَ ٱلدِّينِ﴾ الآية 51/86/82.	3	جزئي
22	جذر (ف س د)	قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُفسِدُونَ فِي ٱلأَرضِ وَلَا يُصلِحُونَ﴾ الآية 152. قال تعالى: ﴿وَلَا تَبخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشيَاءَهُم وَلَا تَعثَواْ فِي ٱلأَرضِ مُفسِدِينَ﴾ الآية 183	2	جزئي
23	لفظة (الآخرين)	قال تعالى: ﴿وَأَزلَفنَا ثَمَّ ٱلأٓخَرِينَ﴾ الآية 172/66/64.	3	مباشر
24	لفظة (العبادة)	قال تعالى: ﴿وَأَوحَينَا إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَن أَسرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ 92/75/71/70/22/52.	6	جزئي
25	الجذر اللغوي (ت ق ي)	قال تعالى: ﴿قَومَ فِرعَونَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ الآية 144/142/132/131/126/124/110/108/106/90/11 /184/179/177/163/161/150.	17	جزئي
27	الجذر اللغوي (ف ع ل)	قال تعالى: ﴿وَفَعَلتَ فَعلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلكَٰفِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلتُهَا إِذا وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ﴾ الآية 226/74/29/20/19.	7	جزئي
28	الجذر اللغوي (ج ع ل)	قال تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذتَ إِلَٰهًا غَيرِي لَأَجعَلَنَّكَ مِنَ ٱلمَسجُونِينَ﴾ الآية 85/84/21/29.	4	جزئي
29	الجذر اللغوي (ج ي أ)	قال تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوجِئتُكَ بِشَيءٖ مُّبِينٖ﴾ الآية 206/41/30.	3	جزئي
30	لفظة (فينا)	قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَم نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدا وَلَبِثتَ فِينَا مِن عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ الآية 18	2	مباشر

31	الجذر اللغوي (خ وف)	قال تعالى: ﴿**وَلَهُم عَلَيَّ ذَنب فَأَخَافُ أَن يَقتُلُونِ**﴾ الآية 135/21/12/14.	4	جزئي
32	الجذر اللغوي (أ خ ذ)	قال تعالى: ﴿**وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوء فَيَأخُذَكُم عَذَابُ يَومٍ عَظِيم**﴾ الآية 189/29/158/156.	4	جزئي
33	الفعل (سأل)	قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَسئَلُكُم عَلَيهِ مِن أَجرٍ إِن أَجرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ** ﴾ الآية 180/164/145/109/127	5	مباشر
36	لفظة (لوط)	قال تعالى: ﴿**كَذَّبَت قَومُ لُوطٍ ٱلمُرسَلِينَ**﴾ الآية 167/161/160.	3	مباشر
37	لفظة (العصا)	قال تعالى: ﴿ **فَأَلقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعبَان مُّبِين**﴾ الآية 63/45/44/32.	4	مباشر
38	الجذر اللغوي (م ط ر)	قال تعالى: ﴿**وَأَمطَرنَا عَلَيهِم مَّطَرا فَسَاءَ مَطَرُ ٱلمُنذَرِينَ**﴾ الآية 173	3	جزئي
39	لفظ (مبين)	قال تعالى: ﴿**قَالَ أَوَلَو جِئتُكَ بِشَيء مُّبِين**﴾ الآية 115/97/32/2/30.	5	مباشر
40	لفظة (أمدكم)	قال تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنعَٰم وَبَنِينَ**﴾ الآية 132-133	2	مباشر

التحليل النصي لسورة الشعراء من خلال التكرار:

تتعدد أشكال التّكرار عبر إعادة العنصر المعجمي بطريقة مباشرة وجزئية في سورة الشعراء.

بما أن سورة الشعراء سورة مكية عالجت عدة قضايا من أجلِّها قضية العقيدة وهو عبادة الله وحده فقد تكرر لفظ (رب) الدَّال على لفظ الجلالة (الله) باشتقاقاته المتنوعة، حيث تكرّر هذا اللّفظ (36 مرّة)، كما ورد بصيغ متنوعة، إلى جانب الضمير الدّال عليه (هو) والّذي تكرّر (3 مرات) في آيات متتالية، فانتشر تكرار هذا اللّفظ (رب) عبر مقاطع السورة كلها فأخذت الاتساق والترابط بين جميع أجزائها ووحداتها.

كذلك نجد لفظ الجلالة (الله) تكرر أيضا (13 مرّة) تكرارا مباشرا ابتداءً من المقطع الثاني (قصة إبراهيم عليه السلام) إلى المقطع الأخير والذي يمثل خاتمة السور ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَن أَتَى ٱللَّهَ بِقَلب سَلِيم**﴾ **الشعراء: 89**

﴿**فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ **الشعراء: 126**

وممّا سبق فلفظ الجلالة امتد عبر كامل السورة، فهذا يعني أنّه ساهم في ترابط جميع مقاطعها حتّى وإن تنوعت الألفاظ الدّالة عليه —سبحانه وتعالى– (الله، رب، ضمير الغائب(هو) العائد على لفظ الجلالة، العزيز، الرحيم، ...)، فإنّها جميعا إضافات إلى لفظه سبحانه، فكل اسم من هذه الأسماء مرجعه إلى (الله) تعالى.

وقد أدت هذه التّكرارات للفظ الجلالة إلى جذب أجزاء السورة نحو مركز القضية التي تتمحور حولها ألا وهي قضية العقيدة —التي أشرنا إليها سابقاً– وأدت أيضا إلى إحداث التواصل والاستمرارية من مطلع السورة إلى الخاتمة، ومن ثمّ أحدثت ترابطا واضحا وتماسكاً دلالياً داخل السورة مفاده أن الخطاب مسند إلى ذات الله – عزوجل – الذي يجب أن يخص وحده بالعبودية والألوهية.

كما تكررت كلمات أخرى كثيرة من بينها تكرار لفظ (آية)، الذي تكرّر (14 مرّة) موزّعة عبر جميع مقاطع السورة، ابتداءً من مطلع السورة بصيغة الجمع ﴿تلك ءايات الكتاب المبين ﴾

﴿أَتَبنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَة تَعبَثُونَ﴾الشعراء: 128 .

﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَر مِّثلُنَا فَأتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الشعراء: 154 .

إلاّ في آية واحدة في المقطع الأول (قصة موسى) فقد وردت أيضا بصيغة الجمع، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ الشعراء: 15 .

وورود لفظ آية بصيغة الجمع في بداية السورة، ثمّ في بقية الوحدات بصيغة المفرد، إنّما يدل على أنّ المفرد جاء تفصيلا للجمع.

والمتأمل فيما سبق ذكره يلحظ أن تكرار لفظة (آية) شكل حلقة وصل بين جميع مفاصل السورة، وأحالها إلى بنية واحدة متماسكة مترابطة الأجزاء.

ودلالة لفظ (آية) حسب ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور في تفسيره إذ قال " المراد ب الآية العلامة التي تدل على تهديدهم بالإهلاك تهديدا محسوسا بأن تظهر لهم بوارق تنذر باقتراب عذاب... وليس المراد آيات القرآن الكريم، وذلك أنّهم لم يقتنعوا بآيات القرآن الكريم"[1].

فلفظ آية إذن يتجسد في المعجزات التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، والمتأمل في هذه السورة يلحظ أن المقاطع (1-2-3-4-5-6-7) كلها كانت عبارة عن قصص للأنبياء، ولذلك تكرر لفظ (آية) في كل هذه المقاطع، ممّا أدى إلى الربط بين جميعها، فكانت البؤرة الأساسية للسورة كلها.
أمّا النماذج الأخرى التي تكرّرت في هذه السورة، فلم تكن بدرجة تكرار لفظة الجلالة ولفظ آية، ومع ذلك حققت الترابط بين مقاطع هذه السورة من بينها الجذر اللغوي (ك ذ ب).

تكرر هذا الجذر اللغوي (12 مرة) في السورة تكراراً جزئياً (اشتقاقياً) وبصيغ مختلفة، على صيغة الماضي والمضارع، والإفراد والجمع، وأسهمت في إبراز وحدة الموضوع لما لها من ارتباط وثيق بالمعنى العام لهذه السورة، إذ " يغلب على السورة كلها جوّ الإنذار والتكذيب، والعذاب الذي يتبع التكذيب، وذلك أنّ السورة تواجه تكذيب مشركي قريش لرسول الله – ﷺ – واستهزائهم بالنذر

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص 95.

وإعراضهم عن آيات الله"[1]. ولهذا جاء سياق القصص في هذه الآيات مشابهاً لحال قريش في إعراضهم عن آيات الله.

ومن نماذج ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ**﴾ **الشعراء: 12** .

﴿**كَذَّبَت قَومُ نُوحٍ ٱلمُرسَلِينَ**﴾ **الشعراء: 105** .

﴿**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ** ﴾ **الشعراء: 117** .

غير أنّ تكرار الجذر اللغوي (ك ذ ب) جاء كذلك تكرارا بالترادف، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُون** ﴾ **الشعراء: 45** .

فالفعل (أفِكَ) هو مرادف للفعل كَذَبَ فلو تصفحنا معجم لسان العرب لوجدنا أنّ "الإفكُ: الكَذِبُ، أَفَكَ يَأْفِكُ وأَفِكَ يَأْفَكُ إذا كَذَبَ، وَيُقَالُ: أَفَكَ كَذَبَ، وَأَفَكَ النّاسَ كَذَبَهُمْ وَحَدَّثَهُمْ بالبَاطِلِ، قال: فَيَكُونُ أَفَكَ وَأَفَكْتُهُ مِثْلَ كَذَبَ وَكَذَبْتُهُ"[2].

فالملاحظ هنا أن لفظة (أفك) و(كذب) قد تشاركتا من حيث الدلالة والمعنى؛ إذ بينهما قواسم دلالية مشتركة يفرضها نص القصص القرآني نفسه انطلاقاً من مقاصده وسياقه الداخلي، مما يضفي امتداد المعنى داخل النص، فيسهم في التماسك النصي.

نخلص إلى القول بأنّ تكرار الجذر اللغوي (ك ذ ب) في جميع الوحدات النصية والتي تمثل البنى الصغرى للنّص، أدى دورا كبيرا في تماسك السورة بأكملها – شكلياً ودلاليا- وذلك لانتشار هذا الجذر (ك ذ ب) على مسافات متباعدة فتكونت وحدة نصية كلية مترابطة.

ومن التكرار المباشر داخل السورة، نجد تكرار كلمة (موسى) (8مرات) عبر مسافات متباعدة، إذ تتماسك الآيات اللاّحقة بالآيات السابقة، وهذا التماسك يتحقق على المستوى الأفقي والمستوى

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ج19، ص 2574.

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج2، ص97.

العمودي أو الدّلالي، وذلك باعتبار كلمة (موسى) – عليه السلام – البؤرة الأساسية في هذا المقطع (أي المقطع الأول بعد المقدمة) لأنه المقصود بتبليغ رسالة الله عز وجل.

وفي السياق نفسه تكرر اسم (فرعون) (6 مرات) تزامنا مع تكرار لفظ (موسى)، وتكرّر لفظ (قوم) ثلاث مرات أيضا، وعلّق صاحب التحرير والتنوير على تكرار كلمة (قوم) في الآية (10) و(11) بقوله: " ثم عقب ذلك بذكر وصفهم الذاتي بطريقة البيان من القوم الظالمين وهو قوله (قوم فرعون) وفي تكرير كلمة قوم موقع من التأكيد فلم يقل: ائت قوم فرعون الظالمين"[1]، ففي الآية بيان بعد إجمال، لأن القوم الظالمين مبهم، لكن قوم فرعون مبين، وفائدة الإبهام، ثم البيان بعده التأكيد من وجه، وبيان الاهتمام به من وجه آخر، وتلقي السمع له بالقبول من وجه ثالث، وذلك على أساس أنّ هذا المقطع القصصي يعالج قصة سيدنا موسى والذي يرتكز على الحوار عادة ما يستدعي وجود شخصيات وأطراف متعددة.

فموسى– عليه السلام – أُرسِلَ إلى فرعون وقومه، وبالتالي التّكرارات هنا توحي بالنّسق الخطابي الذي تنتهجه السورة، إذ يبدو السّجال في هذا المقطع واضحا بين فريقين يسعى أحد هذين الفريقين لحسم الجدال لصالح القضية الرئيسة.

ومن نماذج ذلك في السورة قوله تعالى: ﴿**وَإِذ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ٱئتِ ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ **الشعراء: 10** .

﴿**قَومَ فِرعَونَ أَلَا يَتَّقُونَ**﴾ **الشعراء: 11** .

﴿**قَالَ فِرعَونُ وَمَا رَبُّ ٱلعَٰلَمِينَ**﴾**الشعراء: 23** .

﴿**فَلَمَّا جَاءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرعَونَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجرًا إِن كُنَّا نَحنُ ٱلغَٰلِبِينَ**﴾ **الشعراء: 41** .

﴿**قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلقُواْ مَا أَنتُم مُّلقُونَ**﴾ **الشعراء: 43** .

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص104.

ويختلف مدى الرّبط باستخدام التكرار المباشر في هذه السورة باختلاف موقعه من التركيب، حيث نجد الربط داخل الجملة، وعندئذ يكون مدى الربط قصيرا نسبيا على نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدا وَلَبِثتَ فِينَا مِن عُمُرِكَ سِنِينَ**﴾ **الشعراء: 18** .

حيث ترابطت الآيتين مع بعضهما بالتكرار المباشر للفظة (فينا)، والشيء ذاته في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَطَشتُم بَطَشتُم جَبَّارِينَ**﴾ **الشعراء: 130** ، فتكرار لفظة (بطشتم) في سياق الآية ساهم في ترابطها واستمرار المعنى وذلك عند إحالة المكرر اللاحق إلى اللفظ السابق.

ولا تقف وظيفة التكرار على تحقيق الترابط بين عناصر الآية أو الجملة الواحدة بل يربط كذلك بين آيتين أو جملتين متجاورتين أو أكثر ممّا يسهم في جعل مدى الربط كبيرا نسبيا نظرا لتباعد المسافة بين المتكررات، وذلك في مثلا قوله تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنعَٰم وَبَنِينَ** ﴾ **الشعراء: 132–133** .

لقد تكرر الفعل (أمدكم) مرتين على التوالي في الآية (132) و الآية التي تليها، فجاء في المرة الأولى في ذكر النّعمة بالإجمال الذي يهيئ السامعين لتلقي ما يرد بعده، فقال: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعلَمُونَ**﴾ **الشعراء: 132** ثم فُصِّلَ بقوله: ﴿**أَمَدَّكُم بِأَنعَٰم وَبَنِينَ**﴾ **الشعراء: 133** ، وأعيد فعل (أمدكم) في جملة التفصيل لزيادة الاهتمام بذلك الإمداد فهو للتوكيد اللفظي، مما ساهم بشكل كبير في الترابط بين الآيتين.

ويتواصل التكرار بقوة بواسطة الجذر اللغوي (ق و ل)، حيث تكرر – (52 مرة) – في حوار متواصل ومستمر بين مفاصل السورة ووحداتها النّصية، والمخطط الآتي يوضح ذلك:

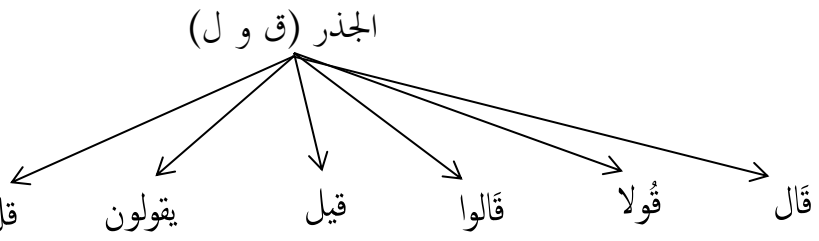

فالتكرار الجزئي (الاشتقاقي) للجذر (ق و ل) من العناصر اللغوية التي حققت الاتساق النصي بين المقاطع التي تكرر فيها هذا الجذر، فانتشر في القصّة الأولى (قصة موسى– عليه السلام –)

(27 مرة) بمختلف اشتقاقاته، فأسهم بشكل فعّال في ترابط جميع مشاهد هذا المقطع، وهي " سبعة مشاهد: أولها: مشهد النّداء والبعثة والوحي والمناجاة بين موسى –عليه السلام– وربه، وثانيها: مشهد مواجهة موسى عليه السلام لفرعون وملئه برسالته وآيتي العصا واليد البيضاء، وثالثها: مشهد التآمر وجمع السّحرة وحشد النّاس للمباراة الكبرى، ورابعها: مشهد السّحرة بحضرة فرعون يطمئنون على الأجر والجزاء، وخامسها: مشهد المباراة ذاته وإيمان السحرة وتهديد فرعون ووعيده، وسادسها: مشهد ذو شقين: الشق الأول مشهد إيحاء الله لموسى أن يسري بعباده ليلا، والثاني مشهد إرسال فرعون في المدائن حاشرين يجمعون الجنود لملاحقة بني إسرائيل، وسابعها مشهد المواجهة أمام البحر"[1].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ**﴾ **الشعراء: 12** .

﴿ **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشعراء: 16** .

﴿ **وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ**﴾ **الشعراء: 39** .

﴿**فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**﴾ **الشعراء: 41** .

أما القصة الثانية (قصة إبراهيم –عليه السلام–) فقد تكرّر فيها الجذر اللّغوي (ق و ل) بدرجة أقل من قصة موسى عليه السلام، فكان في سبعة مواضع فقط لكن مع ذلك فقد ساهم في التماسك بين الجمل والآيات مما جعلها بنية واحدة ووحدة دلالية مترابطة الأجزاء، فهذا التكرار يتناسب مع طبيعة السورة، فهي سورة قصصية، وطبيعة القصص الحوار، والشكل الآتي يبين ذلك:

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 5، ج19، ص2588..

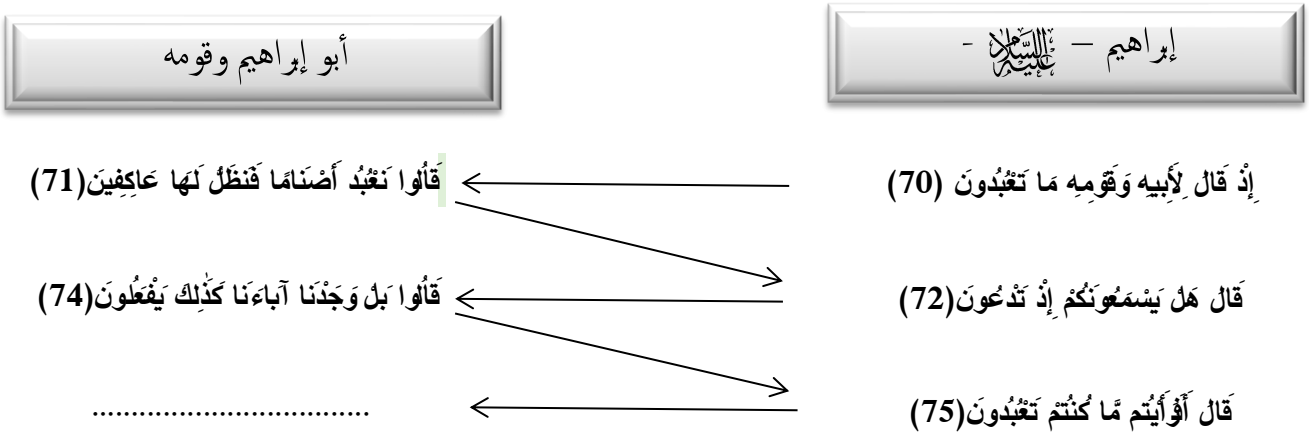

وتتوالى أحداث القصص في سورة الشعراء ويظل الجذر اللغوي (ق و ل) منتشراً عبر كامل المقاطع إلى غاية خاتمة السورة، ففي قصة نوح –عليه السلام– يتكرر نفس الجذر (ق و ل) (6 مرات)، وفي قصة هود (مرتين)، وفي قصة صالح ولوط وشعيب (3 مرات) في كل قصة، ولعل وجود هذا الاختلاف في الانتشار لهذا الجذر من قصة إلى أخرى يعود إلى طول وقصر الوحدة وعدد الشخصيات المتفاعلة داخل كل قصة، فهذا النوع من التكرار باللفظ والمعنى يحدث تماسكا نصياً، ويمثل نوعاً من الإحالة الداخلية السابقة.

وأيضاً من التكرار الجزئي للجذر اللّغوي (ت ق ي) (17 مرة) الذي انتشر عبر كامل مقاطع السورة بمختلف صيغه، نحو قوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ **الشعراء: 110**

حيث امتد داخل السورة مشكلا همزة وصل بين جميع المقاطع، فقد جاءت هذه الكلمة (التقوى) على لسان كل رسول لقومه للدلالة على وحدة الرسالة جوهراً ومنهجاً، في أصلها الواحد الذي تقوم عليه، وهو الإيمان بالله وتقواه، وطاعة الرسول الآتي من عند الله، فانتشرت في جميع القصص ممّا دلّ "على أن المهمّة الأولى للرّسول هي تربية التقوى في قلوب النّاس"[1].

[1] سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1(1405هـ/1985م)، مج 7، ص 3911.

ولهذا نجد تكرار للفظة (التقوى) الأثر البارز في إحداث التناسق والاتساق داخل البنى التركيبية للمقاطع النّصية، لأنه ما من نبي إلا ودعا قومه إلى تقوى الله وطاعته، فهو يناسب مقصد السورة العام.

أما التكرار الاشتقاقي للجذر اللّغوي (آمن) تكرر (20 مرة) في السورة، وقد تكرر من مطلع السورة حتى نهايتها، ويمثل هذا نمطا من أنماط التكرار وهو "رد العجز على الصدر"، ومن ثم يصبح نص القصص القرآني-سورة الشعراء- وحدة دلالية واحدة من خلال التماسك النصي الذي يحدثه انتشار هذا الجذر اللغوي(آمن)، ومرجعية هذا النمط من التكرار داخلية سابقة، مما يجعل ذلك متناسبا مع الهدف الرئيسي للسورة وهو الإيمان بالله، ولذلك بعث ﷻ جميع الرسل إلى أقوامهم من أجل العبادة، وتحقيق الإيمان.

ويتوالى التكرار الاشتقاقي عبر الجذر اللغوي (ر س ل) (17 مرة) منتشراً في فضاء النص القرآني للسورة، ممثلا في أشكالٍ متعدّدة تراوحت بين الأفعال والأسماء.

فقد ورد في صيغة الأفعال أربع مرات بصيغة فعل الأمر المبنيّ على السكون نحو قوله تعالى: ﴿**وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ**﴾ **الشعراء: 13** ، وفي صيغة الفعل الماضي المبنيّ للمجهول، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾ **الشعراء: 27** .

أما فيما يخص الأسماء، فقد ورد في شكل اسم نكرة وهو خبر نحو قوله تعالى: ﴿**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾ **الشعراء: 107** ، أو معرفة عن طريق الإضافة إلى كلمة "رب العالمين" نحو قوله تعالى: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشعراء:16** .

كما ورد أيضا في صيغة جمع مذكر السالم وشغل موقع المفعول به للفعل كذّبت في ستّ آيات نحو قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ **الشعراء: 176** .

يتضح من خلال هذه الأمثلة أن تكرار الجذر اللغوي (ر س ل) بصيغ مختلفة، فجاء التعبير بصيغة الجمع مقام الإفراد في لفظ "المرسلين"، وذلك لأن دين الأنبياء والرسل واحد والرسالة واحدة، فمن كذب رسولاً فكأنما كذب الرسل جميعاً، وهذا التكرار ما هو إلاّ تأكيد واضح منه ﷻ على

"حاجة النّاس إلى رسل الله وأنبيائه، لتربيتهم على منهج الشريعة الرّبانية، وتأديبهم بآدابها، وتبلغيهم رسالات الله على الوجه الذي أمرهم الله به، بالحكمة والموعظة الحسنة، ولتبيين معاني ما أنزل عليهم من نصوص وتوضيح مدلولاتها للعمل بمقتضاها"[1]، ودلالة ذلك تقتضي الإشارة إلى ترابط كل مقطع مع الذي يليه حتى خاتمة السورة مكونة بذلك وحدة دلالية مترابطة الأجزاء من خلال تكرار الجذر اللغوي (ر س ل).

تكرار مباشر آخر أسهم أيضا في اتساق السورة تكرار كلمة (الأجر) التي ذكرت (11 مرة) وردت بصيغتين، مرة اسم "إنَّ" مؤخر نكرة نحو قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ**﴾ **الشعراء:41** ، سؤال السحرة لفرعون الأجر دلالة على خبرتهم وحاجة فرعون إليهم؛ إذ علموا أنه شديد الحرص على أن يكونوا غالبين، لأنهم خافوا أن يسخرهم بدون أجر، فاشترطوا الأجر قبل الشروع في العمل ليقيدوه بوعده[2]

ومرة أخرى اسم معرفة "مضافا إلى ضمير الملكية" [أَجْرِيَ] متعلق بشبه الجملة " على رب العالمين" نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشعراء: 109** .

وعند تتبع هذه العبارة في السورة وتكرارها فيها تنبيه على عدم طلب الأجر، تمييزاً للدعوة الصحيحة عما عهده الناس في الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد[3].

---

[1] نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، ط1، (1431هـ/2010م)، مج 5، ص 333.

[2] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مج19، ص126.

[3] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج19، ص2607.

وهذا ما جعل هذه الكلمة تتكرر داخل نفس العبارة على ألسنة جميع الرّسل لتبرير هدفهم الأساسي من البعث والرّسالة، فهذا التكرار لهذه اللّفظة على مستوى جميع القصص يشكل رابطا لفظيا ودلاليا، مما يعطي استمرارية النص، وكل ذلك يسهم في وحدة النص وتماسكه من بدايته إلى نهايته.

ب- إعادة عنصر معجمي عبر المشترك اللّفظي:

يعد التّكرار عبر المشترك اللّفظي من الوسائل التي تسهم في الربط بين عناصر البنية اللّغوية، ويعدّ هذا الأخير "من الظواهر اللّغوية الشائعة التي شغلت موقعا مهما في علاقة الألفاظ بالمعاني، قديما وحديثا، والمشترك اللفظي هو ما اتفق لفظه واختلف معناه، أو أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى"[1].

[1] ينظر: محمد نور الدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق)، دار الفكر، دمشق، ط1، (1419هـ/1999م)، ص37.

جدول إحصائي يوضح التكرار عبر المشترك اللفظي في سورة الشعراء:

الرقم	المشترك اللفظي	موضع الآية من السورة	الأوجه
1	ظلّوا	قال تعالى: ﴿ **إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ** ﴾ **الشعراء:** 4 قال تعالى: ﴿ **قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ** ﴾ **الشعراء:** 71	مالوا أقام
2	الذكر	قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ**﴾ **الشعراء:** 5 قال تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ **الشعراء:** 227	القرآن ذكر الله
3	الإتباع	قال تعالى: ﴿ **قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ**﴾ **الشعراء:** 111 قال تعالى: ﴿ **فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ** ﴾ **الشعراء:** 60	يتبع دين صاحبه يتبع أثر صاحبه
4	الإتيان	قال تعالى: ﴿ **فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ **الشعراء:** 6 قال تعالى: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشعراء:** 16	الإصابة المضيّ المجيء

		قال تعالى: ﴿ **قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ **الشعراء:** 31 قال تعالى: ﴿**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشعراء: 165**	الجماع
5	اتّقوا	قال تعالى: ﴿ **قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ**﴾ **الشعراء:** 11 قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ **الشعراء:** 106	اعبدوا اخشوا
6	الخلق	قال تعالى: ﴿ **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ **الشعراء:** 137 قال تعالى: ﴿ **وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**﴾ **الشعراء:** 166	الاختلاق والكذب الجعل

من خلال الجدول الإحصائي للتكرار عبر المشترك اللفظي في سورة الشعراء، تتصل التراكيب وتتابع داخل الخطاب القرآني لربط المعاني والدلالات التركيبية بعضها ببعض.

فنجد من بين الألفاظ لفظة (ظلُّوا) التي ساهمت في الربط بين مقدمة السورة والمقطع الثاني، حيث وردت على وجهين:[1]

الوجه الأول :بمعنى: مالوا في قوله تعالى: ﴿**فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ** ﴾ **الشعراء: 4**

أما الوجه الثاني: ورد تحديدا في المقطع الثاني (قصة إبراهيم –عليه السلام–) بمعنى: أقام في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ**﴾ **الشعراء:71**، بمعنى: فنقيم لها عاكفين أي: عابدين.

فتكرار هذه الكلمة (ظلوا) باختلاف معانيها وغرضها بحسب السياق عن المعنى المعتاد لدى المتلقي لهذا الخطاب القرآني، ساعد على تكثيف الدلالة للبنية السطحية للنص، وجعله كتلة واحدة متماسكة.

[1] ينظر: مقاتل بن سليمان البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، تح: حاتم صالح الضامن، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط2، (1432هـ/2011م)، ص221.

ويتواصل أثر التكرار عبر المشترك اللفظي داخل سورة الشعراء، فيحدث توازنا وتناسقا للبنى التركيبية للمقاطع النصية عبر لفظة (الذكر) والتي وردت في المقدمة وفي خاتمة السورة، فكان مدى الربط طويلا من بداية السورة إلى نهايتها، وقد وردت لفظة (الذكر) في هذه السورة على وجهين:

الوجه الأول: بمعنى: القرآن في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ** ﴾ **الشعراء:** 5، أما **الوجه الثاني:** بمعنى: ذكر الله في قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن** ﴾ **الشعراء:227.**

وهذا التنوع في دلالة المفردة الواحدة المتكررة عبر المشترك اللفظي، أدى إلى الاتساق الشكلي في البنية السطحية للنص القرآني في السورة من بدايتها إلى نهايتها.

ويتعدى دور المشترك اللّفظي الربط بين الآيات المتجاورة إلى الربط بين عدّة مقاطع عبر وجود سلاسل من الوجوه على نحو ما نجده في الجذر اللغوي (أ ت ى) الذي تعدد معانيه فاتخذ ستة عشر وجهاً[1] منها أربعة أوجه في هذه السورة:

الوجه الأول: الإتيان الإصابة في قوله تعالى: ﴿ **فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ** ۖ ﴾ **الشعراء: 6**

الوجه الثاني: الإتيان المضي في قوله تعالى: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشعراء: 16.**

الوجه الثالث: الإتيان المجيء في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ **الشعراء:31**

الوجه الرابع: الإتيان الجماع، في قوله تعالى: ﴿**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشعراء: 165.**

وتنوع المشترك اللّفظي في مقاطع السورة، يسهم في ثراء النص القرآني وإبلاغيته وتكثيف دلالاته من خلال تنوع معاني ودلالات الجذر اللّغوي الواحد، هذا التنوع الذي تتحدّد دلالته من خلال السياق، في تحديد المعنى المقصود من المشترك اللفظي، مما أسهم في ترابط النص القرآني عبر انتشار الجذر اللّغوي بمعانيه المختلفة عبر بنيات ومقاطع السورة.

[1] ينظر: الحسين بن محمد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تح: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1983م،، ص14، 15.

ج- إعادة عنصر معجمي عبر التّكرار المباشر (للجمل) في سورة الشعراء:

عدد مرات تكرارها	الآية التي تكررت	مواضع تكرارها في السورة
5	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء: 105	الآيات: 123-141-160-176.
5	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الشعراء: 106	الآيات: 124-142-161-177.
5	﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ الشعراء: 107	الآيات: 125-143-162-178.
8	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ الشعراء: 108	الآيات: 126-131-110-144-150-163-179.
5	﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء: 109	الآيات: 127-145-164-180.
2	﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ الشعراء: 153	الآية: 185
3	﴿ ..عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الشعراء: 135	الآيات:156، 189.

يبين هذا الجدول إحصاء التّكرار المباشر للجمل داخل البنية للسورة والذي له دور فعال في تحقيق التماسك الشكلي والترابط الدلالي، إذ يطغى على السورة ما يسمى بالتكرار المنتظم، عبر آيات منتظمة، فمن ذلك، تكرار التمهيد نفسه في بداية كل قصة على التوالي في كل مقطع مع تغيير طفيف، ومن نماذج ذلك:

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ(106)﴾ الشعراء

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ(124) ﴾ الشعراء
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) ﴾ الشعراء
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ(161) ﴾ الشعراء
﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) ﴾ الشعراء

إن المتأمل فيما سبق يرى تكرر المقطع نفسه في مطالع جميع القصص (نوح- هود- صالح- لوط – شعيب)، مع تكرار الجملة الخبرية (كذبت) إشارة موجزة إلى نهاية القصة، وتكرار متشابه لأسلوب السرد بهذه العبارات؛ لأن الغرض هو التركيز على وحدة الرسالة والمنهج وبيان عاقبة الشرك، مما أدى إلى ترابط جميع هذه الوحدات النصية الحاملة لمواقف الأقوام من دعوة أنبيائهم، وذلك عبر علاقة التكرار المنتظم.

وتكرار كلمة (أخوهم) في قصة نوح وهود وصالح ولوط، وحذفت في قصة شعيب عليه السلام والسر في ذلك هو أن شعيباً لم يكن من أصحاب الأيكة، وإنما هو من أهل مدين، أرسل إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة [1].

ويتواصل الربط في هذه السورة عبر التكرار المنتظم، ومن ذلك تكرار الآية: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ التي تكررت ثماني (8) مرات بمعدل مرة إلى مرتين في كل قصة عدا قصة موسى –عليه السلام–، لأن هذا التكرار لا يخرج عن مقصود السورة وما تهدف إليه، ممّا يدل على أنّ التقوى والطاعة من أسس الدعوة، فلا عجب أن يتفق الأنبياء في الأمر بالتقوى، لأنهم مشتركون في الدعوة إلى الله متواردون على التوحيد.

وهكذا ترابطت مقاطع هذه السورة واتسقت عبر تكرار فعل التقوى والطاعة.

ومما تميّزت به سورة الشعراء، تعدد التراكيب المنتظمة في النص القرآني؛ إذ يستمر ترابط مقاطع السورة عن طريق التّكرار المنتظم للآيات المتعالِقَة في اللّفظ والمعنى، دون أَيِّ تغيير في البنية، وذلك عبر تكرار الآية ﴿**وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشعراء: 109**

[1] ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص768.

، فالأنبياء جميعا لا يطلبون أجراً على تبليغ الدعوة إلا من الله، وهم مخلصون في دعوتهم محتسبون الأجر من المولى عز وجل.

وقد أحدث تكرار هذه الآية اتساقا واضحا بيّنا بين مقاطعها، وذلك من خلال وحدة المضمون في الدعوة إلى الله وذلك: "بيان تجرد الأنبياء والرسل –عليهم السلام– عن الغرض الدنيوي والمصلحة الشخصية في دعوتهم بقولهم لأقوامهم بلسان واحد في كل قصة من هذه السورة (قصة نوح، هود، صالح، لوط، شعيب) ﴿**وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشُّعراء:109**، فقد تكررت هذه الآية في سورة الشعراء خمس مرات كما هو في الجدول، وهي تفيد إثبات نبوتهم بإقامة الحجة على الكافرين لحملهم على الإيمان على طواعية...ولقد جاءت هذه الآية لتخدم محور السورة وتعلل لها وتدلل، وكررت لتكون أبلغ في التحدي والتبكيت"[1].

فالتكرار المكثف لهذا التركيب خاصة مع وجود مسافة بين تكراره عبر المقاطع يدعم ثبات النص بقوة تداول تلك التراكيب وتأكيد معناها فيحدث سبكا لسطح النّص.

ومما ميَّز سورة الشعراء تكرار محور السورة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ تكررت ثماني مرات عقب نهاية كل قصة في الآيات التالية: (9، 68، 104، 122، 140، 159، 175، 191)، فتكرارها من بداية السورة حتى خاتمتها، لهي "دعوة تأملية للنظر في عاقبة مكر الأقوام المكذبة لرسلها، على امتداد تاريخ البشرية من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، وهي تشير صراحة إلى نصر الله رغم قلة المؤمنين في دعوة كل رسول وكثرة الكافرين الذين لا يؤثر فيهم الإنذار...وإن في آيات الإهلاك دلالة على قدرته فهو العزيز في انتقامه من الكافرين، الرحيم بعباده المؤمنين"[2].

وعليه فحدوث الربط خارج حدود الجملة، حيث يكون مدى الربط كثيراً لتباعد المسافة بين التكرار، وتعاقب استخدامه يُشَكِّلُ سلاسلَ للمعنى، فهو بمثابة الخيط الأساسي الذي ينتظم فيه

[1] ينظر: نخبة من علماء التفسير وعلماء القرآن، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص 370.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص401.

سرد التكرار للنص القرآني مما أسهم في اتساق أجزاء السورة عبر المقاطع القصصية، من بداية السورة إلى خاتمتها.

فهذا التكرار المنتظم البديع في هذه السورة سواء في بداياتها أو نهاياتها عبر عنه الزمخشري بقوله: "فإن قلت: كيف كرّر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرّر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلى بحق في أن تُفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به ولأنّ في التّكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتا لها في الصدور"[1].

وخلاصة القول تماسكت وترابطت المقاطع النصية الحاملة مواقف الأقوام من دعوة أنبيائهم إليهم، وذلك عبر علاقة التكرار المنتظم، حيث تكررت مطالع القصص الخمسة، وتعانقت في اللفظ والعدد، إذ جاء كل مطلع من المطالع الخمسة على لفظ غيره في خمس جمل أصلية، وكما ترابطت وتماسكت مطالع هذه القصص ترابطت وتماسكت كذلك مقاطعها، حيث قطعت كل قصة من هذه القصص بمحور السورة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾ مما جعل سورة الشعراء متماسكة الأجزاء من بدايتها حتى نهايتها.

2- التكرار بالترادف:

الرقم	الكلمة	مرادفها	الآيات من السورة الشعراء (قال تعالى)
1	الكذب	الإفك	﴿ **فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ الآية 6 ﴿**فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾ الآية 45
2	الضّرّ	الضّير	﴿**قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ** ﴾ الآية 50

[1] الزمخشري، الكشاف، ج19، ص 769.

			﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ الآية 73
3	أرسل	بعث	﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية 17 ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ الآية 36
4	جاء	أتى	﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الآية 30-31
5	الخطيئة	الذنب	﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ الآية 14 ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الآية 82
6	سنة	عام	﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ الآية 18
7	صديق	حميم	﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ الآية 101
8	الكتاب	زبر	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الآية 2 ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية 196

يُعَدُّ التّرادف من الظواهر اللغوية المهمة، حظيت باهتمام الدارسين بين القدامى والمحدثين من علماء اللغة، لما في علاقة الألفاظ بالمعاني من أثر في تماسك النصوص، فهو شكل من أشكال التكرار ووسيلة من وسائل الربط المعجمي التي تسهم في امتداد المعنى داخل النص.

يعرف السَّيِّد علي الشَّريف الجرجاني المترادف: "ما كان معناه واحداً وأسماؤه كثيرة وهو ضِدُّ المشترك أخذاً من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه (كالليث والأسد)"[1]، غير أن علماء التفسير وعلوم القرآن تباينت آراؤهم في إنكار الترادف، فمنهم المثبت ومنهم المنكر، ومنهم من يرى أن ثمة ألفاظا أحسن من ألفاظ والمعنى واحد، فالتّرادف

[1] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط)، 2004م، ص167.

هنا قائم على قدرة منتج النّص على استبدال إحدى المفردتين بالأخرى مع الإقرار بوجود فروق دلالية طفيفة بينهما، إذ يقول صاحب التفسير من المحدثين: " وإنّ ممَّا لا شك فيه أنه: ليس في القرآن الكريم من الألفاظ المترادفة أو المتواردة إلاّ وفي كلّ معنىً مقصود، يدركه من كان ضليعا في فقه اللّغة وأسرار العربية"[1].

إنّ الدارس لسورة الشعراء بمختلف مقاطعها يجد أنّ التّرادف وسيلة من وسائل الترابط النصي، فتعددت أشكاله، فقد يقع داخل جملتين متعاطفتين مثلا، وعندئذ يكون مدى الربط قصيراً نسبياً، مثلما هو الحال بالنسبة للفعلين المترادفين (جاء) و(أتى) في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ **الشعراء: 30–31** .

ولقد فسّر ابن منظور فعل "المجيء بالإتيان، والإتيان بالمجيء، مما يدل على ترادفهما، أما الراغب الأصفهاني فيرى أنّ المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعمّ...والإتيان قد يقال باعتبار القصد، وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول"[2]، فالمسافة بين (جاء) و(أتى) قريبة جداً، فيتحقق التماسك النصي بتكرار المعنى دون اللفظ، وهو ما يسمى بالترادف المعنوي، وعليه فاستخدام الترادف بدلا من التكرار المباشر للكلمة يسهم في نفي الشعور بالضجر والملل، زيادة على ذلك بث بدلا عن ذلك الدينامية والتنوع والتجدد المستمر، طلبا للحفاظ على تفاعلية المتلقي أكبر قدر ممكن من الوقت وهي في حركية مع الخطاب/النص.

ويتواصل فعل التّرابط في النّص بفعل التّرادف عبر ثنائية (الإرسال) و(البعث) والتي تواتر اطرادها بشكل أخص في المقطع الأول من السورة في مثل قوله تعال:

﴿ **وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ**﴾ **الشعراء: 13** .

﴿**أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ **الشعراء: 17** .

---

[1] خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، ط2، (1406هـ/1986م)، ص271.

[2] محمد نور الدين المنجد، التّرادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، ط1، (1417هـ/1997م)، ص144.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ **الشعراء: 36** .

وبالرجوع إلى المعاجم العربية نجد أن فعل (الإرسال) مرادف لفعل (البعث)، ومن ذلك قول ابن منظور في اللّسان: " بَعَثَ بَعَثَهُ يَبْعَثُهُ بَعْثاً: أَرْسَلَهُ وَحْدَهُ، وَبَعَثَ بِهِ: أَرْسَلَهُ مَعَ غَيْرِهِ، وَابْتَعَثَهُ أَيْضاً أَيْ أَرْسَلَهُ فَنْبَعَثَ"[1]، إلاَّ أننا نجد فرقا طفيفا بين الفعلين كما ذكر أبو هلال العسكري في كتابه: " (الفرق) بين البعث والإرسال أنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك ودون المبعوث إليه، كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول: بعثته ولا تقول أرسلته لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها[2]

وعليه فإننا لا نجزم بترادفهما المطلق وهو ما ذهب إليه المفسّرون وعلماء القرآن من أنه لا وجود للتّرادف المطلق بين ألفاظ القرآن الكريم وأنّ دلالة المفردة حسب السياق الذي ترد فيه.

إلاَّ أنَّ هذه الثنائية ساهمت في ترابط النص القرآني بشكل أساسي في المقطع الأول من القصص القرآني (قصة موسى – عليه السلام –)، والتي أكسبت النّص تنوعا وتجدداً مستمراً واضحاً يبرز أهمية المواجهة التي جرت بين موسى عليه السلام وفرعون، وكذا الشخصيات المتفاعلة في السياق ذاته انطلاقا من السمة الغالبة على السورة وهي البنية الحوارية.

ومن ثنائيات الترادف في السورة، والتي ساهمت في الترابط النصي ثنائية (الضَّير والضرّ)، جاء في معجم لسان العرب لابن منظور أنَّ الضَّيْر والضُّرّ بمعنى واحد " ضارَهُ ضَيْراً: ضَرَّهُ، يُقَالُ ضَارَنِي يَضِيرُنِي وَيَضُورُنِي ضَوْراً، وقوله عليه السلام في حديث عائشة رضي الله عنها وقد حاضت في الحجّ: لاَ يَضِيرُكِ، أَيْ لاَ يَضُرُّكِ... وفي التنزيل العزيز: ﴿**قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ**﴾ **الشعراء: 50** ، معناه لا ضرّ، يُقَالُ لاَ ضَيْرَ وَ لاَ ضَوْرَ وَلاَ ضَرَّ وَ لاَ ضَرَرَ وَ لاَ ضَارُورَةُ بِمَعْنىً وَحِدٍ"[3].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج4، ص307.

[2] أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح: لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط7، (1411هـ/1991م)، ص283.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج29، ص2623.

ومن أمثلة ذلك في سورة **الشعراء** قوله تعالى:

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ الشعراء: 50

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ الشعراء: 73 .

وجود هذه الثنائية (الضَّيْر، الضُّرّ) من المترادفات بالرغم من الاختلاف في اللفظين إلا أن المعنى واحد، وقد أسهم هذا الترادف في التنوع والتجدد واستمرارية النص القرآني مما أحدث الترابط بين المقطعين الأول والثاني، وقد وقع هذا الترادف بين آيتين بينهما متتاليات جُمَلِيَةٍ؛ وعندئذ يكون مدى الربط طويلا، ويرتبط استخدام الترادف في النص القرآني ببناء البنية الدلالية الكبرى والفكرة الأساسية، حيث يسهم التكرار باستخدام المترادفات في تَعَالُقِ المعاني وبناء موضوع النص، فقد احتوت سورة الشعراء على مجموعة من الثنائيات المترادفة (الكذب، الإفك)، (الخطيئة، الذنب)، (الكتاب، زبر) وكلها تصنع شبكة من العلاقات الدلالية التي تشكل المعنى العام للسورة في مجال العقيدة، كونها من السور المكية التي تعالج موضوع العقيدة، مما جعل جميع أجزاء السُّورة متماسكة، والترادف من أهم الوسائل التي تُسْهِم في اتساق النص.

3- التكرار بالكلمة الشاملة (الأساس المشترك):

من الوسائل اللغوية المحققة للترابط بين الكلمات التكرار بالكلمة الشاملة ونعني به: "اسم يحمل أساساً مشتركاً بين عدة أسماء؛ ومن ثم يكون شاملاً لها"[1] ومع أنه لم تبلغ الكلمات الشاملة من حيث الحضور في سورة الشعراء مثلما هو الحال في أنواع التكرار الأخرى، وهي: الكلمة الشاملة المتمثلة في (المرسلين) من خلال قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾ **الشعراء: 160** .

حيث ساهمت هذه الكلمة في التّرابط على المستوى السطحي للنَّص من خلال استدعائها للكلمات المنضوية تحتها وهي جميع أسماء الأنبياء المذكورة في السورة وهي: (موسى-إبراهيم-نوح – صالح-لوط-شعيب)، وقد تكررت هذه الكلمة الشاملة في الكثير من المقاطع كانت بمثابة سلسلة من الروابط والتعالقات المحكومة من خلال بنية دلالية علائقية واحدة، ساهمت في تحقيق الاتساق والتماسك والاستمرارية داخل النص.

الكلمة الشاملة (أسماء القرآن) وردت ثلاثة أسماء في السورة منها: الكتاب في قوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**﴾ **الشعراء:2** ، والذكر في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَانِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ**﴾ **الشعراء:5**، والتنزيل في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **الشعراء:192**، فالكتاب والذكر والتنزيل هي أسماء يشملها جميعاً اسمٌ شاملٌ لها، ويحتويها باندراجها ضمنه وهو اسم القرآن، فكلمة (القرآن) تمثل الكلمة الشاملة، ويتحقق الترابط بين هذه العناصر اللغوية (أسماء القرآن) في البنية السطحية وذلك من خلال انضواء هذه الكلمات تحت الكلمة الشاملة (القرآن)، مما ضمن استمرارية النص القرآني من بدايته إلى نهايته، وهو ما أشار إليه سيد قطب في تفسيره بقوله: " والحديث عن هذا الكتاب متداول في السورة، في مقدمتها ونهايتها، كما هو الشأن في السور المبدوءة بالأحرف المقطعة"[2]، وهذا ما يجعل سورة الشعراء وحدة مترابطة الأجزاء وكلاً متناسقاً متماسكاً.

---

[1] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص83

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج5، ج19، ص2584.

4- التكرار بالكلمة العامة:

الرقم	الكلمة العامة	المحال إليه	موضع الآية من السورة
1	القوم الظالمين	قوم فرعون	﴿أن ائت القوم الظلمين قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ الآية 10-11
2	الفعلة	قتل موسى لرجل من آل فرعون	﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الآية 19
3	الجمعان	موسى ومؤمنواْ بني إسرائيل، فرعون وجنوده	﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ الآية 61
4	أصحاب موسى	مؤمنواْ بني إسرائيل	﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ الآية 61
5	الذنب	قتل موسى لرجل من آل فرعون	﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ الآية 14
6	الآخرين	فرعون وجنوده، وقوم لوط	﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ الآية 64-65 ﴿ثُمَّ دمرنا الأخرين﴾ الآية 172

والكلمات العامة "يقصد بها الكلمات ذات الدّلالات العامة، وهي الأكثر شمولا من الاسم الشامل وأعمّ منه، بحيث تنضاف هذه الدلالات العامة إلى النّواة الإسنادية في بؤرة الخبر بصفة

وظيفية عملية، وهذا من الناحية التركيبية توسعة للفضاء الخبري"[1]، وقد وردت الكلمات العامة في هذه السورة، في المقطع القصصي الأول (قصة موسى عليه السلام)، والجدول أعلاه يوضح ذلك، فالكلمات (الجمعان، الآخرين، الفعلة، الذنب، القوم الظالمين، أصحاب موسى) كان لها أثر كبير في ترابط البنى داخل المقطع القصصي الأول وذلك من خلال بناء شبكة علائقية محكمة تضم إليها كل العناصر اللغوية التي تتقاطع معها دلالياً وتشاركها في صناعة المعنى العام وفقاً لمقتضيات النص القرآني، وبذلك فهي تعمل على تحقيق الترابط داخل النص.

ومما سبق فالكلمات العامة لها دور مهم في اتساق النص القرآني، وعلاوة على ذلك تسهم في كفاءة النّص وذلك باعتبارها مفصلا مهما من مفاصل النَّص.

وخلاصة القول تعددت جميع أنماط التكرار في سورة الشعراء، بأنواعه المختلفة (التكرار المحض، والجزئي، والتكرار بالترادف، وبالاسم الشامل، وبالكلمة العامة) سواء على مستوى الكلمة أو الجملة أو الآية أو الفقرة، كلها أدت إلى تحقيق التماسك الشكلي والدلالي، حيث ورد ذكر لمن سبق النبي ﷺ من الرسل والأنبياء (موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب)، فجاءت هذه القصص متنوعة ومختلفة في البنية السطحية اختلاف الأشخاص والأحداث والأزمنة، إلا أنها تماسكت وترابطت جميعها عبر التكرار الدلالي أو ما يسمى بتكرار البنية العميقة، لأنها جاءت تكرر استمرارية موضوع واحد، عبرت عن البنية العميقة، وهو موقف عناد وتكذيب الأقوام الذين أرسل الله إليهم الأنبياء والرسل، وكل ذلك تثبيتاً لقلب النبي ﷺ، لأنه اشتد حزنا عندما أعرض قومه عن القرآن، حتى كاد يقتل نفسه لعدم إيمانهم قال تعالى: ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾، ولهذا أُفتتحت السورة الكريمة بما يفيد مدح القرآن الكريم وأنه منزل من الله العزيز الرحيم. وخُتمت بإيعاد المكذبين، الذين ظلموا أنفسهم بعدم إيمانهم بهذا القرآن؛ لأن سنة الله قد جرت بالانتقام من أعدائه والرحمة بأوليائه، فكان هذا التهديد كأنه الإنذار الأخير الذي يزلزل كيان الظالمين

[1] سيروان أنور مجيد، النّصية في لغة الإعلام السياسي، (صحيفة الشرق الأوسط أنموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين، أربيل العراق، (1431هـ/2010م)، ص 115.

زلزالاً شديداً، وبهذا تتناسب مقدمة السُّورة مع خاتمتها أروع تناسب، ويظهر الرَّبطُ والإحكام من بداية السُّورة إلى نهايتها.

الفصل الثالث:

إجراءات الاتساق في أساليب القصص القرآني

المبحث الأول: الاتساق في أسلوب الحذف في سورة طه

المبحث الثاني الاتساق في أسلوب التقديم والتأخير في سورة مريم

المبحث الثالث: الاتساق في أسلوب التكرير في سورة الكهف

المبحث الرابع: الاتساق في أسلوب الالتفات في سورة الكهف

المبحث الخامس: الاتساق في أسلوب الوصل في سورة يوسف

توطئة:

يُشَكِّلُ الاتساق بُعداً مهماً في دراسة النص القرآني، لا سيما إذا كانت هذه الدراسة مزاوجة بين الدراسة النصية والدراسة الأسلوبية، وهو ما اعتمده البحث في هذا الفصل من دراسة بعض الظواهر اللغوية التي تتقاطع وأدوات الاتساق، ومن تلك الظواهر التي يمكن من خلال دراستها أن تتم عمليات الكشف الجمالي: (ظاهرة التقديم والتأخير، وظاهرة الالتفات، والحذف، والوصل، والتكرار)، وأثر تلك الظواهر اللغوية في تماسك القصص القرآني.

"فالنص القرآني يُعَدُّ حاملاً للعديد من القيم الجمالية والبلاغة والفنية والأسلوبية.

المبحث الأول: الاتساق في أسلوب الحذف في سورة طه

توطئة:

"طه" هي السورة العشرون من ترتيب سور القرآن الكريم، وهي من السور المكية، عدد آياتها مائة وخمس وثلاثون آية (135)

ولقد اختلفت الآراء حول سبب تسمية السورة بهذا الاسم، المختصر "طه"، فقيل أن الأصل في "طه" هو أمر (بالوطء) على الأرض، حيث أن –النبي ﷺ–كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه، فأُمِر بأن (يطأ) الأرض بقدميه معا، ولما كانت الهمزة أعسر على النطق خففت في (طأها)– بمعنى (طاء الأرض) إلى فتحة مماثلة للفتحة قبلها لتصير (طاها)، وسعيا لتخفيف العملية النطقية ورغبة في الإسراع بها، اختصرت الفتحة الطويلة في (طا) و(ها) إلى قصيرة لتصل إلى صورتها السطحية على الشكل طه"[1].

ومما ذكر في أغلب كتب التفسير أن "طه" اسْمٌ مِنْ أَسْماءِ نَبِيّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يَا رَجُلُ بالسُّرْيانية، وَقِيلَ: بِغَيْرِهَا من لُغَات الْعَجَمِ. قال "البخاري"،: قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: ﴿**طه**﴾ يَا رَجُلُ بِالنَّبطِيَّة، وَقِيلَ: إِنَّهَا لُغَةٌ يَمَانِيَةٌ فِي "عَكَّ" وَأَنشَدَ الطَّبَرِيُّ فِي ذَلِكَ:

دَعَوْتُ بـ (بطه) فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلاَ [2]

[1]ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، ج16، ص650.

[2]الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، (1418هـ/1978م)، ج4، ص43.

أما سورة طه ككل السور المكية تعالج: "أصول الدين، والرسالة، والبعث، وفي السورة تظهر شخصية الرسول ﷺ في شد أزره وتقوية روحه، حتى لا يتأثر بما يلقى إليه من الكيد والعناد...ولهذا سميت السورة سورة طه، وهو اسم من أسمائه الشريفة عليه السلام، خوطِب به تطييباً لقلبه وتسلية لفؤاده، عما يلقاه من صدود وعناد[1].

كما ذكرت فيها قصص الأنبياء والتي كانت تسلية وتطمينا للرسول ولنا نحن لأخذ العبر، أما عن بعض القصص التي وردت في السورة فهي قصة "موسى" وهارون مع "فرعون" مفصلة مطولة، وبخاصة موقف المناجاة بين موسى وربه، وموقف الجدال بين موسى وفرعون، ثم موقف المبارزة بينه وبين السحرة، وقصة أدم عليه السلام سريعة قصيرة التي فيها رحمة الله لآدم عليه السلام بعد الخطيئة، وتختتم بمشاهد القيامة[2].

الجدول الإحصائي لمواضع الحذف في سورة طه:

نوع المحذوف	موضع الحذف من سورة طه	المحذوف	المرجعية
مسند إليه (مبتدأ)	**قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ الآية 5**	**هو** الرحمن	داخلية لاحقة
مسند إليه (مبتدأ)	**قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ الآية 63**	هذان **لهما**	داخلية لاحقة
مسند إليه (مبتدأ)	**قال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية 8**	**هو** الله	داخلية لاحقة
مسند إليه (فاعل)	**قال تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ الآية 13**	**الذي**	داخلية سابقة

[1] محمد علي الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن، مكتبة الغزالي، مكة، ط2، (1499هـ/1979م)، ص83.

[2] ينظر: نفس المرجع، ص نفسها.

مسند إليه (فاعل)	**قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ الآية66**	يخيل **الملقي**	داخلية سابقة
مسند إليه (فاعل)	**قال تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ الآية 101**	وساء **الحِمْلُ** حِمْلاً	داخلية لاحقة
مسند إليه (فاعل)	**قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ الآية 128**	أفلم يهد **الهدى**	داخلية سابقة
مسند إليه (فاعل)	**قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ الآية 102**	ينفخ **إسرافيل**	داخلية لاحقة
مسند (خبر)	**قال تعالى: ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ الآية 73**	وما أكرهتنا عليه **مسقَطٌ** أو **محطوط**	داخلية لاحقة
مسند (خبر)	**قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ الآية 65**	أن تلقي **إِلْقَاءَكَ**	داخلية لاحقة
مسند (خبر)	**قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ الآية 46**	**بالنصر والمعونة والحفظ**	داخلية لاحقة
مسند (فعل)	**قال تعالى: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ﴾ الآية 4**	**أنزلناه** تنزيلاً	داخلية سابقة
مسند (فعل)	**قال تعالى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ الآية 21**	**تسير** سيرتها	داخلية لاحقة

مسند (فعل)	**قال تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾ الآية 22**	**خذ** ءايةً	داخلية سابقة
مسند (فعل)	**قال تعالى: ﴿ هَارُونَ أَخِي ﴾ الآية 30.**	**اضمُمْ إِلَيَّ** هارون	داخلية سابقة
التوابع (مفعول به)	**قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ الآية 3**	**اللهَ أو عقابَه**	داخلية لاحقة
التوابع (مفعول به)	**قال تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ الآية 7**	وأخفى **السِّرَّ**	داخلية سابقة
التوابع (مفعول به)	**قال تعالى: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ الآية 13**	اخترتك **من قومك**	داخلية سابقة
التوابع (مفعول به)	**قال تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ الآية 18**	أهش**الورق**	داخلية لاحقة
التوابع (مفعول به)	**قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ الآية 66/65**	تلقي: **العصا**/ أول من ألقى: **ما معه**/ بل ألقو: **ما معكم**	داخلية لاحقة
التوابع (مضاف)	**قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ الآية 131**	**ذوي** زهرةِ الحياة	داخلية سابقة
التوابع (مضاف)	**قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ الآية 72**	**أمورَ** هذه الحياة	داخلية لاحقة

التوابع (مضاف)	**قال تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِ ﴾ الآية 96**	من أثر **تراب حافر** الرسول	داخلية سابقة
التوابع (مضاف إليه)	**قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ الآية 135**	كل **فريق**	داخلية لاحقة
التوابع (جار ومجرور)	**قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ الآية 108.**	لا عوج لهم **عنه**	داخلية سابقة
التوابع (الصفة)	**قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ الآية 74**	موتاً **مريحاً** / حياة **طيبةً**	داخلية سابقة
التوابع (المنادى)	**قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ الآية 49**	**وهارون**	داخلية سابقة
التوابع (معطوف عليه)	**قال تعالى: ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ الآية 39.**	**ليتعطف عليك**	داخلية سابقة
التوابع (المصدر)	**قال تعالى: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ الآية 33**	**تسبيحاً** كثيراً	داخلية سابقة

تركيب (جملة جواب الشرط)	**قال تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَ ﴾ الآية 7**	وإن تجهر بالقول **فاعلم أنه غني عن جهرك**	داخلية لاحقة
جملة الشرط	**قال تعالى: ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِ﴾ الآية 28.**	**إن تحلل عقدة من لساني**	داخلية سابقة
جملة الشرط	**قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ الآية 69.**	**وإن تُلْقِ ما في يمينك**	داخلية سابقة
جملة القسم	**قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾ الآية 36**	**بالله**	داخلية لاحقة
أكثر من جملة	**قال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ الآية 40.**	**مشت حتى دخلت على آل فرعون فدلتهم على الظِّئْرِ**	داخلية لاحقة
أكثر من جملة	**قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ الآية 92/91**	**فلما رجع موسى ورآهم قد ضلوا عبدوا العجل قال يهرون ما منعك**	داخلية لاحقة

في هذا الجدول أنواع المحذوفات ومواضع حذفها في سورة "طه"، وذلك باعتماد عدد من كتب التفسير وكتب الإعراب.

فحذف الكلمة لها تفرعات كثيرة: فالمسند إليه حذف حوالي في ثمانيةِ (8) مواضع، والمسند أيضا حذف في سبعة (7) مواضع، كما تنوعت محذوفات التوابع "الكلمة" في سورة طه وتواتر حذفها في أربعةِ عشْرَةِ (14) موضعاً، بين المفعول به، والمضاف والمضاف إليه، والصفة، والجار والمجرور إليه، إلى غير ذلك من التوابع كما هو موضح في (الجدول)، أما بالنسبة لحذف الجملة يوجد في أربعةِ (4) مواضع، بخلاف الحذف في أكثر من جملة، الذي يوجد إلا في موضعين فقط.

التحليل النصي لمواضع الحذف في سورة طه:

قبل أن نشرع في التحليل لا بد من التذكير أننا لم نتناول حذف الحرف في سورة طه، وذلك لأنه محل خلاف بين الروايات، وهذا يجرنا إلى التطويل في البحث، مع أن طبيعة البحث لا تترك لنا المجال الكافي للإلمام بما حفلت به السورة من حذف للحرف بنوعيه (حرف المبنى، وحرف المعنى) بين الروايات، فاقتصرت عملية البحث على حذف (الكلمة، والجملة، وأكثر من جملة).

أولاً: حذف الكلمة

أ. حذف المسند إليه (المبتدأ)

وأشار "عبد القاهر الجرجاني" إلى أن "من المواضع التي يطَّرد فيها حذف المبتدأ، "القطع والاستئناف"، يبدؤون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يَدَعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاما آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبرٍ من غير مبتدإٍ"[1]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ **طه: 05.**

فكلمة (الرحمن) خبر لمبتدأ محذوف أي "هو الرحمن"[2]، بالقطع عما قبله للمدح وحذف المبتدأ لظهوره، ولتتوفر العناية بالخبر[3]، ومن ثم فقد ساهم الحذف في اتساق الآية وتماسكها.

---

[1]عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 147.

[2]محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن، ج6، ص2847.

[3]مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (1412هـ/1991م)، ص46.

ومما احتمل حذف المبتدأ فيه قوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**﴾ **طه: 63.**

فقدر الزجاج: هذان لهما ساحران[1].

وردَّ عليه الفارسي فقال: إن الحذف والتأكيد باللام متنافيان، ذلك لأن الحذف مبني على الاختصار والتأكيد مبني على الطول، وأما حذف الشيء لدليل وتوكيده فلا تنافي بينهما لأن المحذوف لدليل كالثابت[2]، ولقد اختلف القراء في قراءة هذه الآية كذلك اختلف المعربون في إعرابها ولمن أراد التعمق في إعرابها يعود إلى: كتاب إعراب القرآن للنحاس ومما احتمل حذف المبتدأ فيه أيضا في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ **طه:8.**

فقد أجاز (أبو حيان الأندلسي) أن تكون الجملة (له الأسماء الحسنى) خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل: من ذا الذي يعلم السر وأخفى؟ فقيل: هو الله، و(الحسنى) تأنيث الأحسن، وصفة المؤنثة المفردة تجري على جمع التكسير، وحسن ذلك كونها وقعت فاصلة[3]، فحذف المبتدأ والذي مرجعيته داخلية لاحقة، ساهم في ترابط وتماسك هذه الآية والآيات التي قبلها، كونها تتضمن صفات الله والثناء عليه، وذلك من خلال مَلْءِ المتلقي فراغات الحذف، فيظهر المعنى جلياً متسقاً.

ب. حذف المسند إليه (الفاعل)

حذف المسند إليه "الفاعل" في سورة "طه" ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ **طه: 13.**

قدر الزمخشري في يوحي ب: الذي يوحى أو الموحي.[4]

---

[1]الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص363 .

[2]ينظر، مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص30.

[3]أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ج 6، ص215.

[4]الزمخشري، تفسير الكشاف، ج16، ص652.

وحذف الفاعل في (يوحى) للعلم به، ويحسنه كونه فاصلة فلو كان مبينا للفاعل لم يكن فاصلة[1]، وحذف الفاعل كونه معلوماً أولى من ذكره مما زاد من جمالية نظم الآية، بل قوَّى من ربط العناصر اللغوية في الآية مما ساهم في تماسكها.

[1]أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص217.

وفي قوله تعالى: ﴿**قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾ **طه: 66**، ذكر العكبري: يكون على تقدير يخيل الملقى[1].

وتقدير ما قبل "يُخَيَّلُ" يوضح أكثر أن المحذوف فيها هو الفاعل(**فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ**) **تقديرها**: ففاجأ موسى وقت تخيل حبالهم وعصييهم، وهذا تمثيل، والمعنى على مفاجأته:

حبالهم وعصيهم مخيلة إليه السعي[2]، فالفاعل محذوف دل عليه الفعل "ألقوا"، وعليه فالمرجعية داخلية سابقة، مما حقق التماسك على مستوى الآيتين هذه والتي قبلها.

ومن المواضع التي حُذِف الفاعل فيها أيضا قوله تعالى: ﴿**خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا**﴾ **طه:101**.

حيث قدره "العكبري" ب: ساء الحِمْلُ حِمْلاً على اعتبار (حِمْلاً)، تمييز لاسم ساء[3]، وفاعل "ساء" ضمير مستتر مبهم يفسره التمييز الذي بعده وهو "حِمْلاً"، والحِمْلُ –بكسر الحاء– اسم بمعنى المحمول كالذبح بمعنى المذبوح [4]، وعليه فمن قدَّر الفاعل "الحِمْلُ حِمْلاً" فالمرجعية داخلية لاحقة، فالاتساق تحقق على مستوى الآية، أمَّا إذا قدَّرنا الفاعل "ساء الوزر حِمْلاً" لدلالة لفظ "وِزْراً" في الآية التي قبلها عليه، فالمرجعية داخلية سابقة، وعندها يكون الاتساق تحقق على مستوى الآيتين هذه والتي قبلها، فالاختلاف في تقدير المرجعية سابقة أم لاحقة، نتيجة لاختلاف تقدير الفاعل المحذوف بين علماء النحو.

وفي قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى**﴾ **طه، 128**.

---

[1] أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العُكْبَريّ، التبيان في إعراب القرآن، بيت الأفكار الدولية، (د ط)، (1419هـ/1998م)، ج16، ص258.

[2] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص240.

[3] أبو البقاء العُكْبَريّ، التبيان في إعراب القرآن، ج16، ص260.

[4] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص303.

ذكر ابن عطية: أن الفاعل ل: (يهد) مقدر تقديره الهدى أو الأمر أو النظر أو الاعتبار وهذا أحسن ما يقدر به عندي، أما من قرأ (أفلم نهد) قدَّر الفاعل هو لفظ الجلالة الله [1]، وقدره مكي بن أبي طالب القيسي كذلك حين أعرب هذه الآية بقوله "فاعل يهد مضمر وهو المصدر تقديره أفلم يهد الهدى لهم[2]. فالاختلاف في تقدير المحذوف (الفاعل) مما يحفز فكر المتلقي وينشط ذاكرته ويستفز مشاعره؛ لإحداث الهزة الفنية الجمالية المناسبة، وتفجير الطاقات الكامنة في السياقات اللغوية المختلفة ليتشكل خطاباً في أقصى صور تكامله، وترابطه وتماسكه.

وحذف الفاعل في قوله تعالى أيضا: ﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**﴾ طه:102.

قرأ الجمهور(يُنفَخُ) بياء الغيبة مبنياً للمجهول، أي ينفخ نافخٌ، وهو المَلَكُ الموَكَّلُ بذلك[3] والنافخ هو "إسرافيل"، فحذف الفاعل للعلم به، ومرجعيته داخلية لاحقة بدلالة النفخ في الصور، مما أسهم حذف الفاعل في ترابط أجزاء الآية وتماسكها.

ج.حذف المسند (الخبر):

حذف المسند (الخبر) في سورة "طه" لكن بنسبة قليلة، يرجع ذلك إلى طبيعة السورة فهي سورة قصصية.

ومن مواضع حذف الخبر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ **طه: 73**

ففي قوله تعالى (وَمَا أَكْرَهْتَنَا) "ف" ما" تكون في محل رفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره "مسقط أو محطوط عنَّا"[4]، بمعنى مرفوع عنَّا وملقى عن كواهلنا، وقيل- ما - في "موضع

[1] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، ص69.

[2] أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (1405هـ/1984م)، ص474.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص304.

[4] محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، ج6، ص2887.

نصب معطوفة على الخطايا[1]، أي: ليغفر لنا خطايانا، ويغفر لنا أيضاً الذي أكرهتنا عليه، فتكون المرجعية داخلية سابقة، مما يسهم في تحقيق الترابط على مستوى الآيتين هذه والتي قبلها. ومن حذف "الخبر" أيضا في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى**﴾ **طه: 65**، قدر من (أن تلقي) الجملة المصدرية المبتدأ "إلقاؤك أو إلقاؤنا" وجوز أن يكون مبتدءً وخبره محذوف وتقدير ذلك "إلقاؤك أول" واستدل عليه بما يليه في قوله تعالى: "﴿**وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى**﴾"[2]، وحذف "الخبر" لإشعار السحرة باللهفة وتقاصر الزمن أي رغبتهم في معرفة معجزة موسى عليه السلام، وكذلك لأجل إغرائه بما عندهم، ومن تقدير المحذوف يتبين أن المرجعية داخلية لاحقة، وعليه يكون الاتساق تحقق على مستوى الآية والآية التي بعدها من خلال الربط بين المحذوف وما يدل عليه.

وحذف الخبر أيضا في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ **طه: 46**.

ففي قوله (إِنَّنِي مَعَكُمَا) جملة تعليلية لعدم الخوف، وإنَّ واسمها، والظرف متعلق بمحذوف خبرها"[3] أي حذف خبر "إنَّ " والتقدير: (إِنَّنِي مَعَكُمَا) " بالنصر والمعونة والحفظ، والتأكيد ب(إِنَّنِي) لزيادة في الاطمئنان وللمبالغة في وقوعه، وجملة (أسمع) خبر ثان، أو حالية، و(أرى) عطف على (أسمع)، واختير المضارع للتجدد كلما تجدد ما جرى بينهم تجدد تعلق السمع والرؤية بخلاف المعية فإنها دائمة[4]، وحذف الخبر لدلالة القرينة العقلية عليه من خلال السياق اللغوي، مما حقق الترابط على مستوى الآية.

---

[1]أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحَّاس، إعراب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط2، (1429هـ/2008م)، ص589.

[2]أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص240.

[3]محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ج6، ص682.

[4]ينظر: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية القُونَويّ على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، تح: عبد الله محمود و محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1422هـ/2001م)، ج12، ص355-356.

د. حذف المسند (الفعل):

ومما هو ملاحظ أن حذف المسند "الفعل" في هذه السورة يفوق غيره من المحذوفات- المبتدأ والخبر والفاعل- وذلك: (لكثرة الاستعمال وتحاشيا للتكرار ولدلالة الحال عليه) ومن المواضع التي حذف فيها الفعل:

في قوله تعالى: ﴿**تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى**﴾ **طه:4**

"تنزيلاً "هو مصدر لفعل محذوف والتقدير: أنزلناه تنزيلا[1]، ويذكر الطاهر بن عاشور: "تنزيلاً" حال من القرآن ثانية، والمقصود منها التنويه بالقرآن والعناية به لينتقل من ذلك إلى الكناية بأن الذي أنزله عليك بهذه المثابة لا يترك نصرك وتأييدك [2]، فالمرجعية داخلية سابقة إشارة إلى الفعل أنزلنا فيتحقق الترابط بين الآيات (2) و(3) و(4).

وحذف أيضا في قوله تعالى: ﴿**قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولى**﴾ **طه:21**

وموضع الحذف بفعل مضمر أَيْ تَسِيرُ (سِيرَتَهَا الأُولى) وحذف الفعل (تَسِيرُ) لدلالة (سِيرَتَهَا) عليه ولضيق المقام إذ الغرض طمأنة موسى عليه السلام حين أبصر تحول العصا فولَّى مدبراً[3]، فالمرجعية داخلية لاحقة تحقق الربط بين أجزاء الآية، وذلك من خلال ملء فراغ المحذوف فيتضح المعنى جليّاً متماسكا.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (22) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى** ﴾ **طه:22/23.**

موضع الحذف هو نصب (آية) بفعل محذوف تقديره: "خذ" أي: خذ (آيةً أخرى)، وحذف الفعل لدلالة الكلام عليه [4]، وبالتالي فالمرجعية داخلية سابقة مما تحقق الربط الشكلي والتماسك

[1]العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج16، ص255.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص186.

[3]مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص131.

[4]ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج16، ص654.

الدلالي بين هذه الآية والآية التي قبلها والتي بعدها؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى**﴾ متعلق بالفعل المحذوف "خذ"، وحذف لتتوفر العناية بالمعمول إذ هو الغرض[1]

حذف الفعل في قوله تعالى: ﴿**هَارُونَ أَخِي**﴾ **طه:30**، ذكر العُكبريُّ أنَّه يجوز أن ينتصِبَ (هارونَ) بفعل محذوف، أي اضْمُمْ إِلَيَّ هَارُونَ [2]، ويكون (هارون) بدلاً أو عطفَ بيان، أو مفعولاً به إلى غير ذلك من التقديرات والأوجه التي ذكرها النحويون وأهل التفسير، فحذفه جسَّد جمالاً بلاغياً كما أنه أثرى الإيحاء ونشَّط خيال المتلقي، لتأويل عدة جوانب مضمرة لأنه اختلف في تقدير الحذف كما ذكرنا، فالمرجعية داخلية سابقة حققت الترابط بين أجزاء الآية.

هـ. حذف (التوابع)

فالمتعلقات بالمسند هي عنصر غير مهم في الجملة بحيث يمكن الاستغناء عنه، وقد تنوع حذفها في هذه السورة، من مفعول، إلى مضاف، إلى صفة، إلى غير ذلك من توابع لم يشكل حذفها خللاً في التركيب اللغوي للسورة، والمفعول به أكثرها حذفاً، ومن مواضع حذفه في قوله تعالى: ﴿**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾ **طه:2 –3.**

حيث حذف المفعول به للفعل (يخشى) والتقدير: يخشى اللهَ أو عقابَه فالحذف هنا لاعتبارات موسيقية، ومن أجل المحافظة على الإيقاع الموسيقي بين مكونيّ الآيتين: (تشقى) و(يخشي) فكلاهما فاصلة[3] والمعنى كما ذكر الألوسي: أي لمن شأنه أن يخشى الله تعالى ويتأثر بالإنذار لرقة قلبه ولين عريكته أو لمن علم الله أنه يخشى بالتخويف[4]، فالمرجعية داخلية لاحقة مما تحقق الترابط على مستوى هذه الآية والآيات التي بعدها إلى غاية الآية (8). وحذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ **طه: 7**

---

[1] مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص131.

[2] العُكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج16، ص256.

[3] ينظر: هادي نهر، الإتقان في النحو وإعراب القرآن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، (1431هـ/2010م)، ج2، ص564.

[4] ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج8، ج16، ص150.

فقد أجاز "العُكبريُّ أن يكون (أخفى) فعلا لمفعول محذوف تقديره: (السِّر) أي: وأخفى السرَّ عن الخلق[1]، (**والسِرُّ**): هو ما أسرَّه ابن آدم في نفسه، (وأخفى) ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، وقال الضحاك: السرّ ما تحدث به نفسك، وأخفى: ما لم تحدث به نفسك بعد[2]، وحذف المفعول (السرّ) لدلالة كلمة السر الأولى عليه، فالمرجعية داخلية سابقة حققت الترابط بين أجزاء هذه الآية، بل ظهر التناسق بينها وبين الآية التي سبقتها يذكر سيد قطب في تفسيره: وينسق التعبير بين الظل الذي تلقيه الآية ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ** ﴾ **طه:6**، والظل الذي تلقيه الآية بعدها ﴿**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾**طه: 7**، ينسق بين الظاهر الجاهر في الكون، والظاهر الجاهر من القول، وبين المستور المخبوء تحت الثرى والمستور المخبوء في الصدور: السر وأخفى على طريقة التنسيق في التصوير، والسِّرّ خاف، وما هو أخفى من السِّر تصوير لدرجات الخفاء والاستتار، كما هو الحال تحت أطباق الثرى[3].

وكذلك حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ **طه: 13**

والمفعول الذي حذف في هذه الآية هو مفعول" (اخترتك) الثاني المتعدي إليه بمن تقديره: من قومك، أي وأنا اخترتك (من قومك)[4]، تكريم إلهي ما بعده تكريم، " ويا للتكريم أن يكون الله بذاته هو الذي يختار، يختار عبداً من العبيد هو فرد من جموع الجموع...هو ذرة في هذا الكون الذي قال له الله: كن.. فكان ولكنها رعاية الرحمان لهذا الإنسان![5]، وحذف المفعول لأنه معلوم بدلالة الحال، فالمرجعية داخلية سابقة وعند ملء فراغ المحذوف يظهر المعنى جليّاً متماسكاً في الآية.

---

[1] العُكبريّ، التبيان في إعراب القرآن، ج16، ص255.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج5، ص161.

[3] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج16، ص2328.

[4] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص217.

[5] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج16، ص2331.

وقدر حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ **طه: 18.**

حيث جاء في معاني القرآن للفرَّاء "(أهش بها على غنمي) أي أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه غنمه"[1]، و"المفعول الذي حذف هو مفعول الفعل (أهش)، بمعنى أَهُشُّ الورقَ فالمفعول المحذوف هو "الورقَ"، هشَّ الورق والكلأ والنبات إذا جفَّ[2] "، وحذف لإيجاز ولوضوح المعنى لا حاجة لذكره فالتفت إلى ما هو أهم منه، ولو ذكره لكان هذا خارجاً عن المبتغى واستطراداً في غير محله هذا من جهة، وكذلك لو ذكر الورق لتعدى الأمر إلى ذكر مفعولات أخرى، فيخرج الكلام عن مقصده، وهو ما لا يليق بكلام الله وهذا ما يجعل أسلوب القرآن رفيعاً، ومعنى الآية: "أهشُّ بها على غنمي" أي "أخبط الورق بها على رؤوس غنمي، فالمحذوف الورق بقرينة على غنمي"[3]، والمرجعية داخلية لاحقة فتحقق الترابط الشكلي والدلالي على مستوى الآية.

وحذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾ **طه: 65–66.**

يذكر سيد قطب في تفسيره للآيتين فيقول: "وهي دعوة الميدان إلى النزال يبدو فيها التماسك وإظهار النصفة والتحدّي "[4]، ففي الآيتين حذف للمفعول في " ثلاثة مواضع: "تلقي– ألقى– ألقوا" والتقدير: إما أن تلقي العصا، وإما أن نكون أول من ألقى ما معه، قال بل ألقوا ما معكم، فوقع الحذف هنا لضيق المقام أو لاختصار الكلام لشدة تعلق النفس لما سيحصل، إضافة إلى التلهف والاهتمام فلقد كان السحرة يتعجلون الظهور على موسى عليه السلام ليفوزوا بما وعدوا به من

[1] أبو زكريا يحي بن زيَّاد الفَرَّاء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، (1403هـ/1983م)، ج2، ص177.

[2] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص 220.

[3] ينظر: عصام الدين إسماعيل الحنفي، حاشية القُونَويّ على تفسير البيضاوي، ج12، ص329.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج16، ص2342.

قبل فرعون، كما كان موسى عليه السلام يتعجل ظهور الحق بوعد الله[1]، والمرجعية داخلية لاحقة (الحبال والعصي) ساهمت في ترابط الآيتين شكلياً ودلالياً.

ومن التوابع المحذوفة في سورة طه حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ **طه:131**

توسَّع المعربون في إعراب "زَهْرَةَ"، على تسعة أوجه ذكرها محي الدين الدرويش[2] وهي: إما أن تكون مفعولاً ثانياً، أو منصوبة إما: على البدلية من أزواجاً / على البدلية من محل "به" /على الاختصاص/ على الحال من الضمير "به"/ على التمييز لـ "ما"/ على الذم/ بفعل مضمر جعلنا/ على الحال من "ما"، وكل هذه الأوجه سائغة، ذكر القاسمي في تفسير (زهرةَ الحياةِ الدُّنيا) أي زينتها منصوب على البَدَلِيّةِ من: أزواجاً، والتقدير: ذوي زهرة فحذف المضاف[3]، والمرجعية داخلية سابقة مما حقق الترابط والتماسك على مستوى هذه الآية.

وحذف المضاف في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾ طه: **72**.

والتقدير: إنما تقضي أمور هذه الحياة، فحذف المضاف(أمورَ) لتتوفر العناية بنفس الحياة إذ هي الغرض المسوق له الكلام[4]، ذكر إسماعيل الحنفي في تفسير هذه الآية: إنما تصنع ما تهويه إشارة إلى المحذوف "أمورَ" بقرينة ما قبله والتعبير بالأمر العام للمبالغة في عدم المبالاة، وهذا تفنن في البيان وأشاروا به أنك يا فرعون قاض ما قصدته علينا في هذه الدنيا وأما في الآخرة فمقضى عليك فاتق الله ولا تخالف أمر الله فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى[5]، ومنه يتبين أن المرجعية داخلية سابقة ساهمت في ترابط الآية وتماسك أجزائها.

---

[1]ينظر: مصطفى عبد السلام، الحذف البلاغي في القران الكريم، ص 67-68.

[2]ينظر: محي الدّين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ج16، ص744.

[3]محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، (1424هـ/2002م)، ج7، ص167.

[4]مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص 72.

[5]ينظر: عصام الدين إسماعيل الحنفي، حاشية القُونَويّ على تفسير البيضاوي، ج12، ص393.

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿**قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**﴾ **طه: 96.**

والتقدير: من أثر تراب حافر الرسول، فحذفت هذه الإضافات إيجازاً ودلالة على أن هذه القبضة لم تكتسب قوتها من الحافر كحافر أو من الفرس كفرس، ولكن لأنه فرس الرسول فأضيف الأثر إليه مباشرة[1]، فالمرجعية داخلية سابقة دل على ذلك كلمة "أثرِ" وعند تقدير المحذوفات يتضح المعنى جليّاً، فيكون الحذف ساهم في ترابط أجزاء الآية شكلاً ودلالة.

وحذف المضاف إليه في قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى**﴾ **طه: 135.**

موضع الحذف في الآية (كل) " وتقدير ذلك: كل فريق، وحذف المضاف إليه للعلم به وعوِّض عنه التنوين للإيجاز ولتتوفر العناية على الخبر[2]، ولدلالة السياق عليه فقد ذكر الطاهر بن عاشور أن المعنى: كلُّ فريق متربصٌ فأنتم تتربصون بالإيمان، أي تؤخرون الإيمان إلى أن تأتيكم آية من ربي، ونحن نتربص أن يأتيكم عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة... وتنوين (كلٌّ) تنوين عوض عن المضاف إليه المفهوم من المقام[3]، وعليه فالمرجعية داخلية لاحقة وحقق الحذف تماسك الآية، بل أن هذه الآية هي خاتمة السورة التي بدأت بنفي الشقاء عن الرسول ﷺ وتحديد وظيفة القرآن ﴿ **إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ**﴾ فالخاتمة تتناسق مع مطلع السورة والتي هي من باب رد العجز على الصدر، فالخاتمة فيها أنه قد بلَّغ كلَّ ما بعث به فلم يكونوا أهل خشية فتركهم وغيَّهم إلى الآخرة.

وحذف الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا**﴾: **طه: 108.**

---

[1] مصطفي عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص70.

[2] المرجع السابق، ص83.

[3] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص347-348.

والتقدير: "لاعوج لهم عنه" وحذف لدلالة (يتبعون) عليه اختصارا[1]، والمعنى: لا عوج لهم عنه بل يأتون مقبلين إليه متبعين لصوته من غير انحراف[2]، فالمرجعية داخلية سابقة دل على (يتبعون) مما ساهم في تماسك الآية وترابط أجزائها. وكذلك حذف الصفة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى**﴾ **طه: 74**

وموضع الحذف هو (لا يموت فيها) والتقدير هو: لا يموت فيها موتاً مُريحاً ولا يحيا حياةً طيبةً، فالصفة المحذوفة حسب هذا التقدير هي (مريحاً) و(طيبةً)، وموصوفا هاتين الصفتين محذوف أيضا؛ لكن هناك دليل عليهما هو الفعل (يموت) والفعل (يحيى)، "وقد أفاد حذف الصفة التفخيم والتهويل، لما في ذلك من الإبهام الحادث من اجتماع الضدّين في وقت واحد"[3] فالحذف يعمل على إثارة الذهن لِمَلْء الفراغات وتقدير المحذوف للربط بين المحذوف وما يدل عليه، ففي هذه الآية مرجعية الحذف داخلية سابقة دلَّ على ذلك الفعلان (يموت ويحيى)، وعند التقدير يتضح المعنى متسقاً شكلاً ودلالةً.

وحذف المنادي في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ **طه: 49–50.**

جاء في التفسير الموضوعي لهذه الآية: أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه هارون، لأن المجاوبة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لا من الجميع، أو لأن موسى الأصل في النبوة وأخوه تابع له[4]، ولهذا كان تقدير الآية: ﴿ **فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى** ﴾ أي وهارونَ فحذف للعلم به[5]، مرجعيته داخلية سابقة دلَّ عليها لفظ "ربكما"، مما ساهم في اتساق الآية الكريمة.

---

[1]مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف في القرآن الكريم، ص98.

[2]ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج8، ج16، ص264.

[3]ينظر: مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص91.

[4]نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص553.

[5]العُكبَريّ، التبيان في إعراب القرآن، ج16، ص257.

وحذف المعطوف عليه في قوله تعالى: ﴿**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ **طه:39**

والتقدير: وألقيت عليك محبة مني –" ليتعطف عليك "– ولتصنع على عيني فحذف لدلالة ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي**﴾ عليه اختصاراً[1]، العناية الإلهية منذ الصغر فالمعنى: تحت عين فرعون– عدوك وعدوي– وفي متناول يده بلا حارس ولا مدافع، ولكن عينه لا تمتد إليك بالشَّرّ لأني ألقيت عليك محبة مني، ويده لا تنالك بالضّرّ وأنت تصنع عل عيني، ولم أحطك في قصر فرعون، بالرعاية والحماية وأدع أمك في بيتها للقلق والخوف؛ بل جمعتك بها وجمعتها بك[2] ومنه فالمرجعية داخلية سابقة لدليل (وألقيت عليك محبة مني) مما ساهم في ترابط الآية وتماسك أجزائها.

وحذف المصدر في قوله تعالى: ﴿**كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا**﴾ **طه: 33.**

كثيراً نعت لمصدر محذوف تقديره: نسبحك تسبيحاً كثيراً[3]، وحذف للعلم به وبسبب وضوحه وشدة جلائه، والحذف من أجل هذا الغرض يكسب الكلام قوة ويضفي عليه جلالاً وجمالاً، ومرجعيته داخلية سابقة دلَّ على ذلك فعل "نسبحك" فساهم الحذف في تماسك أجزاء الآية كما أعطاها مسحة جمالية.

ثانياً: حذف الجمل (التراكيب):

فحذف التراكيب في هذه سورة طه فهو بنسبة قليلة مقارنة مع حذف الأنواع الأخرى كحذف المفعول والفعل، التي كان الحذف فيها بإسهاب.

ومن حذف التركيب أو الجملة في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾ **طه: 7**، والمعنى: إن تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره، (فاعلم أنه غني عن جهرك)، فإما أن يكون نهياً عن الجهر، وإما تعليماً للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله، وإنما هو لغرض آخر، جواب الشرط

[1] مصطفى عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن، ص 137.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج16، ص2335.

[3] مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، ج2، ص463.

محذوف[1]، دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾، وقريباً من التقدير الأول: فلا تشق على نفسك فإنَّ الله يعلم السر وأخفى، فلا مزية للجهر، فالمرجعية داخلية لاحقة جعل الحذف يسهم في ترابط أجزاء الآية ترابطاً شكلياً ودلالياً.

ومن حذف جملة الشرط قوله تعالى: ﴿**يَفْقَهُواْ قَوْلِي**﴾ **طه:28**، والتقدير: (إن تحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)[2]، فحذفت جملة الشرط (إن تحلل عقدة من لساني) على صورة الطلب دلَّ ذلك على دعاء موسى عليه السلام ورغبته في تحقيق طلبه (واحلل عقدة من لساني)، ليعطي انطباعاً للمتلقي بحتمية وقوع الجواب، وقد ذكر الطاهر بن عاشور ذلك: "فعل "يفقهوا" مجزوم في جواب الأمر على الطريقة المتبعة في القرآن من جعل الشيء المطلوب بمنزلة الحاصل عقب الشرط"[3]، فالمرجعية داخلية سابقة ساعد على تحقيق التماسك بين هذه الآية، والآية التي قبلها، والآية التي بعدها.

حذف جملة الشرط كذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُواْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾ **طه:69**، عند إعراب هذه الآية يعربها محمود سليمان ياقوت: "تلقف: فعل مضارع مجزوم بالسكون، لأنه واقع في جواب الأمر وفاعله "هي"، والجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط مقدر غير مقترن بالفاء؛ أي: إن تُلْقِ ما في يمينكَ تَلَقَّفْ ما صنعواْ"[4]، فالله سبحانه يأمر موسى بإلقاء ما في يمينه (العصا) وإن فعل ذلك فسيجعل الله العصا تلقف ما صنع السحرة، فتتحقق المعجزة والنصر، إذ يقول الطاهر بن عاشور: عبَّر الله عن العصا ب "ما" الموصولة تذكيراً له بيوم التكليم، إذ قال له: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى**﴾ **طه:17**، ليحصل له الاطمئنان بأنها صائرة إلى الحالة التي صارت إليها يومئذٍ، ولذلك لم يقل له وألق عصاك[5]، فالمرجعية داخلية سابقة دلَّ على ذلك جملة "وألق ما في يمينك" كما أشارت إلى الآية السابقة رقم (17) كذلك

---

[1] ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص215.

[2] محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، ج6، ص2858.

[3] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص212.

[4] ينظر: محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، ج6، ص2882.

[5] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص260.

فساهم الحذف في تماسك أجزاء الآية (69)، ومن جهة بينها وبين الآية (17) حتى حقق وحدة نصية مترابطة شكلياً ودلالياً.

حذف جملة القسم في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى**﴾ **طه:37**، يشرح الألوسي هذه الآية بقوله: استئناف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين لنفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان أنه تعالى حيث أنعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء وطلب منه، فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع أولى وأحرى، وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك، وللمبالغة في وقوع المحلوف عليه والتقدير: وبالله لقد أنعمنا[1]، وحذفت جملة القسم للعلم به، وقد أفاد الحذف التعظيم، فالمرجعية داخلية لاحقة وعند تقدير المحذوف يتضح المعنى جليّاً متماسكاً على مستوى البنية السطحية والبنية العميقة للآية.

ثالثاً: حذف أكثر من جملة:

وكما أن حذف أكثر من جملة في القرآن كثير، ومنه في سورة "طه" في قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى**﴾ **طه:40**.

فقد ذكر مكي بن أبي طالب القيسي فيشرحه لهذه الآية: " وفي الكلام حذف، والتقدير: إذ تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك ثم يأتي من يطلب المراضع لك فتقول: هل أدلكم على من يكفله[2]، وقد وقع اختصار في حكاية قصة مشي أخته، وكذلك الحذف في (فرجعناك) الفاء عاطفة على محذوف؛ أي فأجيبت إلى طلبها، فجاءت أمه، فقبل موسى ثديها، و(رجعنا): فعل ماض[3]، ففي الآية حذف أكثر من جملة (عدة تراكيب)، دل على هذه المحذوفات السياق وهو شأن النص

[1] ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مج8، ج16، ص187.

[2] أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية، جامعة الشارقة، ط1، (1429هـ/2008م)، ص4636.

[3] ينظر: محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، ج6ن ص2864.

القصصي، فساهمت هذه المحذوفات في تحقيق تماسك النص القرآني من خلال ملء الفراغات (مواضع الحذف) وتقديرها، ومن ثم وضوح المعنى العام وما يترتب عليه من مقتضيات إيمانية.

ونجد أيضاً في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا**﴾ **طه: 91–92**، حذفاً أكثر من جملة يذكره أهل التفسير، **والتقدير**: " فلما رجع موسى ورآهم قد ضلوا وعبدوا العجل قال يا هارون ما منعك"[1]، فالمرجعية داخلية سابقة في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾، يتبين لنا دور الحذف في تحقيق الترابط النصي للآيتين الكريمتين من خلال إثارة ذهن المتلقي في تقدير المحذوف وملء فراغات النص القرآني، كما أن تعدد المحذوفات يعمل إلى حدٍّ بعيد في دعم شبكة ترابط النص وتماسكه، من عادة العرب "أن تجتزئ بحذف كثير من الكلام وبقليله إذا كان المعنى معروفا"[2].

فالحذف في القصص القرآني بجميع أنواعه (حذف: الاسم، والفعل، والجملة، وأكثر من جملة)، له أهمية بالغة على مستوى التأثير على المتلقي سواء (المرتِّلُ للقرآن أو السَّامعُ)، كلَّما مرَّ بموضع من مواضع الحذف تضاعفت يقظته إذا كان يقظاً، أو تنبه إذا كان غافلاً، أو تجدد نشاطه إذا كان قد فتر نشاطه.

[1] مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص148.

[2] الفراء، معاني القرآن، ج 2، ص 179.

المبحث الثاني: الاتساق في أسلوب التقديم والتأخير في سورة مريم

لتقديم الألفاظ والعبارات وتأخيرها، معان بلاغية مهمة، ولفتات جمالية بارزة، في باب التقديم والتأخير –كما يقول عبد القاهر الجرجاني–: "هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، ولا يزالُ يَفْتَرُّ لكَ عن بديعةٍ، وَيُفْضِي بك إلى لطيفةٍ، ولا تزالُ تَرى شعراً يَرُوقُكَ مَسْمَعُهُ، وَيَلْطُفُ لديكَ مَوْقِعُهُ، ثم تنظر فتجد سببَ أَن راقَكَ ولطُف عندك، أن قُدِّمَ فيه شيء، وَحُوِّلَ اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان".[1]

لقد شكَّل التقديم والتأخير في سورة مريم ظاهرة أسلوبية، جاءت بالعديد من المعاني البلاغية، والسِّمات الجمالية، وقد وقف البحث على أسرار التقديم والتأخير اللفظي: (تقديم المسند إليه، وتقديم المسند، وتقديم متعلقات الفعل)، ثم أسرار التقديم والتأخير المعنوي، وأثر ذلك في اتساق النص القرآني.

أ– التقديم والتأخير اللفظي:

1–تقديم المسند إليه:

في قوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ **مريم:58**، قُدِّمَ المسند إليه (أولئك) على المسند (الذين) حيث أفاد تقديم المسند إليه على تقوية المعنى، وعلى اختصاص المؤمنين بالإنعام دون غيرهم من الكافرين المكذِّبين، يقول الطاهر بن عاشور: واسم الإشارة عائد إلى المذكورين من قوله: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّاءَ**﴾ أي من أول السورة إلى هنا[2]، فكلمة (الذين) اسم موصول خبر، الدور الذي قامت به هذه الكلمة في هذا السياق أنها ربطت الخبر الوارد بعدها (أنعم الله عليم) بما هو مبتدأ

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106.

[2] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص132.

(أولئك)، فوجود اسم الموصول في موقع الخبر يجعلنا ندرك ذلك الترابط بين العناصر اللغوية المكونة للعبارة اللغوية، مما يعطي لها صفة الاتساق من أول السورة إلى آخرها.

ويفيد التقديم في الجملة المنفية ما يفيده في الجملة المثبتة من تقوية المعنى وتوكيد، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ **مريم:39**، فتقديم المسند إليه (هم) على المسند (يؤمنون) وعلى حرف النفي (لا)، يفيد التأكيد على نفي الإيمان عن الكافرين، ومعنى ﴿**وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ استمرار عدم إيمانهم إلى حلول قضاء الأمر يوم الحسرة، فاختيار صيغة المضارع فيه دون صيغة اسم الفاعل، لما يدل عليه المضارع من استمرار الفعل وقتاً فوقتا استحضاراً لذلك الاستمرار العجيب في طوله وتَمَكُّنِهِ[1]، فتقديم المسند إليه على المسند أسهم في تواشج الجمل وازدياد فاعليتها الدلالية وتناميها.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا**﴾ **مريم:60**، (فأولئك) الفاء استئنافية، (أولاء) اسم اشارة في محل رفع مبتدأ، والكاف للخطاب، (يدخلون) جملة في محل رفع خبر (أولاء)[2]، وتقديم المسند إليه (أولئك) على المسند (يدخلون) جاء لتقوية الوعد بدخول الجنة، وتأكيد هذه البشرى، كما ساهم لفظة (أولئك) في الربط بين الجملة التي قبلها وجملة (يدخلون الجنة) فتحقق الاتساق بين أجزاء الآية شكلياً ودلالياً.

وقد يكون المسند إليه من ألفاظ العموم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾ **مريم:95**، والمعنى: "كل واحد منهم آتِ إيَّاهُ تعالى منفرداً من الأتباع والأنصار، وفي صيغة الفاعل من الدلالة على إتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع، لو قيل يأتيه فإذا كان شأنُه تعالى وشأنُهم كما ذُكِر، فأنى يُتَوهَّمُ احتمالُ أن يتَّخِذ شيئاً منهم ولداً[3]، فتقديم المسند إليه (كلٌّ) وهو المبتدأ، على المسند (آتي) وهو الخبر للدلالة على مقصد الشُّمول لجميع الأفراد، وعلى تأكيد

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ج16، ص109.

[2] ينظر: محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، ج6، ص2822.

[3] ينظر: أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، تفسير أبي السُّعُود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د ط)، (1391هـ/1971م)، ج3، ص608.

مجيء جميع الناس فرادى يوم القيامة، دون استثناء أحد، فلا خلاف في ارتباط المبتدأ بالخبر من جهة المعنى، ومجيء المبتدأ بلفظ العموم (كلهم) إشارة إلى المشركين في الآيات السابقة، فربط المبتدأ الآيات السابقة بالخبر، مما جعل الآيات الأخيرة نصاً متماسكاً على مستوى البنية السطحية والبنية العميقة.

والأصل في المسند إليه التقديم، لأنه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير؛ إذ هو المحكوم به، وما "عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتي تالية لهما في الرتبة، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات ما يدعو إلى تقديمها"[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**﴾ **مريم:9**، فالمسند إليه (هو) وهو المبتدأ، حيث قدم الجار والمجرور (عليَّ) على المسند (هيِّنٌ) وهو الخبر، وسياق الكلام يتعلق بقدرة الله، فدل التقديم على الاختصاص، "فكأنه قيل الأمر كما وُعِدْتَ وقد بلغت من الكبر عتياً وامرأتك عاقر ومع ذلك هو يهون عليَّ وإن صَعُب في نظرك بناءً على العادة"[2]، أي من اختصاص قدرة الله تعالى، فدوماً يتحقق الترابط بين المبتدأ والخبر من جهة المعنى، ومجيء المسند إليه ضمير منفصل وهو المبتدأ يربط بين الآية السابقة رقم (8) والتي تليها، مما يجعل الآيتين متماسكتين شكلاً ودلالةً.

ويأتي تقديم المتعلقات على بعض، للأهمية كما في قوله تعالى: ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا**﴾ **مريم:76**، فقدم الظرف (عند ربك) على (ثواباً)، تنبيها على أهمية هذه الباقيات الصالحات، عند الله المتمثلة في الأعمال الصالحة للتوجه بها إلى الله بإخلاص وصدق، ولو تأخر الظرف (عند ربك) ما أفاد هذا المعنى، فتقديم المسند إليه على المسند وتقديم الظرف يقوي الربط بين أجزاء الآية وتحقيق التأثير المطلوب في المتلقي من خلال الربط المعنوي.

---

[1] ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص123.

[2] عصام الدّين الحنفي، حاشية القُونويّ على تفسير البيضاويّ، ج12، ص200.

ب- تقديم المسند:

يقدم المسند إذا وُجد باعث على تقديمه كإظهار الاهتمام به، وتخصيصه، في قوله تعالى: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ **مريم:64**، حيث قدم المسند (له) وهو خبر مقدم، على المسند إليه (ما) وهو مبتدأ مؤخر، لتخصيص الملكية والتصرف لله وحده، لا لغيره، ولهذا يذكر الطاهر بن عاشور معنى الآية: "واللام في "له" للملك، وهو ملك التصرف، والمراد بـ"ما بين أيدينا": ما هو أمامنا، وبـ "ما خلفنا": ما هو وراءنا، وبـ "ما بين ذلك": ما كان عن أيمانهم وعن شمائلهم...والمقصود استيعاب الجهات...وجملة "وما كان ربك نسياً" تذييلاً لما قبله[1]، وعليه فالترابط بين المسند والمسند إليه معنوياً، وتأخر المبتدأ (ما) الموصولة ربطت ما بعدها بالخبر المقدم، مما حقق التماسك على مستوى الآية.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ **مريم:62**، قدِّمَ المسند (لهم) وهو الخبر على المسند إليه (رزقهم) وهو المبتدأ، والمعنى: "وجيء بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات ذلك ودوامه، فيفيد التكرر المستمر وهو أخص من التكرر المفاد بالفعل المضارع وأكثر، وتقديم الظرف للاهتمام بشأنهم، وإضافة رزق إلى ضميرهم لزيادة الاختصاص[2]، أي تخصيص المؤمنين دون غيرهم من الكافرين برزق الآخرة، مما تحقق الترابط الشكلي والدلالي بالضرورة بين العنصرين المتقدم والمتأخر، والمبتدأ المتأخر(رزقهم) يشير إلى عباد الرحمان لاتصاله بضمير الجمع الغائب، أحدث الترابط الشكلي والدلالي بين الآيتين هذه والتي قبلها.

وفي قوله تعالى على لسان والد إبراهيم: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾ **مريم:46**، قُدِّمَ المسند (راغبٌ) خبر المبتدأ، على المسند إليه (أنت) وهو مبتدأ مؤخر؛ "لأنه كان عنده أهم، وهو به شديد العناية، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عليه السلام عن آلهته، وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها، وهذا بخلاف ما لو قال: أأنت

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص140-141.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ج16، ص138.

راغب عن آلهتي"[1]، ولذلك فلو " قال: أأنت راغب عنها؟ ما أفادت زيادة الإنكار على إبراهيم"[2]، مما ساهم أسلوب التقديم والتأخير في التماسك الشكلي والدلالي، والنداء في قوله "يا إبراهيم" تكملة لجملة الإنكار والتعجب، زاد تقوية الربط على مستوى الآية.

وقُدِّمَ المسند (لي) خبر كان على المسند إليه (غلامٌ)، في الآيتين: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**﴾ مريم:8، ﴿**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً**﴾ **مريم:20**، استفهام مراد منه التعجب، فبالنسبة لقصة زكريا -عليه السلام- وجه العجب فيها ولادة العاقر من بعلها الشيخ، وبالنسبة لقصة مريم -عليها السلام- وجه العجب فيها هو ولادة العذراء من غير بعل ! وهي أعجب وأغرب، فقدم المسند على المسند إليه للدلالة على أن الاستغراب والتعجب إنما وقعا على نسبة الولد إليهما، وليس على الولد نفسه، للتعليل الذي ذكر في الآيتين (عاقر، الكبر، الانجاب من غير بعل)، فساهم تقديم المسند على المسند إليه في الربط بين مكونات العناصر اللغوية على مستوى الآيتين من حيث الشكل والدلالة، مناسباً للغرض الذي وضع له.

وقد يتقدم الجار والمجرور، أو الظرف، أو المنادى على المسند خبر (كان)، للدلالة على الاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾ **مريم:4**، (بدعائك) جار ومجرور، (ربِّ) منادى بحرف النداء المحذوف منصوب بالفتحة المقدرة لاشتغال المحل وهو مضاف، والياء المحذوفة للتخفيف مضاف إليه، (شقيّاً) خبر "أكن" منصوب بالفتحة، والمعنى: لم أكن فيما دعوتك من قبل مردود الدعوة منك، أي أنه قد عهد من الله الاستجابة كلما دعاه، وكذلك أطْلق نفي الشقاوة والمراد حصول ضدِّها، وهو السعادة على طريق الكناية؛ إذ لا واسطة بينهما عرفاً، ومثل هذا التركيب جرى مجرى المثل في حصول السعادة

[1] ضياء الدين بن الأثير الجزري، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح: مصطفى جواد، وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د ط)، (1375هـ/1956م)، ص110.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص346.

من شيء، ونظيره قوله تعالى: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾ **مريم:48**، أي عسى أن أكون سعيداً، أي مستجاب الدعوة[1]، وتقديم الجار والمجرور والمنادى على المسند (خبر كان)، للدلالة على تخصيص المسند إليه بالمسند، مع ربط المبتدأ بالخبر دلالياً مما يجعل الآية مترابطة الأجزاء شكلاً ودلالةً، كذلك نفس التحليل مع الآية(48).

وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا**﴾ **مريم:71**، (كان) فعل ماض ناقص، واسمه "هو" مستتر يعود على الورود المفهوم من السياق، (على ربك) جار ومجرور، (حتماً) خبر كان منصوب بالفتحة، والمعنى: وما من الناس أحد إلا سوف يرد إلى النار، والورود هو المرور إلى الصراط، وكان الورود أمراً محتوماً قد قضى سبحانه أنه لابد من وقوعه لا محالة[2]، حيث أفاد تقديم الجار والمجرور (على ربك) على المسند (حتماً)، في تأكيد حصول وعيد الله، ثم ذكر خبر (كان) ووصفه باسم المفعول (مقضياً) إشارة إلى أن الأمر قد كتبه الله على نفسه، ولا بد من تحققه، مما ولَّد أثراً واضحاً في تحقيق الاتساق على مستوى الآية

ومنه قول إبراهيم – عليه السلام –: ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**﴾ **مريم:44**، (كان) فعل ماض ناقص اسمه "هو" مستتر، (للرحمان) جار ومجرور، (عصيّاً) خبر كان، فقُدِّمَ الجار والمجرور (للرحمن) على المسند (عِصِيّاً) لتخصيص عصيان الشيطان للرحمان، والمعنى: " أن الشيطان شديد العصيان للرب الواسع الرحمة، وذكر وصف "عصيّاً" الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان، مع زيادة فعل (كان) للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربه، فلا جرم أنه لا يأمر إلا بما ينافي الرحمة، ولذلك اختير وصف الرحمان على صفات الله تنبيها على أن عبادة الأصنام، تفضي إلى الحرمان من رحمة الله، وإظهار اسم الشيطان في مقام الاضمار؛ لإيضاح إسناد الخبر إلى المسند إليه، ولزيادة التنفير من الشيطان"[3].

---

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص85-86.

[2] ينظر: محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، ج6، ص2830.

[3] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص117.

فتقديم الجار والمجرور على المسند حقق غرضاً بلاغياً، مع مراعاة السياق، مما ولّد أثراً واضحاً في تحقيق التماسك الشكلي والدلالي داخل الآية.

ج_ تقديم متعلّقات الفعل:

وقد يقع التقديم والتأخير في متعلّقات الفعل، والجار والمجرور، والحال، والمصدر، والتمييز، والمفعول، وغير ذلك؛ حيث يتم ترتيب الكلام ليكون متسقاً مع المعنى المطلوب.

فيتقدم المفعول به على فاعله، في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا**﴾ **مريم:49**، حيث قدم المفعول به الأول(كُلاً) وهو من ألفاظ العموم، على جملة(جعلنا)، والمفعول به الثاني (نبيّاً)، للتخصيص، والمعنى: "أي كل واحد منهما، وانتصاب (كلاً) على أنه المفعول الأول لجعلنا قدِّمَ عليه للتخصيص، لكن بالنسبة إليهم أنفسهم لا بالنسبة إلى من عداهم أي: كل واحد منهم جعلنا نبياً، لا بعضهم دون بعض"[1]، فتقديم المفعول على الفعل والفاعل، للدلالة على تخصيص كل واحد منهم بالنبوة، هذا ما دلَّ عليه السياق، مما ترك أثراً بيّناً في تحقيق الاتساق على مستوي البنية السطحية والعميقة للآية.

وقدم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى: ﴿**أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا**﴾ **مريم:78**، فقُدِّمَ (عند الرحمن) مفعول به ثان، على (عهداً) مفعول به أول، وقدم للدلالة على الاختصاص؛ وفي الآية "استفهام استنكاري تعجيبي، بمعنى أأشرف على عالم الغيب فرأى مالاً وولداً معدَّيْنِ له حين يأتي يوم القيامة، ...أم عهد اللهُ إليه بأنه معطيه ذلك فأيقن بحصوله، لأنه لا سبيل إلى معرفة ما أعدَّ له يوم القيامة إلا أحد هذين، إما مكاشفة ذلك ومشاهدته، وإما إخبار الله بأنه يعطيه إيَّاه"[2]، وتقديم المفعول الثاني على الأول للتخصيص أي: هل اختصَّ هذا الكافرُ بعهدٍ من

[1] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، (1428هـ/2007م)، ج16، ص891.

[2] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص160.

الرحمن؟ فساهم هذا التقديم في التماسك الشكلي والدلالي للآية، وذلك من خلال إظهار المعنى الدلالي.

وتقديم الجار والمجرور على الفعل، لإفادة معنى القصر في قوله تعالى: ﴿**وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾ **مريم:40**، فالتقديم هنا "مفيد القصر، أي لا يرجعون إلى غيرنا. ففيه مزيد تخويف وتهديد لهم بأنهم راجعون إليه وسيحاسبهم على كل أفعالهم، ومحمل هذا التقديم بالنسبة إلى المسلمين الاهتمام، ومحمله بالنسبة إلى المشركين القصر"[1]، فتقديم الجار والمجرور على الفعل حقق الغرض البلاغي وهو القصر، مع مراعاة السياق مما ولَّدَ أثراً واضحاً في تحقيق الاتساق داخل الآية بل على مستوى قصة عيسى عليه السلام في سورة مريم لأن الآية تذييل لختم القصة على عادة القرآن.

وقدم الجار والمجرور (من بعدهم) على الفاعل (خلف)، في قوله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ **مريم:59**، والمعنى: "فالخَلْفُ بسكون –اللاَّم– عَقِبُ السُّوء، وبفتح –اللاَّم– عَقِبُ الخير، وهنا يشمل من خلفهم من ذرياتهم من العرب واليهود وغيرهم، ولأن الخلف لا يكون إلا من بعد أصله وإنما ذكر لاستحضار ذهاب الصالحين"[2]، فتقديم الجار والمجرور على الفاعل جاء للفت الأذهان إلى التفريط الذي حصل من الذرية التي خالفت سيرة آبائهم الصالحين، لأنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، فكان مصيرهم الغي والهلاك، كما ساهم التقديم في تماسك أجزاء الآية، من خلال أثره في بيان دلالة المقصود وتوضيح المعنى.

وتقديم الجار والمجرور على الصلة من ذلك، قول إبراهيم – عليه السلام – لأبيه: ﴿**جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**﴾ **مريم:43**، والمعنى: "أنَّ إبراهيم لم يُسمِّ أباه بالجهل المفرط ولا نفسه الشريفة بالعلم الفائق، حيث قال "من العلم" بمن التبعيضية تواضعاً وعملاً بقوله تعالى: ﴿**وَ مَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ **الإسراء:85**"[3]، فقُدِّمَ الجار والمجرور (مِنَ الْعِلْمِ) على جملة الصلة (مَا لَمْ يَأْتِكَ) تأدبا في

[1] ينظر: المصدر السابق، ج16، ص 111.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص135.

[3] ينظر: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية القُونَويّ على تفسير الإمام البيضاوي، ج12، ص238.

الخطاب مع والده، ولإظهار أنه لا يتعالى عليه بالعلم؛ لكن لو قال: (جاءني ما لم يأتك من العلم) لكان فيه نوع من إظهار التعالي على والده، هكذا يكون التقديم حقق غرضاً بلاغياً يهدف إلى المعنى المراد، مما ترك أثراً بيّناً في تحقيق التماسك والترابط الشكلي والدلالي للآية.

وتقديم الجار والمجرور على المفعول به في قوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ**... ﴾ **مريم:16–41–51–54–56**، وقد تكررت هذه العبارة خمس مرات في السورة، وقُدِّمَ الجار والمجرور (في الكتاب)، على المفعولات (المفاعيل): (مريمَ، إبراهيمَ، موسَى، إسماعيلَ، إدريسَ)، للدلالة على التخصيص، أي أن القرآن الكريم هو الذي يختص وحده بالقصص الحق عن هؤلاء الأنبياء الكرام، والمعنى: " وفي افتتاح القصة بهذا زيادة اهتمام بها وتشويق للسامع أن يتعرفها ويتدبرها، وقد اختصت هذه السورة بزيادة كلمة "في الكتاب" بعد كلمة "واذكر"، وفائدة ذلك التنبيه إلى أن ذكر من أمر بذكرهم كائن بآيات القرآن وليس مجرَّدَ ذكرِ فضلهِ في كلام آخر"[1]، فيكون التقديم قد أحدث فائدة بلاغية وهي دلالة اختصاص القرآن بهذا القصص الحق دون غيره، بما في ذلك من تشويق للسامع والمتلقي، ومن ثم التأثير البالغ في نفس المتلقي وهذا ما يدل على ترابط أجزاء الآية شكلاً ودلالة.

ومن تقديم الجار والمجرور على المفعول به، قوله تعالى: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا**﴾ **مريم:26**، ففي تقديم الجار والمجرور (للرحمن) على المفعول به (صوماً) دلالة على تخصيص هذا الصوم لله، وأنه خالص لله، وفيه إيحاء بتعظيم هذا الصوم، لكونه خالصا للرحمن، وبأمر منه، "والذي عليه جمهور المفسرين أن الصوم هنا الصمتُ"[2]، فتقديم الجار والمجرور على المفعول أضاف غرضاً بلاغيا وهو اختصاص الصوم لله لا لغيره، ولو قُدِّمَ المفعول على الجار والمجرور ما أفاد ذلك المعنى، فأسهم التقديم في التماسك الدلالي للآية وفق المعنى المراد.

ويتقدم الجار والمجرور على المفعول في قوله تعالى: ﴿**لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾ **مريم:42**، ففي هذه الآية: "بدأ إبراهيم عليه السلام – حواره مع والده بأسلوب الاستفهام

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص79.

[2] الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج16، ص887.

الذي يحمل معنى التعجب والإنكار، وهذا أسلوب لطيف، يحمل المحاورَ المخالِفَ على التفكير، وإعادة النظر في الأمر، للوصول إلى الحق بنفسه، حتى لا يشعر بأنه أُفحِمَ وبُهِتَ، فتأخذه العزَّة بالإثم، ويمتنع عن قبول الحق انتصاراً للنفس، ولو بالباطل"[1]، أي: ما الذي يرغمك على عبادة أحجار لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنك شيئا؟ حيث أفاد تقديم الجار والمجرور (عنك) على المفعول به (شيئاً) في تقوية المعنى وتأكيده، ومدى حرص واهتمام سيدنا إبراهيم عليه السلام بوالده لاجتناب عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وجملة "لا يغني عنك شيئاً" تأكيد وتقرير للنتيجة المترتبة على نفي السمع والبصر، ويلّق الزمخشري بقوله: "انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظَه فيما كان متورطاً من الخطأ العظيم، ...كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساقٍ، وساقه أرشق مساقٍ، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن"[2]، وهو ما جعل التقديم يسهم في ترابط الجمل وازدياد فاعليتها الدلالية في الآية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا**﴾ **مريم:5**، حيث قُدِّمَ الجار والمجرور (لي) على المفعول به (ولياً)، ويتعلق (لي) و(من لدنك) بفعل (هب)، "وإنما قُدِّمَ (لي) على (من لدنك) لأنه الأهمُّ في غرض الدَّاعي، وهو غرض خاص يُقدَّم على الغرض العام، وتأخير (ولياً) على الجارَّيْنِ؛ لإظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع، مع ما فيه من التشويق إلى المؤَخَّرِ؛ فإن ما حقُّه التقديمُ إذا أُخِّرَ تبقى النفس مُسْتَشْرِفَةً، فعند وُرودِهِ لها يَتَمَكَّنُ عندها فضلَ تمكنٍ، ولأنَّ فيه نوعَ طولٍ بما بعده من الوصفِ فتأخيرُهما عن الكُلِّ، أو توسيطهما بين الموصوفِ والصِّفة ممَّا لا يليقُ بجزالة النَّظمِ الكريمِ"[3]، ومعنى (من لدنك) أنه من عند الله عِنْديَّةٌ خاصَّةٌ وليست هبة عادية، وعليه فالتقديم أعطى مسحة جمالية في الآية، ولو أُخِّرَ الجار والمجرور ما أفاد ذلك المعنى، مما دلَّ على تقوية الربط الشكلي والدلالي وفق المعنى المقصود.

---

[1] ينظر: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مج4، ص449.

[2] ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج16، ص637.

[3] ينظر: أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص567.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا**﴾ **مريم:81**، قُدِّمَ الجار والمجرور (من دون الله) على المفعول به (آلهةً)؛ لأن الإنكار متوجه إلى الاتخاذ من دون الله آلهة، وهو الشرك، وهو ما أشار إليه الطاهر بن عاشور:" فضمير اتخذوا عائد إلى الذين أشركواْ، والاتخاذ هو الاعتقاد والعبادة، وفي قوله (من دون الله) إيماء إلى أن الحق يقتضي أن يتخذوا الله إلهاً، إذ بذلك تقرر الاعتقاد من مبدأ الخليقة"[1]، ففي الآية وصف لضلال أهل الشرك وسفالة تفكيرهم، والخبر للتعجب من اتخاذ المشركين آلهة من دون الإله، ومنه تقديم الجار والمجرور على المفعول به ساهم في بيان دلالة المقصود من خلال الترابط الشكلي والدلالي بين العنصر المتقدم والمتأخر.

كما تقدم المنادى (ربِّ)، على المفعول الثاني (رضيّاً)، في قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ **مريم:6**، والمعنى: "مرضياً عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي اجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه"[2]، فقد ساهم تقديم المنادى على المفعول به الثاني في الترابط الدلالي.

ولهذا نجد القرآن في هذه السورة يقدم ما هو أهم، ومحور الاهتمام.

فها هو زكريا –عليه السلام– يقدم الضمائر العائدة عليه، لأن في تقديمها اعتناء بشأنه، وإظهارا لفقره إلى الله سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ**﴾ **مريم:8**، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً**﴾ **مريم:10**، حيث قُدِّمَ الجار والمجرور (لي) المتضمن الضمير العائد عليه في كلا الآيتين على الفاعل في الآية الأولى، وعلى المفعول به في الآية الثانية من الاعتناء بما قُدِّمَ والتشويق إلى ما أُخِّرَ، وعليه يكون التقديم ساهم في توضيح دلالة المعنى من خلال الترابط الدلالي والشكلي بين المتقدم والمتأخر.

وكذلك نفس الشأن مع قصة مريم –عليها السلام– في قوله تعالى: ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾ **مريم:24**، وقوله تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا**﴾ **مريم:17**، وقوله تعالى: ﴿**لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا**﴾ **مريم:19**، وقوله تعالى: ﴿**تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ **مريم:25**، حيث

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص163.

[2] أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص568.

قُدِّمَ الجار والمجرور (تحتكِ، إليها، لكِ، عليكِ) على المفعول به في الآيات السابقة على التوالي، للعناية بمريم –عليها السلام – وتركيز الأنظار على حالها، مما يسهم في التماسك الشكلي والدلالي.

ولما كان الحديث عن عيسى –عليه السلام – قدمت الضمائر العائدة عليه لإظهار الاهتمام به، وبقصته، كما في الآيتين: ﴿**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا**﴾ **مريم:27**، ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا**﴾ **مريم:22**، حيث ساهم تقديم الجار والمجرور (به) على المفعول به في الآيتين، للتركيز في الحديث عن عيسى – عليه السلام –، لكونه معجزة دالة على قدرة الله، فيكون هذا التقديم ساهم في بيان المعنى المقصود من خلال الترابط الشكلي والدلالي.

ولما كان الحديث عن جهنم قُدِّمَت الضمائر العائدة عليها في سياق الآيات، لمزيدٍ من الاهتمام، ولترهيب نفوس السامعين، كما في قوله تعالى: ﴿**أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا**﴾ **مريم:70**، ولم يقل: (أولى صُلِيّاً بها)، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ **مريم:72**، ولم يقل: (جِثِيًّا فيها)، فكل تقديم أو تأخير في القرآن إلا وله دلالات مقصودة وفق المعنى العام، مما يعطي تماسكاً شكلياً ودلالياً للنَّظْمِ القرآني.

ب- التقديم والتأخير المعنوي:

وهو التقديم الذي يكون فيه ترتيب الألفاظ تابعاً للمعاني، وقد عَرَّفَهُ الزركشي بقوله: " أن يُقَدَّمَ والمعنى عليه، أو يُقَدَّمَ وهو في المعنى مؤخرٌ، أو بالعكس"[1]، ومن أقسامه: أن يتقدم السبب على النتيجة، والمفرد على الجمع، والأسبق في الوجود على من بعده، والأشرف على الأقل منه شرفاً، إلخ...

ومن تقديم العلة على النتيجة في قوله تعالى: (**وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**) **مريم:36**، حيث قُدِّمَ ذكر الربوبية؛ لأنها سبب التوجه إلى الله بالعبادة ونتيجة الإقرار لله بالربوبية، هي إفراده بالعبادة.

وجاء تقديم السبق بالزمان والإيجاد في قوله تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ **مريم:58**، فقد جاء ترتيب الأنبياء حسب السبق في زمان إيجادهم: آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم إسرائيل – عليهم السلام–، وهذا التقديم جاء وفق معنى دلالة المقصود مما أسهم في الترابط الشكلي والدلالي.

ومن جماليات التقديم المعنوي في سورة مريم، مراعاة المقام كتقديم إظهار الضعف التام في الحاجة كما هو دعاء زكرياء – عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ **مريم:4–6**، فقد قَدَّمَ زكرياء عليه السلام "على السؤال أمورا ثلاثة: (أحدها): كونه ضعيفا، (والثاني): أن الله – تعالى– مارد دعاءه البتة، (والثالث): كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين، ثم بعد تقرير هذه الأمور الثلاثة

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص308

صرح بالسؤال"[1]، فيسهم التقديم المعنوي في بيان دلالة المقصود من خلال الترابط الدلالي لهذه الآيات.

وقد يكون التقديم بسبب الأهمية، ولفت الأنظار إلى قيمة المقدّم وأثره في جميع السورة، كما في قوله تعالى: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾ **مريم:2**، يشير الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية فيقول: "وأصل الكلام: ذِكرُ عَبدِناَ زَكَرِيَّاءَ إِذْ نادى رَبَّهُ فقال: رَبِّ إِلَخ... فرحمةُ ربك، فكان في تقديم الخبر بأن اللهَ رَحِمَهُ، اهتِمَامٌ بهذه المَنْقَبَةِ لَهُ، وَالإِنبَاءُ بأَنَّ الله يرحمُ منِ التجأَ إليه، مع ما في إضافةِ ربِّ إلى ضمير النبي وإلى ضمير زَكَرِيَّاء من التنويه بهما"[2]، فالتقديم ما هو أهم من ناحية المعنى في هذه الآية، له أثره في الربط الدلالي من أجل توضيح دلالة المعنى.

وهذا ما يلمح إليه سيد قطب في تفسيره: " فإن في تقديم ذكر الرحمة إشارة إلى جو السورة، فالرحمة "قوامها، والرحمة تظللها. ومن ثم يتقدمها ذكر الرحمة"[3].

وقدم الله نداءه ليحيى عليه السلام – قبل أن يتحدث عنه بكلمة في قوله تعالى: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ **مريم:12**، وذلك "لأن مشهد النداء مشهد رائع عظيم، يدل على مكانة يحيي، وعلى استجابة الله لزكريا، في أن يجعل له من ذريته وليا، يحسن الخلافة بعده في العقيدة والعشيرة"[4]، وهو أول موقف ليحيى لانتدابه ليحمل الأمانة الكبرى، فتقديم النداء لمكانة يحيى عند الله مما يزيد في بيان المقصود من خلال الترابط الشكلي والدلالي.

وقدم عيسى عليه السلام – ذكر عبوديته لله، في قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ **مريم:30**، لتقوية المعنى، أي: " أنا عبد لله خلقني بقدرته من دون أب، قدّم ذكر

[1] الرازي، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، التفسير الكبير ومفتاح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، (1401هـ/1981م)، ج21، ص182.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص 82/81.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج16، ص2301.

[4] نفس المصدر، مج4، ج16، ص2304.

العبودية، ليبطل قول من ادّعى فيه الربوبية، ولأنَّ الله علم بأنَّ قوماً سيقولون: إنَّه ابن الله"[1]، فساهم هذا التقديم المعنوي في تقوية التماسك الدلالي.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ **مريم:36**، فقدَّم عيسى عليه السلام (ربي) على (وربّكم)، ليؤكد على ربوبية الله له، ولينفي عن نفسه ما ادّعاه المشركون من أنه إله، فالله ربُّه كما هو ربُّهم، فالربوبية هي محل إنكار من قبل المشركين بالنسبة لعيسى – عليه السلام –، هذا من جهة ومن جهة أخرى في الآية تقديم الربوبية على العبودية، "في قوله تعالى:" **فَاعْبُدُوهُ** " على أنه مقدَّم من تأخيرٍ للاهتمام بالعلّة لكونها مقررة للمعلول ومثبتة له، وتقدير النظم: فاعبدوا الله لأنَّه ربّي وربّكم"[2]، أسهم التقديم المعنوي في التماسك الشكلي والدلالي وذلك من خلال دلالته على المعنى المقصود.

ومن دواعي التقديم المعنوي تقديم لعظمه والاهتمام به، فقدَّم الصلاة على الزكاة، لأنها أهمّ، كما في الآيات: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾ **مريم:31**، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾ **مريم:55**، فالتقديم المعنوي له أثره في اتساق الآيات القرآنية بتقديم الأهمّ.

وكذلك قُدِّمت إضاعة الصلاة على إتباع الشهوات للإشارة إلى أهمية الصلاة وخطورة تضييعها، في الآية: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ **مريم:59**، فالآية قرنت بين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات، وقدمت إضاعة الصلاة– لأنها الأهمّ– على اتباع الشهوات، وذلك أن من يضيّع صلاته فسينقاد إلى الشهوات وينساق وراءها؛ لأن الصَّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ومن يتبع الشهوات فستقوده إلى إضاعة الصَّلاة، فالتقديم المعنوي ساهم في ترابط المعنى الدلالي، لأن من ضيَّع الصَّلاة كانت النتيجة اتّباع الشّهوات.

---

[1] ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، (1402هـ/1981م)، ج2، ص215.

[2] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص104.

ومن أحوال التقديم المعنوي " تقديم المسلمين على الكافرين في كل موضع، والطائع على العاصي، وأصحاب اليمين عن أصحاب الشمال"[1]، وذلك لشرف الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا**﴾ **مريم:85–86**، حيث تمَّ تقديم المتَّقِينَ على المجرمين، فكان التقديم المعنوي مناسباً لنظم القرآن حيث جاء النَّص القرآني متسقاً متماسكاً دلالياً مترابطاً شكلياً.

ومن أنواعه: تقديم شرف الفضيلة كتقديم السماوات على الأرض، والأرض على الجبال، مثل قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ **مريم:90**، ساهم التقديم المعنوي في اتساق نص الآية وفق المعنى الدلالي المقصود.

ومن جماليات التقديم المعنوي: تقديم التخلية على التحلية، كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾ **مريم:48**، فقدَّمَ اعتزال المشركين، والشرك، على دعاء الرّب والمراد به عبادة الله وحده، فقدَّم التخلية وهي اعتزال المشركين والابتعاد عن الشرك على التحلية وهي الدعاء المراد به هنا عبادة الله لأنها تستلزم دعاء المعبود، فكان لهذا التقديم المعنوي تبريره الدلالي مما أعطى نسيجا وتماسكاً دلالياً وشكلياً.

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص323.

المبحث الثالث: الاتساق في صيغ التكرير في سورة الكهف

ندرس في هذا المبحث عن الظواهر الأسلوبية المتكررة، ومقدار هذا التكرار ربما يحتاج فيه الباحث في الغالب إلى أنماط رياضية وإحصائية معينة، فتصبح لغة الأرقام أمراً معتاداً في الدراسات الأسلوبية المعاصرة.

ومنه فعملية الرصد للتكرارات الأسلوبية المعتمدة على النص اللغوي هي البداية وليست النهاية، فمنها ينطلق الباحث في عملية تفكيك النص إلى جزئياته في أبسط صورها وإعادة الربط إلى التشكل النهائي، فتسهم البيانات التكرارية سواء الأفقية السطحية أو العمودية المرتبطة بالمعنى في عمليتي التفكيك وإعادة البناء، وذلك لقدرتها على الربط اللفظي والأسلوبي وعلاقة كل ذلك بالمضمون، وأثر ذلك في الاتساق وتماسك النص القرآني.

وللتكرار أسبابه وغاياته، فقد يكون من باب التوكيد اللفظي في كثير من الأحيان؛ إلا أنه في القرآن الكريم "قد يجيء على صورة غير مألوفة فيبدو واضحا أن لهذا التكرار مقصدا آخر غير التوكيد"[1]. فقد يكون مبرزا للبعد النفسي معينا على الكشف في خباياه وأسراره.

تتميز سورة الكهف ببعض أنماط التكرار، مما يجعلها تمنح النص القرآني خصوصية، وتسهم في تماسكه شكلياً ودلالياً، كونها سورة مكية عنيت بتصحيح العقيدة، فهي من السور التي يغلب عليها الطابع القصصي: ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة ءادم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، وما بقي من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها بين كل قصة وأخرى.

[1] محمود السيّد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، (1400هـ/1981م)، ص113.

مظاهر التكرار اللفظي:

من التكرار اللفظي تكرار الفواصل فقد تكررت فاصلة (أَحداً) ثماني (08) مرات في الآيات الآتية: 19-22-26-38-42-47-49-47، وعند تتبع معناها نجدها بمعنى واحد ولا تخرج عن سياقين اثنين:

الأول: (فلم نغادر منهم أحداً) / (ولا يظلم ربك أحداً)

الثاني: (ولا يشرك في حكمه أحداً) / (ولا يشرك بعبادته أحداً)

ولهذا فاصلة (أحداً) غنية بوفرة روي الدّال في فواصل سورة الكهف، ومن تكرارها بالذات، مما يجعلها متّسقة مع الموضوع العام للسورة، وهو تثبيت العقيدة والإيمان.

بل آخر فاصلة في سورة الكهف هي قوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداَ**﴾ **الكهف:110**، لتتناسب وبداية السورة، إثباتاً للوحي وتنزيهاً لله عزّ وجلّ، "فيكون هذا الإيقاع الشامل العميق، الذي ترتكز عليه الأنغام في لحن العقيدة"[1].

وتكررت فاصلة (هُزُواً) في سورة الكهف في موضعين:

قال تعالى: ﴿وَمَا **نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الذِينَ كَفَرُواْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُواْ ءَايَاتِي وَمَا أُنذِرُواْ هُزُواً**﴾**الكهف:56.**

قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ جَزَؤُهُم جَهَنَّمُ وَاتَّخَذُواْ ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً**﴾ **الكهف:106.**

فتكرار هذه الفاصلة (هزواً) مقصود وفني، وليس من باب التناغم الموسيقي فحسب؛ بل تكررت للتعقيب بذكر العقاب الناتج عن الجدال بالباطل، واتخاذ الآيات والرسل هزؤاً وسخرية، كما أضافت إلى سورة الكهف عمقاً آخر في سياقها اللغوي، مع المحافظة على موضوع السورة العام، فجاء السياق في شكل رائع ومتناغم وهو سر بلاغة القرآن الكريم.

تكرر لفظ الجلالة "**الله**" "**والرَّب**" في خمسة وخمسين (55) موضعاً، عبر الآيات المختلفة في هذه السورة يحقق التماسك الشكلي والدلالي بين الآيات والمواضيع المختلفة للسورة.

[1] ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج16، ص2297.

بداية من الآية الأولى **قوله تعالى:** ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا**﴾ **الكهف: 01**

وهي هنا جملة خبرية، أخبر الله نبيئه والمسلمين بأن مستحق الحمد هو الله تعالى لا غيره.[1]

فتكرار لفظ الجلالة أدَّى إلى جذب أجزاء هذه السورة إلى مركز هذه القضية (قضية العقيدة) من الآية الأولى وحتى الآية الأخيرة في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾ **الكهف: 110**، وفي هذا رد للعجز على الصدر وهو نمط من الأنماط التماسكية، فهو نمط للتكرار، وهو ما أشار إليه سيد قطب في تفسيره: "وهكذا يتساوق البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث"[2]

وقد انتشر هذا في ثنايا السورة وأحيانا في الآية الواحدة يتكرر فيها أكثر من مرة وهذا لا يحقق الاتساق على مستوى الآية فقط بل يتعداه ليحقق الترابط بين الآيات المنتشرة فيها لفظ الجلالة ويتأكد هذا الاتساق عندما نتأكد أن معظم هذه الآيات التي توضح إسناد أمور كثيرة إلى الله تعالى، وعلاقة الإسناد لها الدور البارز في تحقيق التماسك بين الأجزاء، ومن هذه الآيات ما يلي: **قوله تعالى:** ﴿**ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ**﴾ **الكهف: 17**، أسندت إلى الله الهداية، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**﴾ **الكهف: 16**، أُسندت العبادة لله، وقوله تعالى: ﴿**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ **الآية: 24**، أُسندت المشيئة إلى الله، وفي قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**﴾ **الكهف: 26**، أُسند إليه العلم هذا بلفظ الجلالة "الله".

وكذلك بلفظ الجلالة "**الرَّبّ** " والتي منها:

قوله تعالى: ﴿**يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ **الكهف:16**، فأسندت إليه جلَّ جلاله الرَّحمة.

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص 246.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2257.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾ **الكهف: 24** فأسندت إلى الرَّب الهداية، أمَّا قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ**﴾ **الكهف: 27**، فهو الذي أوحى إلى رسوله، لكن في قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاوةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ **الكهف: 28**، فأسندت إليه العبادة لأنه مستحق للعبادة، والدعاء هو العبادة.

فعلاقة الإسناد واضحة، ووظيفتها في تحقيق التماسك النصي مؤكدة، وكذلك هذا التكرار للفظ الجلالة يحقق هذا التماسك، كما أننا نجد تكرار الضمائر التي تحيل إلى الله تعالى، وهي تقوم مقام الاسم الظاهر، وقد تكررت في تسعة وثمانين (89) موضعاً، وعليه يمكن أن نقول أن لفظ الجلالة تكرر في أربعة وأربعين ومائة (144) موضعاً، وهذا يدل على التماسك القائم بين الآيات، سواء على مستوى الآية الواحدة، أو أكثر من آية، كما أن مرجعية التكرار هنا هي داخلية سابقة، إذ ذُكِر لفظ الجلالة صراحة في الآية الأولى من السورة.

فكل الآيات التي يتكرر فيها لفظ الجلالة، أو الضمير المحيل إليه لا يمكن تفسيرها كلٌّ على حدة، بل تؤخذ بشكلها الكلّي وتؤول على أن هناك صلة معينة تحققت بينها وهي كونها مسندة إلى ذات واحدة، إضافة إلى إعادتها إلى الأصل الأول قبل التكرار، وهو قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلهِ الذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً**﴾، **الكهف 1**، إذ جاءت لتثبيت هذا الإسناد الحاصل، وترسيخ هذه العلاقة وهي استحقاق الله للحمد والثناء، فما جاء بعد مما تكرر فيه لفظ الجلالة إنما لبيان أوجه قدرته، وبيان نعمه على الخلق، وكلاهما مما يجعله أهلاً للحمد والثناء المثبت له في الآية الأولى.

أما تكرار لفظ القول للجذر "**ق و ل**" يتناسب مع طبيعة السورة القصصية التي تتميز بالحوار؛ قال وقل وقلت وقلنا...إلخ، لهذا ورد هذا اللفظ بكثرة في الآيات التي تتحدث عن القصص، أكثر من غيرها التي تعقب القصة، ففي قصة أهل الكهف ورد في ثماني آيات، بينما لم يرد في المقدمة إلا في آيتين، وفي التعقيب على القصة إلا في آية واحدة، وورد في قصة الرجلين في خمس آيات، لكن لم يرد في التعقيب إلا في آية واحدة.

وكذلك ورد في قصة آدم في آية واحدة، وفي التعقيب عليها كذلك، بينما ورد في قصة موسى مع الرجل الصالح في خمس عشرة آية، وفي قصة ذي القرنين في ثماني آيات، وفي التعقيب عليها لم يرد إلا في ثلاث آيات، فيكون الجذر اللغوي "ق و ل" قد حقق التماسك النصي بين الآيات، إضافة إلى تحقيقه للحوار وهو من بين الأنماط المحققة للتماسك النصي؛ إذ فيه القول والرد عليه، وفيه السؤال والإجابة عنه...وهكذا، فالحوار مهم جدا بالنسبة للداعية، ولذلك وجه الله تعالى نبيه إلى هذا الأسلوب في الدعوة فكان الحوار هو الطابع العام في السورة، حيث وردت ألفاظ الحوار قال وقل وقالوا ما يقارب من سبعين مرة وذلك للفت الانتباه إلى هذه الغاية وهي اعتماد الحوار في مرحلة الدعوة أساسا ومنهجا، مما شكَّلَ تماسكاً كلياً على مستوى سطح النص والبنية العميقة، فتكرار لفظ الجلالة وما يحيل إليه من الضمائر والجذر اللغوي "ق و ل"، في كامل أجزاء القصص للسورة بمثابة القاسم المشترك بين هذه القصص الخمس، مما أسهم في تماسك أجزاء السورة من بدايتها إلى نهايتها، فتشكلت وحدة نصية كلية.

أما النوع الثاني تكرار خاص بكل قصة على حدة، فعلى سبيل المثال نجد قصة أهل الكهف تكرر فيها لفظ "الكهف" في ست آيات: 9-10-11-16-17-25، ولم يتكرر في أي من القصص الأخرى، وتكرر لفظ "البعث" في آيتين: 12-19، ولفظ "لبثوا" تكرر أربع مرات في الآيات: 12-19-26، ولفظ "الفتية" تكرر في الآيتين: 10-13، وهذه الأنماط لم تتكرر إلاَّ في قصة أهل الكهف، وبها تميزت عن القصص الأخرى.

أما قصة موسى مع الرجل الصالح فتكرر لفظ "البحر" في الآيات: 60-61-63، ولم يتكرر إلاَّ في خاتمة السورة في آية واحدة، كما تكرر لفظ "الصبر" في سبعة مواضع من القصة ليتناسب مع موضوع القصة، ونفس الأمر مع تكرار لفظ "العلم" في أربعة مواضع، دون غيرها ليتناسب مع علم الرجل الصالح وعدم علم موسى بهذه الأمور.

وفي قصة ذي القرنين فتكرر فيها لفظ "اتبع سبباً" ثلاث مرات في الآيات: 85-89-92، كما تكرر فيها أيضا لفظ "ذو القرنين" في آيتين: 83-94.

تميزت كل قصة بنمط معين أو معجم معين من التكرار تكرر فيها دون غيرها، مما أسهم في تماسك أجزاء القصة الواحدة

تكرار لفظ (إذْ) في قصة أهل الكهف في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾ **الكهف:10**، وفي قوله تعالى: ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾ **الكهف:14**، وتكررت في قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا**﴾ **الكهف:16**، وقوله تعالى: ﴿**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ**﴾ **الكهف:21**، في البداية ارتبط لفظ (إذ) مع الحدث الأول في القصة لحظة (إذ أوى الفتية إلي الكهف)، وبعد ملخص للقصة تتبعها تفصيلات القصة، وسرد الأحداث، تشاورهم قبل دخولهم الكهف، وحالتهم بعد دخوله، ونومهم، ويقظتهم، وإرسالهم واحداً منهم ليشتري لهم طعاما، وكشفه في المدينة، وعودته، وموتهم، وبناء المعبد عليهم، واختلاف القوم في أمرهم...إلخ، فكأن هذا التلخيص كان مقدمة مشوقة للتفصيلات[1]، في سرد القصة فكان كل عمل أساس يقتضي حركة معينة من الفتية تلازم ظهور (إذ)، فالحركات بعد أن أووا إلى الكهف، (إذ) قاموا فقالوا، و(إذ) اعتزلتموهم، وبدا بعد ذلك عرض القصة بالتفصيل حتى تكتمل القصة بعد أن عثر عليهم القوم، فظهرت في خاتمة القصة ((إذ يتنازعون أمرهم))، وبهذا ينتهي المشهد ويسدل الستار، أو تنقطع الحلقة.

فتكرار لفظ (إذ) يشكل عنصر بناء وربطٍ، فيلازم السَّرد وقد ساهم في بناء الأحداث، فهو عنصر ربط بين أول الأحداث ونهايتها؛ كي تظهر القصة لوحة واحدة منتظمة الأطراف والأجزاء، مما يجعل المتلقي يشعر بوحدة الموضوع التي يشعر معها بالمتعة والتركيز وعدم التشويش الذهني، فيتحقق التماسك الشكلي والدلالي لقصة أهل الكهف، مع جمالية الأسلوب في هذه اللوحة المنتظمة.

[1] ينظر: سيّد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص181.

وتظهر قصة أخرى تجيء هنا للتعجيب من أبناء آدم الذين يتخذون ذرية إبليس أولياء من دون الله بعد ذلك العداء القديم[1]، وأول ما تبدأ به هذه القصة (وإذ) للربط بينها وبين القصّة التي قبلها، ولتشكّل في نفس السّامع إحساسا اتجاه قصة جديدة، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾ **الكهف:50**، ليحدث الترابط الشكلي والدلالي بين هذه القصة والقصة التي قبلها؛ إذ هما يعالجان قضية واحدة هي العقيدة.

وفي قصّة الرجلين يرد لفظ (إذ) في مركز الأحداث عند قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا**﴾ **الكهف:39**، لتشكل عنصرَ لفتٍ وَانتباه إلى مغزى القصة وهو التذكير بقدرة الله، وربط النِّعم بمشيئته.

ولم يقف الأمر عند حد القصة الواحدة بل كرَّر اللفظ (إذ) ليربط بين القصص، وليشكِّل بداية جديدة لقصة سيدنا موسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾ **الكهف:60**، فتدخل أحداث القصة حتى تصل إلى معلم بارز وحدث مهم، كان موسى عليه السلام في لهفة وتشوق له وأن هذه الرحلة كلها مفاجآت غيبية، فتكررت (إذ) ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**﴾ **الكهف:63**، فارتبطت مع الحدث الذي شكَّل نقطة مركزية في القصة، مما ساهم في تحقق التماسك الشكلي والدلالي، لهذه الآيات بتكرار هذا اللفظ(إذْ).

ومع الانتقال إلى الأحداث في القصة الجديدة (موسى عليه السلام مع العبد الصالح) وفي تنوع في الرّبط الداخلي، عن طريق هذه العبارات المتكررة، (فانطلقا حتَّى إذا) ثلاث مرات يذكر صاحب التحرير والتنوير في تفسيره: " الانطلاق الذهاب والمشي، وحتى غاية للانطلاق ابتدائية، وإذا ظرف للزمان الماضي هنا، وليست متضمنة معنى الشرط...وبني النظم الكلام على تقديم الظرف على

[1] ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2274.

عامله للاهتمام به"[1]، قال تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾ **الكهف:71**، وفي قوله تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**﴾ **الكهف:74**، وتتكرر في قوله تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ **الكهف:74**، فتكرارها في السياق أدى إلى زيادة إيقاع القصّ سرعة وتوالي جزئيات الحدث، تشكلت من الأحداث الثلاث التي تتابعت في آيات القصة بعناصرها الموضوعية والشكلية. فكان عنصر الحركة الذي يتفاعل بين الأشخاص والأحداث ليوصل ذلك إلى الذروة القصصية. فمن زاوية يكون الربط الخارجي الشكلي للقصة مع قدرة أسلوبية فائقة في اختزال الزمان والمكان في بؤرة الحدث، فقد تكون أحداث ما بين هذه المراحل ولكن القارئ لا يشعر بقطع للأحداث وربما لا يريد أن يعرفها لأنه متلهف كما كان موسى (عليه السلام) أيضا متلهفاً ومتشوقاً لمعرفة ما يحدث، فالمفارقة في القصة والشعور بالدهشة والتركيز على الحدث الرئيسي جعلت من بقية الأحداث الثانوية التي لم تذكر مبرراً لحذفها من السّرد، فقد يكون الحذف أولى من الذكر كما هو نظم القصص القرآني، وذلك إلاّ لأن التماسك النصي تحقق شكلاً ودلالةً.

وتتكرّر عبارة جديدة عبارة التفسير والتأويل والتفصيل لما حصل من أحداث. (**أمَّا**) قال تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾ **الكهف:79**، ويتبعها قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا**﴾ **الكهف:80**، ويماثلها قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**﴾ **الكهف:82**، والحدث هنا يؤشر نشاطاً تأويلياً لحركة الأحداث التي سبقته، فهو بمثابة النافذة التي يطل منها المتلقي على

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص374-375.

تراكمات العقدة الفنية، وقد حلَّت خيوطها، فيرتبط هذا الجزء من المشهد بالجزء الذي قبله؛ ارتباطاً وتماسكا شكلياً ودلالياً، ليشكل نصّاً متَّسقاً، "وهكذا ترتبط-في سياق السورة- قصة موسى مع العبد الصالح، بقصة أصحاب الكهف في ترك الغيب لله، الذي يدبر الأمر بحكمته، وفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر، الواقفون وراء الأستار، لا يكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار"[1]، مما يجعل التماسك الشكلي والدلالي جليّاً بين قصص السورة، مع جمالية الأسلوب المتمثل في "اللّف والنشر المرتَّب (أمَّا السفينة) (وأمَّا الغلامُ) (وأمَّا الجدار) فقد جاء بها مرتَّبة بعد ركوب السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار بطريق اللَّف والنشر المرتَّب وهو من المحسنات البديعية"[2]

ويتكرر لفظ (**أَمَّا**) كذلك في قصة ذي القرنين. قال تعالى: ﴿**قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا**﴾ **الكهف:86-87**، ﴿**وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾ **الكهف:88**، لتفيد أما التفصيل في الجانب المعنوي، وعامل ربط بنيوي في بناء الوحدة الفنية في داخل السورة، ومكوناتها القصصية بالإضافة إلى ما يُشكّله التّكرار من وقع إيقاعي بين الصيغتين المتقاربتين (إمَّا) و(أَمَّا)، في تعاقب ثنائي رتيب، (إمَّا أَن) وتتكرر، و(أَمَّا مَن) وتتكرر فتشكل ظاهرة إيقاعية وسردية فاعلة.

وبالرغم من تعدد القصص في القرآن الكريم إلاّ أنّه يتسم بالوحدة الموضوعية الكبرى، فقد ورد في سورة الكهف في الحديث عن الفتية قاعدة فكرية اعتقادية في قوله تعالى: ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾ **الكهف:14**، هذه الحقيقة الكبرى وأساس الدعوة، وكلُّ أمرٍ غيره سوف يكون عبثاً ولهواً وابتعاداً عن الحقيقة (شططاً) ولن يفلح صاحبه ولن يهتدي إذاً أبداً.

[1] ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2282.

[2] ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4(1402هـ/1981م)، مج2، ص202.

فمع هذه القاعدة الكبرى تكررت كلمة (إذاً)، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾ **الكهف:14**، فإذا دعوا غير الله فستكون النتيجة والجواب (إذاً)، يحدث أمر يظهر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ **الكهف:20**، وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ **الكهف:57**، فالعلاقة الترابطية بين القاعدة والحالات المترتبة أو المتعلقة بها ظاهرة من خلال التركيب المتكرر، فإذا لم يحرص المؤمنون وتمكّن الكفار من رقابهم فلن يتمكنوا من العبادة، وترتب على ذلك ربما أخرجوهم من الملة في (لن يفلحوا إذاً أبداً)، هذا إذا كان السبب خارجيا من الأعداء، وقد يكون السبب داخليا فيعرضون عن منهاج الله والقاعدة الكبرى للإيمان والهداية (ومن أظلم ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها) فتكون النتيجة (ولن يهتدواْ إذاً أبداً).

ومن الألفاظ التي تكررت في أكثر من موقع، وكانت تمثل عنصر ربط ولفت انتباه ووحدة الأسلوب، ما جاء في قوله تعالى: ﴿**هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ **الكهف:15**، وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا**﴾ **الكهف:39**، لقد تكررت (لولا) في الآيتين، وهما حرف تحضيض أي: هلاَّ، وفي موقفين متماثلين تقريبا، موقف المؤمنين واستغرابهم من عمل الكافرين وطبيعة تفكيرهم وسلوكهم، لولا في الآيتين فيها حض من المؤمنين لغيرهم أن يتخذوا التفكير السليم في الاعتقاد المبني على البرهان القاطع والدليل الساطع، وعلى السلوك والكلام القويم الذي يربط النّعم بالمنعم والقدرة بالخالق الذي هو الله، فالأسلوب في الحالتين فيه طلب برفق ولين، وهو أسلوب يكشف عن نفسية المؤمن، فهو حتى مع الكافر يطلب بلطف، وهذا ما يتصف به الدعاة إلى الله من خلق وسلوك.

وتكون خاتمة القصص في سورة الكهف بقصة ذي القرنين الذي أعطاه الله التمكين في الأرض ومن كل شيء سببا. فأسباب التمكين المتعددة والمتنوعة من الله ولذا كانت الرابط الذي

يربطه في كل أحواله وفي كل مكان وصل إليه، ومع كل فعل قام به. حيث بدأت القصة مع لفظ (سببا) وحفظ المؤمن (ذو القرنين) السبب الذي وهبه له الله (فأتبع سببا)، وبدأ بالحركة والعمل فبدأت أحداث القصة تتوالى، فيظهر لنا ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**﴾ **الكهف:85–86**، وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا**﴾ **الكهف:89–90**، وفي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا**﴾ **الكهف:92**، ﴿**حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما**﴾ **الكهف:93**، وتكرر في قوله تعالى: ﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾ **الكهف:96**.

فمع كل حدث مهم من أحداث القصة ظهرت العبارة لتشكل لازمة لفظية، ثم (أَتبع سَبَباً)، فتحقق أبعادا فنية جمالية وموضوعية في آن واحد، أما من الوجهة الموضوعية فإن المؤمن الذي يعطيه الله العزة والتمكين والقوة والنصر يتمسك بأسبابها فلا تنقطع عراها، ولذا يبقى أثره خالدا إلى يوم يعلمه الله، فبهذا يكون الدرس وتتحقق العبرة. ومن الناحية الفنية تشكّل (أتبع سَبَباً) عنصراً من عناصر الربط والتطوير الفني، فكما كان الربط النفسي مع أحداث القصة كان الربط أيضا موافقا للبناء القصصي والتطور المرافق للأحداث. فمع عطف الأسباب إلى بعضها كان تطور الأسلوب بخاتمة حميدة وهي الاعتراف التام والصريح بنعم الله عليه، فقال الله تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ** ﴾ **الكهف:95**.

كان للجملة السّردية (أَتبع سَبباً) دور في غاية الأهمية في النسيج السردي؛ إذ مثّلت دور الرابط اللفظي والمعنوي بين التّمفصلات المختلفة وذلك عن طريق تكرارها، كاملة في بداية كل رحلة، والمعنى فيها على ضرورة الأخذ بالأسباب فقد اتبع ذو القرنين كافة الأسباب والسبل التي تبلّغه مقصوده في الأمكنة المتنوعة، وهذا الاتباع لون من ألوان التمكين الإلهي له.

ومن هنا يمكننا أن نقف وقفة قصيرة أمام ظاهرة التناسق الفني في العرض، " فإن المشهد الذي يعرضه السياق هو مشهد مكشوف في الطبيعة: الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر، وكذلك ضمير ذي القرنين ونواياه كلها مكشوفة لعلم الله...وكذلك يتناسق المشهد في الطبيعة وفي ضمير ذي القرنين على طريقة التنسيق القرآنية الدقيقة"[1]، فهذا وإن دلّ فإنما يدل على جمالية أسلوب القصص القرآني محققاً بذلك التماسك النصي في هذه القصة شكلاً ودلالة.

مظاهر التكرار الدلالي:

تكرار وحدة الهدف ومعنى انتصار الحق:

فالاستمرارية المتحققة في هذه القصص، والتي حققت التماسك النصي فيما بينها، هي وحدة الهدف من كل قصة، فكلها تصل إلى نتيجة هي انتصار الخير والحق، فانتصار أهل الكهف بالحفاظ على عقيدتهم ونجاتهم، وانتصار الرجل المؤمن بإيمانه بما عند الله، وانتصر المؤمنون بعدم اتباع الشيطان، وانتصر أصحاب السفينة بنجاتهم من الملك الظالم، وانتصر الأبوان المؤمنان بقتل ابنهما الذي كان سيرهقهما طغياناً وكفراً، وانتصر الغلامان بصلاح أبيهما والحفاظ على كنزهما، هذا إضافة إلى تكرار هذا المعنى في التعقيبات التي بين هذه القصص؛ فالمقدمة التي توضح الأجر الحسن للمؤمنين والنذير الشديد لغير المؤمنين (المجرمين)، وهكذا تتضح الاستمرارية في وحدة الهدف، وهو نمط جديد من التكرار وهو التكرار الدلالي الذي وظيفته تحقيق التماسك النصي، عبر تكرار تلك الدلالة في القصص الخمس والتعقيبات التي بينها؛ فيتحقق التماسك النصي شكلاً ودلالة لهذا النص القرآني.

تكرار أفعال الطلب:

من الملامح الأسلوبية التي تكررت عبر آيات السورة أفعال الطلب والتي شكّلت في كثير من الآيات مؤشرات مفتاحية للآية من جانب، ولمقطع في الأحداث من جانب آخر، ومن خلال هذا التّكرار يمكن معرفة الهدف الرئيسي للمعنى العام لهذا الأسلوب، الذي يساهم في تحقق التماسك الشكلي والدلالي للسورة، ومن أمثلة ذلك: (ولا تقولن) لشيء إني فاعل ذلك غداً، أسلوب النهي

[1] ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج16، ص2292.

غرضه النصح والإرشاد، (قل) الله أعلم بما لبثواْ، أسلوب الأمر غرضه التوجيه والتعظيم بقدرة الخالق، (واتل) ما أوحي إليك من كتاب ربك، أسلوب الأمر غرضه الامتنان، (واصبر) نفسك مع الذين يدعون ربهم، أسلوب الأمر غرضه الإرشاد، (ولا تَعْدُ) عيناك عنهم، أسلوب النهي غرضه الإرشاد، (ولا تطع) من أغفلنا قلبه، أسلوب النهي غرضه التهديد والتوبيخ، (وقل) الحق من ربكم، أسلوب الأمر غرضه التهديد.

(واضرب) لهم مثلا رجلين، أسلوب الأمر غرضه الاعتبار، (واضرب) لهم مثل الحياة الدنيا، أسلوب الأمر غرضه التعجب، وإذ قلنا للملائكة (اسجدوا)، أسلوب الأمر غرضه الامتنان، ويوم يقول (نادواْ) شركائي، أسلوب الأمر غرضه التعجيز، قال موسى (هل أتبعك) على أن تعلمن مما علمت رشداً، أسلوب التمني غرضه الترجي، قال (لا تؤاخذني) بما نسيت (ولا ترهقني) من أمري عسراً، أسلوب النهي غرضه الالتماس، (فهل نجعل) لك خرجا، أسلوب الاستفهام غرضه التقرير، (فأعينوني) بقوة، أسلوب الأمر غرضه الالتماس، (آتوني) زبر الحديد، أسلوب الأمر غرضه الالتماس، قال (انفخواْ) قال (آتوني) أفرغ عليه قطراً، أسلوب الأمر غرضهما الالتماس، (قل هل) ننبئكم بالأخسرين أعمالا، أسلوب الاستفهام غرضه الانكار والتوبيخ، (قل) لو كان البحر مدادا لكلمات ربي، أسلوب الأمر غرضه الاعتبار، (قل) إنما أنا بشر مثلكم، أسلوب الأمر غرضه النصح والإرشاد، ومنه نستخلص أنه تنقسم أفعال الطلب إلي صيغ مختلفة وأهداف تتعلق بتلك الصيغ، فمن الأهداف الرئيسية التي أخذت حيّزاً واسعاً في السّورة الهدف التعليمي، سواء التعليم المباشر وذلك بصيغ الطلب المباشر كما ظهرت موجهة للرسول (ﷺ).

فالخطاب موجه من الله العليم إلى النبي عليه السلام فيعلمه أصول الاعتقاد والتوكل على الله وربط المشيئة بالله، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ**﴾ **الكهف:23–24**، فيتنوع أسلوب الطلب بين الأمر المباشر والنهي والاستفهام، وهذا التنوع للتخفيف على النبي عليه السلام، فلو كان أسلوب الأمر يتكرر لوحده لأثقل ذلك عليه والله يعلم ثقل المهمة التي يتحمّلها الأنبياء؛ ولذلك خفَّف عنه بهذا الأسلوب المتنوّع. ومن صيغ الطّلب التي ظهرت ما بين

موسى (عليه السلام) والعبد الصالح وما يماثله بين القوم وذي القرنين، يمتاز الطلب بالتودد، فصاحب الحاجة يطلب ولكن بأسلوب لائق مؤدّب، موسى (عليه السلام) طالب العلم يطلب من معلِّمه بكل احترامٍ وأدبٍ وتودّدٍ؛ فهو حريص على التّعلم ويدرك أين يجد ضالَّته، ولذا قال تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ **الكهف:66**، والأمر نفسه نراه بين من لا يملك ومن يملك من الله القوة فيقولون: ﴿**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾ **الكهف:94**، فاستخدم حرف الاستفهام (هل) نفسه، وبشكل متكرر بما فيه من ملمح صوتي هادئ، ينبعث من صوت الهاء؛ ليبقي جوَّ الودِّ مع العبد الصالح في موقف التّعلم ومع الملك الصالح في طلب المساعدة، وهذا ما يجعل التماسك الشكلي والدلالي يتحقق.

ومن الأمور الجليلة التي يعلمها الله لنبيه وأصحاب الدعوة ليتمثلوها:

التأسِّي والصَّبر في الدعوة وعدم الحزن كثيراً على الذين لم يؤمنواْ، ونلمح ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ **الكهف:5**، أسلوب فيه الطلب بشكل غير مباشر تلطفا بحال الرسول (عليه السلام).

فتكرار وامتداد أفعال الطلب وبصيغ مختلفة بين الأمر والنهي والاستفهام في السورة، من التكرار الدلالي ووظيفته تحقيق التماسك الشكلي والدلالي للنص القرآني، فقد تكرر الهدف الرئيسي وهو تأكيد قضية العقيدة.

كما نجد التكرار في قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً قَيِّماً**﴾ **الكهف: 1–2**، يقول محي الدين الدرويش: "نفي العوج معناه إثبات الاستقامة، وإنما جنح إلى التكرير لفائدة منقطعة النظير، وهي التأكيد والبيان، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة، مجمع على استقامته ومع ذلك؛ فإن الفاحص المدقق قد يجد له أدنى عوج، فلما أثبت له الاستقامة أزال شبهة بقاء ذلك الأدنى الذي

يدق على النظرة السطحية الأولى"[1]، فتحقق التماسك الشكلي والدلالي على مستوى الآيتين مع استخدام جمالية الأسلوب المحكم المنتظم، والذي لا يوجد إلا في القرآن.

التكرار الأسلوبي المنتظم الذي تحقق في سورة الكهف له انعكاسات وتأثير على الجوانب المختلفة في النص، لمسنا جانبا منها ومن بينها الجانب الصوتي فقد انعكس أثره بشكل جلي فحقق إيقاعا خارجيا وداخليا في آن واحد، وشكّل موسيقى تشنّف الآذان لسماعها؛ فالتّكرار الجميل المتناغم يصبح قاعدة صوتية تطرب لها الأذن ويشغف بها الفؤاد.

فالتكرار في القصص القرآني يؤدي إلى تحقيق التماسك النصي، إذ يعمل عمل الإحالة القبلية حين يوجه القارئ للنص لأن يستبين مغزى الكلام المكرر من الأصل الوارد من قبل.

[1] محي الدّين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج4، ج15، ص438.

المبحث الرابع: الاتساق في أسلوب الالتفات في سورة الكهف

الالتفات أسلوب من الأساليب البلاغية الجميلة الفاعلة داخل النص، والناظر في معاجم اللغة يجد الحقيقة اللغوية لكلمة الالتفات.

قال ابن منظور (711هـ): "لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ الْقَوْمِ: صَرَفَهُ، وَالْتَفَتَ الْتِفَاتاً، والتَّلَفُّتُ أَكْثَرُ مِنْهُ، وتَلَفَّتَ إِلَى الشَّيْءِ، وَالْتَفَتَ إِلَيْهِ: صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ...وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿**وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ**﴾ **هود:81**، أُمِرَ بتَرْكِ الالْتِفَاتِ، لِئَلاَّ يَرَى عَظِيمَ مَا يَنزِلُ بِهِم مِنَ الْعَذَابِ...وَاللَّفْتُ: اللَّيُّ، وَلَفَتَهُ يَلْفِتُهُ لَفْتاً: لَوَاهُ عَلَى غَيْرِ جِهَتِهِ، وَقِيلَ: اللَّيُّ هُوَ أَن تَرْمِي بِهِ إِلَى جَانِبِكَ، وَلَفَتَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَلْفِتُهُ لَفْتاً: صَرَفَهُ"[1].

وذكر الفيروزآبادي (817هـ) في قاموسه: "لَفَتَهُ يَلْفِتُهُ: لَوَاهُ، وَصَرَفَهُ عَن رَأْيِهِ، ومنه: الالْتِفَاتُ والتَّلَفُّتُ "[2]، ومنه يتبين أن المعنى اللغوي على العموم هو الصّرف من جهة إلى أخرى، فهو يتقاطع مع المعنى الاصطلاحي، فالمعنى اللّغوي عام والمعنى الاصطلاحي خاص؛ فبينهما عموم وخصوص.

الالتفات عند البلاغين:

إن أول من أشار إلى الالتفات هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى (210هـ) في كتابه مجاز القرآن حيث يقول: "ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشّاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال تعالى: ﴿**حتَّى إِذَا كُنتُم فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم**﴾ **يونس:22**، أي بكم"[3]، نرى أن أبا عبيدة سمّى الالتفات الترك والتحويل وهو ما أشار إليه في تعريفه (ثم تركت وحولت) ثم جاء من بعده أهل البلاغة، فحددوا له أقساماً وصوراً فهو يتسع حيناً ويضيق مرة أخرى من عالم لآخر، كلٌّ على حسب نظرته لهذا المصطلح، فنجد السكَّاكي (626هـ) يُخلِطُ في إيراده تارة يجعله ضِمْن علم المعاني، وأخرى ضمن علم البديع، إذ يقول: "واعلم أن هذا النوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى

---

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج5، ج45، ص4051.

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، ص211.

[3] أبو عبيدة معمر بن المثنّى، مجاز القرآن صنعة، تح: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، 1988م، ج1، ص273.

الغيبة، لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم البياني"[1]، وذكر أيضاً عند حديثه عن البديع فيقول: "ومنه الالتفات، وقد سبق ذكره في علم المعاني"[2]، وهذا مما يدل على اختلافهم في ضبط المصطلح حتى عند العالم نفسه.

أما عند ضياء الدّين بن الأثير (637هـ) فيقول: "هو خلاصة علم البيان التي حولها يُدَنْدَنُ، وإليها تُسندُ البلاغةُ، وعنها يُعَنْعَنُ. وحقيقته مأخوذةٌ من التفاتِ الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يُقبِلُ بوجههِ تارةً كذا، وتارةً كذا. وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصّة؛ لأنه يُنتَقَلُ فيه عن صيغة إلى صيغة، كانتقال من خطابِ حاضرٍ إلى غائبٍ، أو من خطابِ غائبٍ إلى حاضرٍ، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبلٍ، أو من مستقبلٍ إلى ماضٍ، أو غير ذلك ممّا يأتي مفصَّلاً."[3]، ولما اختلفوا في تحديده بالضرورة يختلفون في تقسيماته وأنواعه.

بما أن لكلِّ نصٍّ خصوصيته ومن خلال لغته وتراكيبه تكون دراسته، فقد ظهرت عدّة أنماط من الالتفات، ربما لم يشر إليها علماء البلاغة القدامى، كالانتقال من الإشارة إلى الغائب أي من الحضور إلى الغياب، ومن الجمع إلى المفرد إلى غير ذلك.

ونخلُصُ إلى ما رآه الأستاذ مصطفى شريقن في كتابه؛ حيث قسمه إلى[4]:

1- الالتفات بمقامات الضمائر.

2- الالتفات بالإفراد والتثنية والجمع.

3- الالتفات بالأفعال زماناً، وصورة ووزناً.

4- الالتفات بالصيغة.

5- الالتفات الدلالي.

---

[1] السكَّاكي، مفتاح العلوم، ص199.

[2] نفس المصدر، ص429.

[3] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص167-168.

[4] مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية، الجزائر، (د ط)، (1430هـ/2009م)، ص155.

6- الالتفات الإعرابي.

7- الالتفات الخطي.

ولمعرفة أهمية هذا الأسلوب نجد السّكاكي في معرض الحديث عن لطائف الالتفات يقول: "وهذا النوع قد يختصُّ مواقعه بلطائف معان قلَّما تتضح إلا لأفراد بلغائهم، أو للحذَّاقِ المهرة في هذا الفنِّ، والعلماء النَّحارير، ومتى اختصّ موقعه بشيء من دلك، كساه فضل بهاء ورونق، وأورث السَّامع زيادة هزةٍ ونشاطٍ. ووجد عنده من القبول أرفع منزلة"[1].

ولقد تنوَّع أسلوب الالتفات في سورة الكهف ليضفي إلى البناء الفني عناصر جمالية النَّص في ملامح الشّدِّ والجذب والإثارة؛ ومن صور هذا التنوّع:

1. الالتفات من الغيبة إلى التَّكلم:

من الالتفات قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ **الكهف: 29**، بدأ الخطاب في الآية بلفظ من (رَبِّكُم)، وهو الضمير الذي يدلّ على الغيبة، والتفتَ بعد ذلك إلى ضمير المتكلم في غيره بلفظ (إِنَّا)، وفي الحالتين الضمير عائد على الله، والأسلوب "ظاهره أمر وحقيقته وعيد وإنذارٌ أي قل يا محمد لهؤلاء الغافلين لقد ظهر الحق وبان بتوضيح الرحمان، فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا"[2]، ثم التفت بضمير المتكلم (إنّا) مع الفعل (أعتدنا)، والذي يدل على " الوعيد الشّديد وتأكيد التهديد وتعليل لما يفيده الزجر عن الكفر، أو لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فإن إعداد جزائه من دواعي الإملاء والإمهال والضمير (إِنَّا أعتدنا) مناسب لمقام الانتقام الشديد"[3]، فالالتفات هنا جاء مناسباً لهذا السياق، وذلك لمزيد من التأكيد على الوعيد الشديد،

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص200-201.

[2] ينظر: محمد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص190.

[3] ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص518.

حتى يكون هذا الجزاء جزاء من جبار مقتدر فتحقق الاتساق النصي على مستوى هذه الآية والمعنى العام للسورة.

ومن الالتفات لتغير المكان أو بعض عناصر الصورة قوله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ **الكهف: 46–47**، بدأ أسلوب الإخبار بلفظ (عند ربك) وهو الضمير الذي يدل على الغيبة، والتفتَ بعد ذلك إلى ضمير المتكلم، (ويوم نسير)، (وحشرناهم فلم نغادر)، فربط الأسلوب بداية العبادة بلفظ (ربك) وتخصيص العبادة لله، وينتقل إلى مشهد من مشاهد القيامة، وفيه تتجلى قدرة الله ويزيد من أعظم وهول ذلك اليوم، ولذلك جاء بضمير المتكلم ونون العظمة؛ ليكون هذا العدول مناسباً للسّياق، وليكون أكثر حضورا في النفس مما يشعر بالمهابة ومما يؤكد تلك المهابة تكرار ضمير المتكلم (نا)، وجملة "(وحشرناهم) معطوفة على جملة "نسير الجبال" على تأويله بـ(نحشرهم) بأن أطلق الفعل الماضي على المستقبل تنبيهاً على تحقيق وقوع الحشر"[1]، فساهم الالتفات بتحقيق التماسك النصي بما يناسب معنى الخطاب.

وفي مشهد من مشاهد العبادة تدخل عناصر جديدة في الصورة ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ **الكهف: 28**، نلاحظ كيف بدأ الخطاب مع المؤمنين بأسلوب فيه تخفيف وما يناسب طبيعتهم (ربهم)، (يريدون وجهه)، فهم يبتغون بدعائهم وجه الله وأقل التفاتة تؤثر فيهم؛ لأنهم من ضعفاء وفقراء المسلمين، أما الكفار فهم بحاجة إلى ما يردعهم ويزجرهم، وهذا ما نراه في العدول في أسلوب الخطاب، من ضمير الغائب (يدعون ربهم)، إلى ضمير المتكلم (أغفلنا) وهذا أوقع في النفس وخاصة النفس الغافلة؛ كي تتنبه من غفلتها، فجاء الالتفات ليحدث التناسق بين اللفظ والمعنى، والترابط شكلاً ودلالة.

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص335.

وفي مشهد من مشاهد التصوير الفني في القرآن الكريم، يقوم أسلوب الالتفات بحركات سريعة ومفاجئة، تقرّبُ البعيدَ وتوضّحُ الغامضَ، ومثلُ ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾ **الكهف: 48**، إن الالتفات في هذه الآية من ضمير الغيبة (على ربك)، إلى ضمير التّكلم (لقد جئتمونا كما خلقناكم) لهو: "هذا الالتفات من الوصف إلى الخطاب يحيي المشهد ويجسمه، كأنما هو حاضر اللّحظة، لا مستقبل في ضمير الغيب في يوم الحساب)[1]، يرتبط مع الانتقال في طبيعة المشاهد يوم القيامة من حيث شدة الموقف والحركة التي يقوم بها البشر في ذلك الموقف العظيم. ومن جماليات التّعبير ﴿**وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ**﴾، يوضّح أبو السّعود ذلك في تفسيره بأنه: "شبّهت حالهم بحال جندٍ عرضوا على السّلطان ليأمر فيهم بما يأمر، وفي الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول، مع التعرض لعنوان الرّبوبية والإضافة إلى ضميره عليه السّلام، من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللّطف به عليه السلام ما لا يخفى"[2]، فجاء الالتفات لمزيد من التهديد والوعيد وهو ما أشار إليه الطاهر بن عاشور بقوله: "والخبر في قوله (ولقد جئتمونا) مستعمل في التغليظ والتهديد والتنديم على إنكارهم البعث. والمجيء: مجاز في الحضور، شبهوا حين موتهم بالغائبين وشبهت حياتهم بعد الموت بمجيء الغائب"[3].

2. الانتقال من المتكلم إلى الغائب:

ومن مشاهد السرد المتغيرة في القصة حسب المواقف والأحداث وطبيعة الشخصيات فتنتقل معها أساليب الخطاب، كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾ **الكهف: 64**، أسلوب الخطاب انتقل من لفظ (ما كنّا) الذي يدلُّ على ضمير المتكلم إلى لفظ (فارتدَّا على آثارهما) الذي يدلّ على ضمير الغائب، الذي يتأمّل هذه الآية، فإنه يكون أمام مشهد متحرك فيه موسى (عليه السلام) وفتاه مقبلان، تنظر إليهم وتسمع كلامهم في لحظة حضور، فكان

[1] ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2274.

[2] أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص527.

[3] ينظر: الطّاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص336.

أسلوب الكلام للمتكلم والحضور، تنقلب تلك اللحظة مباشرة بعد أن وجدا الإشارة، فاستدارا ورجعا إلى الوراء فلم نعد نرى وجوههم، ولا نسمع كلامهم فأضحوا في حالة الغياب بالنسبة للمستمعين؛ ولذا كان التعبير عنهم بضمير الغائب هو الأدقُّ في رسم المشهد.

وأثر التفاعلية في الحدث يظهر في قوله تعالى: ﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾ **الكهف: 96**، بدأ الخطاب بأسلوب المتكلم (آتوني)، حيث الحضور البارز والفاعلية لذي القرنين في أحداث المشهد، فانتقل من أسلوب الخطاب إلى الغيبة عندما انشغل بالعمل (حتى إذا سَاوَى)، (قال انفخوا) وبعد أن انتهى من العمل، عاد الحضور قال تعالى: ﴿ **قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾ **الكهف: 96**، ليعود الأسلوب من حيث بدأ ويعيد القوة في الظهور، ومن هذا نرى ما يضفيه أسلوب الالتفات من جمال على النص وظلاله، فيفيد التجميل لأسلوب القرآن وتلويناً به حتَّى لا يملَّ السّامع من التزام حالة واحدة، وفي تماسك منتظم شكلاً ودلالةً.

3. الانتقال من الغائب إلى المتكلم:

من المستويات التي يظهرها الالتفات ما يمثل في الغياب والحضور، ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾ **الكهف: 34**، وبأسلوب محكمٍ ومنتظمٍ يكون العدول من زمن إلى زمنٍ آخر، وخاصة إذا كان يتعلق بالنفس الإنسانية، تحوّل الأسلوب من ضمائر الغائب المتتابعة (فقال له صاحبه)، (وهو يحاوره)، تتحوّل إلى ضمير التكلّم (أنا أكثر منك)، في إحساس من التكبّر والبطر الذي أخذ يسيطر على نفس ذي صاحب الجنتين، "فملء نفسه البطر، وملء جنبه الغرور بالجنتين، ويزدهيه النّظر إليهما، فيحس بالزّهو، وينتفش كالدّيك، ويختال كالطّاووس، ويتعالى على صاحبه الفقير"[1]، فأقبل من الغياب إلى الحضور، فهذا الالتفات يعطي المفردة القرآنية الملتفت إليها إيقاعها الذي يتلاءم مع صورة مشهد التجبر والافتخار،

[1] ينظر: سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2270.

الذي يستدعي ضمير الحضور (أنا أكثرُ منك مالاً وأعزُّ نفراً)، مما حقق التماسك النصي شكلاً ودلالةً.

ومثله في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ **الكهف: 105**، العدول من ضمير الغيبة (كفروا بئايات ربهم ولقائه)، إلى ضمير التكلّم (فلا نقيم)، التفات عن قوله (بئايات ربهم)، ومقتضى الظاهر أن يقال (فلا يقيم لهم)، ونفي إقامة الوزن مستعمل في عدم الاعتداد بالشيء، وفي حقارته لأنّ الناس يزنون الأشياء المتنافس في مقاديرها والشيء التّافه لا يوزن، فشبهواْ بالمحقرات على طريقة المكنية وأثبت لهم عدم الوزن تخييلاً، وجعل عدم إقامة الوزن مفرعاً على حبط أعمالهم لأنهم بحبط أعمالهم صاروا محقرين لا شيء لهم من الصَّالحات"[1]، فالغرض البلاغي من هذا الالتفات هو زيادة تحقيرهم، فحوّل هذا الأسلوب ليجذب الانتباه إلى هذا الغرض البلاغي فيتعظ العباد ويجتهدواْ للعمل الصَّالح، فتناسب الالتفات مع المعنى المقصود ممّا حقّق التماسك الشّكلي والدلالي.

4. الانتقال من خطاب الجمع إلى المفرد:

إن المتأمل لحالة الانتقال من الجمع إلى المفرد يشعر بانتقاله من حالة اتساع إلى التمركز في التعبير أو التصوير، فيكشف بذلك جوانب قد تكون خفية مع الصورة المجملة ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ **الكهف:29**، التفات من ضمير الجمع (ربكم) إلى ضمير الإفراد (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، فالخطاب للجميع (ربكم)؛ لأنّ الله رب الجميع ربُّ المؤمنين والكافرين، أمَّا اختيار الإيمان والكفر فهو متعلّق بكل واحد من البشر؛ ولهذا جاء الخطاب للمفرد بعد أن كان للجمع، "والتعبير

[1] الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص48.

(من ربكم) للتذكير بوجوب توحيده، والأمر في قوله (فليؤمن) وفي قوله (فليكفر) للتسوية المكنّى بها عن الوعد والوعيد، وقدَّمَ الإيمانَ على الكفر لأنَّ إيمانهم مرغوب فيه"[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**﴾ **الكهف:30**، بداية كان الحديث عن المؤمنين الذين يعملون الصّالحات (وعملواْ الصّالحات)، وهو يدلُّ على الجمع، وذلك لتحفيز وترغيب المؤمنين على الإكثار من الأعمال الصّالحة، فيتحوّل إلى المفرد (أجرَ)، فالأعمال الصالحات يترتب عليها أجور، ولكن سياق النفي الذي خصَّ القليل فإنّه يشمل الكثير؛ فإذا كان عند الله القليل من الصالحات لا يضيع، فلن يضيع لديه الكثير.

ومن باب الأدب في الخطاب والحديث ما تمثل على لسان فتى موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**﴾ **الكهف:63**، فانتقل من المثنى (أوينا) والآية التي قبلها كذلك المثنى (نسيا)، إلى المفرد في هذه الآية (فإني نسيت)، يذكر القرطبي في تفسيره: " (فلما جاوزا) يعني الحوت هناك منسياً. أي متروكاً، فلما سأل موسى الغداء نسب الفتى النسيان إلى نفسه عند المخاطبة، وإنما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصّخرة، فقد كان موسى شريكاً في النسيان؛ لأن النسيان التأخير...فلما مضيا من الصخرة أخَّرا حوتهما عن حمله فلم يحمله واحد منهما، فجاز أن ينسب إليهما لأنهما مضيا وتركا الحوت"[2]، ولكن الفتى احتراما وتأدبا مع النبي موسى (عليه السلام) لم يشركه في فعل النسيان، ونذكر في هذا المقام خلق موسى وطيب معاملته للفتى فلم يقل (ذلك ما كنت أبغ) بل أشركه معه في الفعل فقال (ذلك ما كنَّا نبغ).

ومثل ذلك سيدنا الخَضِر عليه السلام تمثل فيه نفس الخلق من التّأدّب في الخطاب بإضافة الخير إلى الله؛ حيث قال الله على إعابة السّفينة على لسان الخَضِر عليه السلام (فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

[1] المصدر السابق، ج15، ص307.

[2] ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج10، ص314.

ملك يأخذ كلَّ سفينةٍ غصباً)، فنسب الخَضِر العيب إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله لأنه تسبب في حدوثه"[1]، فجاء الالتفات وفقاً لمراد المعنى ممّا ساهم في تحقيق الاتساق في الآيتين.

ومن الأمثلة التي جمعت غير نوع من الالتفات ما في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ **الكهف:13**، إذ تبدأ الآية بأسلوب المتكلم المفرد، و(نحن) لتعظيم ذات الله عزَّ وجلّ، إلى ضمير الجمع الغائب (إنّهم فتيةٌ)، (ءامنواْ بربهم)، اختصَّ علم اليقين بالله تعالى فكان الضمير نحن الذي يفيد التعظيم، ويضفي ظلالا على تفرّد الله تعالى بالعلم وحده دون غيره، والانتقال من (آمنوا) حسب ما يُمهّدُ له الأسلوب السابق إلى (بربهم) وذلك لربط الإيمان بالرَّبّ، وهذا مما يقرب العبد إلى ربه ويحببه إليه، وذلك تأكيدٌ للمعنى، وهو ما أشار إليه صاحب روح المعاني في تفسيره لهذه الآية حيث يقول: "وفيه التفات من التّكلم إلى الغيبة، وأوثر للإشعار بعلية وصف الرّبوبية لإيمانهم ولما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم"[2]، فجاء الالتفات لتأكيد المعنى في أسلوب محكم منتظمٍ متّسِق شكلاً ودلالةً.

5. الانتقال من الإشارة إلى الغائب:

وبما أن الإشارة في الغالب تعطي ملمح الحضور ففي قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾ **الكهف:98**، "والإشارة بهذا إلى الرّدم، وهو رحمة للناس لما فيه من رد فساد أمّة يأجوج ومأجوج عن أمّةٍ أخرى صالحة، و(من) ابتدائية، وجعلت من الله لأن الله ألهمه لذلك ويسّر له ما هو صعبٌ...والوعد هو الإخبار بأمر مستقبل...جعله ذكّاً، أي جعله مدكوكاً وهو ما سيؤول إليه في الزمن الآتي وهو الزمن الغائب"[3]، فالالتفات من اسم الإشارة (هذا) الذي يدلّ على الحضور، إلى ضمير الغياب (جعله) حقّق تناسباً بين الحضور والغياب وتماسكاً في اللفظ والمعنى.

---

[1] ينظر: محمود السيّد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، ص346-347.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، مج8، ج15، ص217-218.

[3] ينظر: الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج16، ص39-40.

ومن أسرار الالتفات التي تلزم السامع في التفكير ما في قوله تعالى: ﴿**كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا**﴾ **الكهف: 33**، في الآية نظام نحوي له سمة خاصة، فقد أخذ النحاة منها أنه يخبر عن (كلتا) بالمفرد، على أساس اللفظ وليس المعنى. وبناء على ذلك لا يتشكل أسلوب التفات، أما من نظر في العبارة بعمق وربط المعاني بالأسلوب الذي اختارته الآيات، حيث المشهد بين منظورين لشخصين مختلفين: الأول ينظر إلى نعم الدنيا بعين التعظيم، فيرى الشيء أكبر من حقيقته، ولذا يضل ويغوى بها وهذا حال الكافر. والثاني ينظر إليها بعين الزهد والرضا فيراها على حقيقتها وربما أقل من ذلك، فالانتقال من التثنية إلى المفرد هو انتقال بين حالتين وشخصيتين متمايزتين، الكافر من منظور والمؤمن الراهن والمزيد عن الله من منظور آخر.

6. الانتقال بين صيغ الأفعال:

الأفعال ذات طبيعة تصويرية، بحيث تنقل المشهد بأسلوب يتعايش مع الحدث، والتنوع في الأفعال أو الانتقال من صيغة إلى أخرى، فيلفت انتباه السامع، ويناسب مفردات المشهد في نظم قادر على تحليل الأبعاد النفسية، ومن ذلك ما يتمثل في قوله تعالى: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ **الكهف:49**. تتابع لصيغ الأفعال (وضع)، (فترى)، (ووجدواْ)، (ولا يظلم ربك أحداً)، فالفعل الماضي (وُضِعَ) الذي بدأ معه المشهد يدل على تمكّن الحدث وحتمية وقوعه، ثم يليه الفعل المضارع المتميز بقدرته على تصوير المشهد وتحليله، فتتابعت الأفعال المضارعة (فترى)، (ويقولون)، (لا يغادر)، بالإضافة إلى اسم الفاعل (مشفقين) الذي كشف البعد النفسي لدى المجرمين. فيعود النّظم إلى الفعل الماضي (ووجدواْ ما عملواْ حاضراً) ليصف الأحداث وهو وقوف المجرمين أمام هذه المفاجأة غير السّارّة لهم، ويُخْتَمُ المشهد بهذه الحقيقة التي لا مفرّ منها (ولا يظلم ربك أحداً)، ليرجع الإنسان إلى عدل ربّه آمناً مطمئناً، فيكون الالتفات بين هذه الصيّغ قد صوّر مشهداً من مشاهد يوم القيامة، بأسلوب منتظمٍ متماسك الأجزاء بين ألفاظه ومعانيه.

ومن أسلوب الالتفات القائم على صيغ الأفعال ما نجده في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ **الكهف:31**، يصوّر صاحب الظلال هذا المقطع بقوله: " الذين آمنواْ وعملواْ الصّالحات في جنّات عدن، للإقامة تجري من تحتهم الأنهار بالرّي وبهجة المنظر واعتدال النّسيم، وهم هنالك للارتفاق حقّاً (متّكئين فيها على الأرائك) وهم رافلون في ألوان من الحرير، من سندس ناعم خفيف ومن إستبرق مخمل كثيف، تزيد عليها أساور من ذهب للزّينة والمتاع (نعم الثواب وحسنت مرتفقاً)"[1]تسير الأفعال في نسق واحد (تجري)، (يُحَلَّوْنَ)، (يلبسون)، ودلالة الفعل التّجدّد والتّغيّر، فانسجم كل ذلك مع المياه والتّحلية واللّباس، وبعدها يتحوّل التعبير إلى الاسم ليعطي ملامح الثّبات والدّوام؛ إذ كان بإمكانه أن يكون التعبير (يتّكئون)، على حسب مقتضى الظاهر والتّتابع السّياقي للكلام، ولكن تحوّل التعبير من الفعلية إلى الاسمية (متّكئين)، فبعد هذا الالتفات في صيّغ الأفعال من التّغيُّر والتجدد إلى الثّبات والدّوام يجعلُ المتلقي يشعر بالهدوء والاستقرار، فأعطى الالتفات انسجاماً واتّساقاً بين دلالة صيغ الأفعال والمعنى المراد والمقصود من النّظم القرآني. ومما ذكر من أمثلة يتبين منها أن أسلوب الالتفات أسلوب عدولي فيه الخروج عن مقتضى الظاهر، الذي يهب له السياق وهذا الأسلوب يعطي المتكلم أو الكاتب مجالا رحبا للتعبير عن الآراء بطرق مختلفة"[2].

[1] سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ج15، ص2269-2270.

[2] أحمد مطلوب، أساليب بلاغية (الفصاحة-البلاغة-المعاني)، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1981م، ص287.

المبحث الخامس: الاتساق في تراكيب الوصل في سورة يوسف

لاشكّ أن من أسرار البلاغة العلم بمواطن الوصل والفصل في الكلام، وإدراك مواطن الفصل والوصل لا يتأتّى إلاّ لمن أُوتي حظّاً من المعرفة في ذوق الكلام، فقد جاء عن أحدهم حينما سُئِلَ عن حدِّ البلاغة، فأجاب قائلاً: البلاغةُ هي معرفة الفصل من الوصل.

نحاول في هذا المبحث الكشف عن مواطن الوصل والفصل في سورة يوسف

1-مواضع الوصل:

: 1 1.اشتراك الجملتين في الحكم الإعرابي:

الجملُ المعطوفُ بعضُها على بعض على ضربين: منها أن يكون للمعطوف عليها موضعٌ من الإعراب، "فإذا كانت الجملة الأولى واقعةً موقعَ المفرد، كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد على المفرد، وكان وجه الحاجة إلى "الواو" ظاهرًا، والإشراكُ بها في الحكم موجوداً"[1]، ومما جاء على هذا الموضع من الوصل في قوله تعالى: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ **يوسف: 12**، الوصل الإضافي في جملة (يلعب) معطوفة على جملة (يرتع) لقصد التشريك في الحكم الإعرابي لما لها من تناسب وهما جملتان فعليتان إذ تبين لنا من خلال الآيات السابقة واللاحقة أن يوسف عليه السلام لم يشترك معهم في اللعب، وتبين الآية على مدى حرص إخوة يوسف على أخذه معهم، لينفذوا مكيدتهم فلذلك أصروا على اصطحابه، وبذلوا قصارى ما في وسعهم من أجل إقناع أبيهم، "ولعلَّ يعقوب عليه السلام كان لا يأذن ليوسف - عليه السلام - بالخروج مع إخوته للرعي أو للعب خوفا عليه من أن يصيبه سوء من كيدهم"[2]، وكذلك "واو" الحال في جملة (وإنَّا له لحافظون) كلّ ذلك ساهم في الربط داخل الجلمة النّصية.

ومثل ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ**﴾ **يوسف:7.**

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ص223.

[2] التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور، ج12، ص227.

ففي الآية جملتان (لقد كان في يوسف)، (وإخوته آيات السائلين) فكلاهما لهما موقع من الإعراب واشتراكهما في الحكم الإعرابي لما لهما تناسب في المعنى بأن كليهما يشتركان بأنها آيات للسائلين، "فإن جملة (وإخوته) معطوف "بالواو" على جملة (في يوسف) والجار والمجرور (في يوسف) في محل نصب متعلق بخبر كان المقدم و(آيات للسائلين) اسم كان مؤخراً"[1].

ومن الوصل النصي الزمني (كان) الذي يعود على ما مضى من الزمن، واصلاً الماضي بالحاضر؛ ذلك أن الخطاب موجّهٌ لمن يسأل عن خبر يوسف، فلذلك كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات أي عِبَرٌ ومواعظ للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه، فكانت أداة الوصل "الواو" فضل قوة الجمع بينهما مفيدة دلالة عظيمة من العبر والمواعظ، كما ساهمت في تماسك القصص القرآني في السّورة.

ومن ذلك قوله تعالى أيضا: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾ **يوسف: 43.**

بدأت الآية بحرف العطف "الواو" وهو عطف نص على نص آخر قبله، وكذلك جملة (وسبعَ سنبلات خضرٍ) معطوف بـ"الواو" على جملة (سبع بقرات سمان) وأشركت الواو بينهما في الجمع، وفي نفس الحكم الإعرابي، ولوقوعها صفة، سمان: صفة ـ نعت لبقرات وعجافٌ: صفة ـ نعت لسبع مرفوعة مثلها[2]. والآية كلها لها معنى الصفة فضلا عما لها من تناسب، إذ استطاع العطف بين الجمل أن يبين لنا صفات تلك الرؤيا، "وهذا عطف جزء من قصة على جزء منها تكملة الوصف خلاص يوسف – عليه السلام – من السجن وقوله سمان جمع سمينة وسمين مثل كرام، وهو وصف لبقرات، وتقديم

[1] بهجت عبد الواحد السيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز، مكتبة دندنيس، عمان، ط1، (1422هـ/2001م)، مج5، ص14.

[2] ينظر: نفس المرجع، ص65.

الرؤيا على عامله وهو تعبرون للرعاية على الفاصلة، مع الاهتمام بالرؤيا في التعبير، والتعريف في (الرؤيا) تعريف الجنس"[1]، فعملت أداة الرّبط "الواو" على الاتساق داخل الآية.

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ **يوسف:86.**

ففي قوله هذا عطف المفرد على المفرد، وكانت هناك جهة جامعة بينهما؛ ألا وهي "الواو" فشاركت الجملتين في نفس الإعراب، (فالمعطوف لازم للمعطوف عليه)[2] فجاءت (وحزني) معطوف بالواو على (بثي) ويُعرَب مثلُه، وكذلك (وأعلم) معطوفة بالواو على (أشكو) وتُعرَبُ مثلُها، فكان لحرف العطف "الواو" فضل قوة الجمع وتأدية المعنى لما يخلق تناسباً بين الجمل، فحقق التماسك الشكلي والدلالي داخل الآية، "وجملة (إنما أشكو بثّي وحزني إلى الله) مفيدة قصر شكواه على التّعلق باسم الله، فيُبَيّن لنا العطف في هذه الآية، المعنى النفسي الذي يعيشه سيدنا يعقوب – عليه السلام – من الهمّ الشّديد أي (البَثّ)، والحزن وهو الأسف على فائت، مقصراً شكواه إلى الله تعالى فصارت الشّكوى بهذا القصد ضراعة، والدّعاء عبادة، وصار ابيضاض عينيه النّاشئ عن التّذكر النّاشئ عن الشّكوى، أثراً جسدياً ناشئاً عن عبادة، مثل تفطّر أقدام النبيّ من قيام الليل، فصار يعقوب عليه السلام مهتما بالتفكير في مصير إبنه يوسف عليه السلام[3]

1.1.1 اشتراكهما في وصل حالة المتحدث عنه:

لأن أحدهما تعطف على الأخرى لهذه المناسبة لتكمل وصف الحال، أو "أن يكون المحدّث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدّثِ عنه في الأخرى"[4]

---

[1] ينظر: الطّاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، ج12، ص279-281.

[2] عفّت الشّرقاوي، بلاغة القرآن الكريم دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، 1981م، ص227.

[3] الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج13، ص45.

[4] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص225.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ **يوسف: 31**، بدأت الآية الكريمة بالوصل الإضافي والسببي نحو (فلمّا)، ليتم الرّبط بين هذه الآية والتي قبلها، وكذلك الربط الداخلي بالوصل السببي الشرطي (**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ**)، والوصل الإضافي في المتعاطفات في قوله تعالى: (**وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ**)، كما يتتابع الوصل الإضافي والسببي مع العطف بعدهما، في قوله تعالى: (**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ**) وعمل كل منهما على التماسك، وتتابع الوصل الإضافي بالعطف في قوله تعالى: (**وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**)، ثم يليه الوصل السببي في مقول القول (**حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**)، وهذا الترابط ساهم في التماسك داخل الجملة، ومما حقّق الاتساق بين هذه الآية والتي قبلها الوصل السببي في بداية الآية، فتتابعت الأحداث متناسقة متسقة، كما نجد الوصل بين الجمل وذلك للمناسبة بينه في أن المسند إليها فيها جميعا هو الضمير العائد على امرأة العزيز، فتأتي "الجملة الثانية موصولة بالأولى استكمالا لوصف حالهن، عند هيئة جلوسهن بأنهن جالسات قعودا وماسكات للسّكاكين، وتناسبها في وصف حالهن، عند دخول يوسف عليه السلام عليهنّ، وأطلق على كلامهن اسم المكر، قيل لأنهن أردن بذلك أن يبلغ قولهن إليها فيغريها بعرضها يوسف – عليه السلام – عليهن، فيرين جماله لأنهن أحببن أن يرينه، **وجملة** ﴿**وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً**﴾ معطوفة على الواو على جملة (**أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ**) وهنا يكمل اشتراكها في الوصل"[1].

ومثل قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾ **يوسف: 105**، الواو في بداية الآية عطف على الجملة التي قبلها (**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**)، ومعنى كلمة الآية هي العلامة الدالة على وحدانية الله تعالى بقرينة ذكر الإشراك بعدها، ثمّ عطفت جملة و(الأرض) بالواو على السموات وهما متعلقان بصفة محذوفة من (آية)،

[1] ينظر: الطّاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص262.

والجملة الاسمية (**وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**) بمعنى يصدون عنها ولا يعيرونها اهتماماً، فهنا تمّ وصف حال المتحدّث عنهم، وهم الذين يمرون على آيات الله معرضون (أي المشركون من العرب فالآية تبيّن حال المشركين وتصفهم بالإعراض، فساهمت أدوات العطف واو العطف و واو الحال في تماسك نص الآية والربط بين أجزائها.

جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ **يوسف:18**، فبدأت الآية بالوصل للربط بين هذه الآية والتي قبلها، ويأتي حرف العطف (بل) من أدوات الوصل العكسي، في ترابط أجزاء نص الآية، فقد أضرب يعقوب عن حجتهم إلى غيرها (**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا**)، والعطف في "جملة (**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ**) في موضع الحال الآية هنا تبين وصف حال الغائب وهو يوسف -عليه السلام- بالضمير العائد عليه (الهاء) في (قميصه) ووصف الدم بالكذب وصف بالمصدر، والمصدر هنا بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، أي مكذوب كونه دم يوسف- عليه السلام - فهو دم حق ولكن ليس دم يوسف عليه السلام فكان الوصل في هذا الموضع وصل المعنى، وكانت حالة القميص بحال قميص من يأكله من الذنب، وقوله (**عَلَى قَمِيصِهِ**) حال من (دم) فقُدِّمَ على صاحب الحال"[1]، ساهمت أدوات العطف في الربط بين أجزاء الآية شكلاً ودلالة.

1.1.2 وصل بين الجمل عندما تكون علاقته لعلاقة السبب والمسبب:

جاء في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ **يوسف: 25.**

فجملة (واستبقا الباب) موصولة بجملة (**وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ**) وذلك أن الاستباق كان سبب بالقدِّ، وبهذا أعطفت الجملتان على بعض للمناسبة بينهما، في أن إحداهما سبب والأخرى نتيجة له، فالجملة الأولى (واستبقنا الباب)، "قال العلماء: وهذا من اختصار القرآن المعجز الذي يجتمع

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص238.

فيه المعاني، وذلك أنه لما رأى برهان ربه؛ هرب منها فتعاديا، هي لترده إلى نفسها، وهو ليهرب عنها، فأدركته قبل أن يخرج، (وقدت قميصه من دبر) أي من خلفه، قبضت في أعلى قميصه (فتخرق القميص عنه طوقه ونزل التخريق إلى أسفل القميص، والاستباق طلب السّبق إلى الشيء"[1]، ولذلك بدأت الآية باستمرار محاولة المراودة من امرأة العزيز باستخدام أداة الوصل "الواو" دون إشراك يوسف في ذلك، والآية غنية بأدوات الربط "الواو" (واستبقا، وألفيا، وقدّت) وأداة الربط "أو" (يسجن أو عذاب أليم)، وكلها ساهمت في الربط داخل الجملة النصية وتقوية المعنى.

ومن شواهد هذا الموضع أيضا قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ **يوسف:22.**

ورد الوصل السببي بالأداة (لما) رابطاً على مستوى الجملة بين طرفي الشرط في قوله تعالى: (**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ**) (**آتَيْنَاهُ حُكْمًا**)، وكذا الوصل الإضافي بالعطف والاستئناف في قوله تعالى: (**وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**)، عطف (علماً) على (حكماً) للمناسبة بينهما وأشركت الواو بينهما فكانت الآية عبارة عن إخبار عن اصطفاء يوسف – عليه السلام –للنبوءة فكان (بلوغ الأشد) سبباً في وقوع النتيجة وهي إتيانه الحكم والعلم، وكان ذلك بمصر لمناسبة ذكر منة الله عليه بتمكينه في الأرض وتعليمه تأويل الأحاديث، والمراد بالعلم، علم زائد على النبوءة، وتنكير (علماً) للنوعية أو التعظيم، وكذلك في قوله تعالى: " **وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** " إيماء إلى أن إحسانه هو سبب جزائه بتلك النعمة.[2]

2.1 اتفاق الجملتين خبرًا وإنشاء: "وكانت بينهما جهة جامعة، أي مناسبة تامة ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما"[3]

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج5، ج9، ص120.

[2] التحرير والتقدير محمد بن عاشور، ج12، ص248.

[3] ينظر: عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، (1430هـ/2009م)، ص168.

فجاء في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ **يوسف:4**. ففي الآية ربط بين الجملتين في المعنى "فأفاد العطف بالواو بينها، والنداء في الآية مع كون المنادى حاضراً مقصود به الاهتمام بالخبر الذي سيلقي إلى المخاطب، فينزل المخاطب منزلة الغائب المطلوب حضوره.

وجملة (رأيتهم) مؤكدة لجملة (**رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**) فالمخبر يؤكد الرؤيا واستعمل ضمير جمع المذكر للكواكب والشمس والقمر في قوله تعالى: (**رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**)؛ لأن كون ذلك للعقلاء غالب لا مطّردٌ، وهي حالة السّجود نزَّلها منزلة العقلاء، كما جعل الله تلك الرّؤيا تنبيهاً لعلوٍّ شأنه ليتذكرها كلما حلَّت به ضائقة

وأخبر يوسف – عليه السلام – أباه بهاته الرؤيا لأنه علم بالإلهام، أو بتعليم سابق من أبيه أن للرؤيا تعبيراً"[1]، "فأفادت الواو الوصل بين المفردات لتأكيد على ما رآه من (الشمس والقمر والكواكب) وجاءت مسنداً، وعبرت هذه الدلالة على التعظيم والطاعة والسجود، وأدوات الوصل ساهمت بشكل كبير في تماسك نص الآية، من هذه الأدوات الوصل الإضافي "الواو" في قوله (**رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**) بالرّبط مع الفعل (رأيت) الأول الذي هو بمثابة محور القصّة، وتأخر عطف الشمس والقمر على الكواكب لشرفهما ومزيتهما، أمّا الوصل السببي بين فعل القول ومقوله وهي قوله تعالى: (**يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ**)

مما جاء كذلك في قوله تعالى: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ **يوسف: 101**.

أفادت (الواو) الواصلة بين الجمل في الآية، الجمع والتشريك؛ لتوضيح المعنى واتصاله بما قبله أو بعده، "إذ تُبَيِّنُ الآية شكر نعمة الله بتوجُّهِهِ إلى مناجاة ربه، بالاعتراف بأعظم نعم الدنيا، والنعمة

[1] التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور، ج12، ص 207.

العظمى في الآخرة، فذكر ثلاثَ نعمٍ: اثنتانِ دُنيويتانِ: وهما نعمةُ الولاية على الأرض ونعمةُ العلمِ، والثالثة أُخْرَوِيَّةٌ وهي نعمةُ الدّينِ الحقِّ المعبَّر عنه بالإسلام.

وبهذا يكون المرادُ بالمُلْكِ التصرفَ العظيمَ الشبيهَ بتَرُّفِ المِلكِ، وفاطرَ السموات والأرض نداءٌ محذوفٌ حرفُ ندائهِ، والفاطِرُ: الخالقُ، و(الأرض) معطوفة بالواو على (السموات) لوجود مناسبة بينهما، وجملة " أنت ولي في الدنيا والآخرة" من قبيلِ الخبر في إنشاء الدعاء، وإن أمكن حملُه على الإخبار بالنسبة لِوِلايَةِ الدّنيا"[1]، هكذا يتضح المعنى من خلال الوصل الذي أضفى بجمالية أسلوب النّص القرآني مع نظمه المحكم المتماسك شكلاً ودلالةً.

1.2.1 اتفاق الجملتين خبرا بالإنشاء لفظا ومعنى:

أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني لأن الواو هي الرابطة بين الجمل حتى تتفق فيما بينها مع ما فيها من تناسب ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾ **يوسف:29.**

فعطفت جملتان متّحدتان لهما نفس المعنى واللفظ، وكانت "الواو" العاطفة عطفت جملة (**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ**) على جملة (**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**)، فعطف الأمر على الأمر، والمأمور مختلف، فيتضح أن يوسف أمر بالإعراض عما رمت عليه أي عدم مؤاخذتها بذلك، وبالكفِّ عن إعادة الخوض فيه، وأمرها بالاستغفار عن الذنب الذي اقترفته، فكان الوصل بينهما لإنشائيتهما، لأن كلاً من الإعراض والاستغفار كان للأمر واحد وحدث.

واحد وهو حدث المراودة الذي قامت به امرأة العزيز ورفض يوسف عليه السلام، أي الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو بريء منه.[2]

"واكتفى العزيز بأن طلب من يوسف عليه السلام أن يُعرض عن الموضوع لأن امرأته كانت من المخطئين لقوله (**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**) من قول العزيز إذ هو صاحب الحكم.

---

[1] ينظر: الطّاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص59.

[2] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص222.

(**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ**) عطفت على الولي في كلام العزيز خطاب امرأة العزيز، فالعزيز بعد ما خاطبها أن ما دبرته هو من كيد النساء فخاطب يوسف عليه السلام بالنداء ثم أعاد خطابه لامرأته.

فهذا الأسلوب من الخطاب يسمى بالإقبال وقد يسمى بالالتفات بالمعنى اللغوي عند الالتفات البلاغي"[1].

2.2.1 اتفاق الجملتين بالإنشاء لفظاً ومعنى:

جاء في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**﴾ **يوسف:89**. فقد ربط بالوصل الإضافي "الواو" بين الجمل (وأخيه) معطوفة على (يوسف)، وكان الإنشاء في هذه الجمل واضحاً، "فهي جمل استفهامية لفظا ومعنىً، فهو مستعمل للتوبيخ، إذ هو توبيخ على ما فعلوه مع يوسف – عليه السلام – وأخيه، أي أفعالهم الذميمة بقرينة التوبيخ، عند قوله (**قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ**). وهي بالنسبة ليوسف واضحة وأما بالنسبة إلى بنيامين فهي ما كانوا يعاملونه به مع أخيه يوسف – عليه السلام –من الإهانة التي تنافيها الأخوة، ولذلك جعل ذلك الزمن زمن جهالتهم بقوله (**إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**)"[2]

1.2.2 الاتفاق في الخبر:

فالخبر ما يصح أن يقال لقائله، والأصل في الخبر أن يلقى لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه جاء في قوله تعالى: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ **يوسف:9**.

الآية تبين تشاور الإخوة بأمر صحبة يعقوب لابنه يوسف – عليه السلام – فأصدروا الحكم بقتله وإبعاده عنه ليخلوا لكم وجدكم فكان الوصل بين الجملتين "يخل" و"تكونوا" لاتفاقهما في الخبر وتناسبهما فقد جاءت كل واحدة من هذه الجمل موضحة للجملة الآتي قبلها وهو ما أسهم

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص259.

[2] ينظر: نفس المصدر، ج13، ص40.

في تحقيقه وجود الرابط العاطفي هو "الواو"، فالمعنى: "يقولون هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم اعدموه من وجه أبيكم، ليخلو لكم وحدكم، إمّا بأن تقتلوه أو تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه، وتخلوا أنتم بأبيكم، **(وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ)** فأضمروا التّوبة قبل الذنب"[1]، فالربط بالوصل الإضافي "أو" في قوله **(اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا)**، حيث ربط بين الفعلين (اقتلوه، اطرحوه)، على جهة التخير، وتمّ اختيار الإلقاء في الجبّ للرّبط بين هذه الآية والآية التي قبلها، وكذلك أسهم الوصل السببي بالربط بين الفعلين السّابقين، وبين النّتيجة المتوقّعة، ثمّ العطف "بالواو" على النّتيجة بنتيجة أخرى في قوله **(وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ)**، مما جعل هذه الآية متماسكة الأجزاء والوحدات.

ومثال آخر قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾ **يوسف:52**.

الآية تبين موضع الخبر لفظا ومعنىً مما ساهمت "الواو" في الربط والوصل بين هذه الجمل "فجملة **(وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي)** معطوفة على جملة (**لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ)** وقوع الخبر في الجملة **(ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ)** خبر عن اسم الإشارة، وهو علّة ثانية لإصداعها بالحقّ، أي ولأن الله لا يهدي قيد الخائنين، والخبر مستعمل في لازم الفائدة، وهو كون المتكلم عالما بمضمون الكلام لأنّ علّة إقرارها هو علمها بأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين"[2]، فنجد الوصل الإضافي "بالواو" في (لم أخنه، وأن الله)، والسببي بالتعليل (ليعلم) ساهم في ترابط الجملة شكلاً ومضموناً.

[1] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص216.

[2] ينظر: الطّاهر بن عاشور، التحيري والتنوير، ج13، ص293.

1.2 الوصل بين الجملتين إذا اختلفتا خبرا وإنشاء:

ويجب الوصل بين الجملتين إذا اختلفتا خبراً وإنشاءً، وأوهم الفصلُ خلافَ المقصود وهذا الموضوع من مواضع الوصل، وتتمثل شواهد هذا النوع من الوصل في الإجابة بالنفي على سؤال أداته "هل" أو "همزة التصديق" مع التعقيب على جملة الجواب المنفيّ بجملة دعائية"[1]

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ **يوسف:90.**

فجملة (**أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ**) يدل على سؤالهم لما استشعروا من كلامه ثمّ من ملامحه، فأدخل الاستفهام التقرير على الجملة المؤكدة (الألف ألف تقرير بلفظ استفهام)[2] لأن الاستفهام يدل على الاستعظام أي أنهم تعجبوا من أنهم رأوا أخاهم من بعد سنتين وأكثر وهم لا يكفرونه، ولكنه كتم نفسه وعرفها لذلك جاء طرح السؤال، لأنهم تطلبوا تأييده لعلمهم به. وفائدة الخبر في هذه الآية يأتي في الجملة الثانية من قوله (**وَهَذَا أَخِي**) خبر مستعمل في التعجيب من جمع الله بينهما بعد طول الفرقة، وجملة (**قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا**) بيان للمقصود من جملة (**وَهَذَا أَخِي**)، وجملة (**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ**) تعليل لجملة (**مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا**)"[3]، فقد ساهم كلٌّ من الوصل الإضافي والسببي في تحقيق التماسك الشكلي والدلالي على مستوى الآية.

ومثال آخر يوضح هذا النوع من الوصل قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ **يوسف:64.**

فالجملة إنشائية استفهامية في قوله (**هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ**)، خبرية في المعنى في جملة النفي، فهو يستفهم عن وجه التأكيد، والجملة الثانية دالة على الصدق، في القول والمقصود منها على احتمالها للتفريع في قوله (**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا**) أي خير حافظاً منكم، وهم قد اقتنعوا بجوابه وعلموا منه أنه

---

[1] عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية، علم المعاني، ص169.

[2] بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، ص 125.

[3] ينظر: الطّاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13ن ص49.

مُرسِلٌ معهم، أخاهم ولذلك لم يراجعوه في شانه.[1]، فالوصل في الجملة الدّعائية ثم الوصل الإضافي (**وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**) ساهم في تحقيق الترابط.

وقال تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ **يوسف:107**.

تبين الجملتان حالهم وجرأتهم على خالقهم والاستمرار على ذلك دون إقلاع، وقد استعمل الاستفهام للتوبيخ في قوله (أفأمنوا)، "فجملة (**تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ**) معطوفة على (**تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ**) وحرِّكت الميم بالضَّمّ في قوله (**تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ**) للوصل – التقاء الساكنين– [2].

واللام في (**لَا يَشْعُرُونَ**) في موضع الخبر، وجملة (**أَفَأَمِنُوا**) جملة إنشائية، وكان الأمر يقتضي الفصل للاختلاف خبرا وإنشاء، وكذلك الحال في الجملة، وكان العطف بينهما يوهم الخلاف المقصود من ضمير الغائبين (هم)، فهذا العطف في الآية من خلال الوصل الإضافي "بالفاء" في (أفأمنواْ) و "أو" في (**أَوْ تَأْتِيَهُمُ**)، ثمّ "واو" الحال التي ربطت الحال بصاحبها في (**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**)، كلّ هذه الأدوات ساهمت في الربط بين أجزاء الآية لفظاً ومعنىً.

2– مواضع الفصل:

1 –2كمال الاتصال

أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، بمعنى أن يكون بينهما اتصال كامل، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى أو بيانا لها أو بدلا منها، ويقال حينئذ إن بين الجملتين كمال الاتصال[3]

[1] ينظر: المصدر السابق، ج13، ص16.

[2] بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، ص 143.

[3] عبد العزيز عتيق، علم المعاني في البلاغة العربية، ص 161.

1.1. 2 الجملة الثانية توكيدا للأولى:

وذلك يشبه أن يكون توكيدا لفظيا أو معنويا وأن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى من حيث معناها وجاء مثل هذا في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ **يوسف:31**

فقوله (**إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**) تأكيد للجملة التي قبلها (**مَا هَذَا بَشَرًا**)، فالاتحاد التام بين الجملتين قد دعي إلى ترك العطف بينهما، فضلاً على أن الثانية جاءت تأكيداً للأولى.

ومن الناحية للجمالية لهذا الأسلوب، في قوله (**مَا هَذَا بَشَرًا**) مبالغة في فوته محاسن البشر، فمعناه التّفضيل في محاسن البشر، وهو ضد معنى التشابه في باب التشابه، وشبّهنه بواحد من الملائكة تشبيهاً بليغاً مؤكّداً"[1]

أما إذا أردنا التحدّث بلغة الأرقام، فإننا نجد أن الوصل بجميع أقسامه ساهم بشكل كبير في اتساق السّورة، فالوصل الإضافي (73)، والوصل الزمني (29)، والوصل السببي (27)، والوصل العكسي (8)، فكان المجموع هو (137).

فمهما اختلفت وتباينت عدد وسائل الاتساق من حيث توظيفها؛ إلاّ أنها حققت التماسك في البنية اللغوية العامة، والترابط الشكلي والدلالي على مستوى أجزاء القصص القرآني للسّورة.

[1] الطّاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص263.

الخاتمة

خاتمة:

بعد هذا العمل المتواضع الذي تطرق فيه الباحث لموضوع "**الاتساق في أساليب القصص القرآني**" مع التطبيق لنماذج من القصص القرآني باعتبارها نصاً محكماً، فكان لابد من التوصل إلى النتائج الآتية:

– نستخلص مما سبق أن الاتساق والانسجام ضروريان في بناء النص، فهما وجهان لعملة واحدة، إذ لا يمكن دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر، فالعلاقة بين هذين المصطلحين علاقة تكاملية، فالاتِّساق والانسجام يحققان التماسك النصي.

– ساهمت الإحالة بنوعيها القبلية والبعدية في تماسك سورة طه، وكان الضمير الإحالي حاضراً بكثرة، فكان منه ما يخص السورة بأكملها فعمل على اتساق مقاطع بعضها ببعض، وكان منه ما عمل على تماسك مقاطع معينة أو داخل وحدة أو آية لوحدها.

– ساهم الاستبدال في الربط بين أجزاء سورة طه؛ وذلك بالعودة إلى المستبدل لمعرفة عنصر الاستبدال الجديد.

– أسهم الوصل في اتساق سورة طه وتماسكها، بالربط بين الآيات فيما بينها، وذلك من خلال تجلي جميع أنواعه؛ إلا أنّه من البديهي كما هي طبيعة السّور القصصية، أن يكون الوصل الإضافي هو أكثر وروداً في السورة، يليه الوصل السببي، ثمّ الوصل العكسي والزمني.

– ومن الأدوات الاتساقية كذلك أدوات العطف، والتي تُعَدُّ من أهم الأدوات تحقيقاً للاتساق، كون سورة طه، ذات الطّبيعة القصصية، عبارة عن آيات متتاليات متعاقبات خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر ربطٍ، فكانت تلك مهمة أدوات العطف.

– إنّ لكل خطاب خصائصه، ومن خصائص الخطاب القرآني أنّ للفظِ دلالةً متجددةً بتجدّدِ السّياق الذي ترد فيه، ووظيفة نصية داخل الوظيفة العامة التواصلية للنص، وهي البنية الأساسية المكوِّنة لأجزائه.

– تعد آلية الاتساق المعجمي التي تعتمد على التكرار والتضام من أكثر الظواهر انتشاراً في النصوص العربية، والنص القرآني خيرُ مثال على ذلك، إذ تتداخل مع جميع الظّواهر النحوية والبلاغية لإحداث التأثير وتحقيق والغاية.

– برهنت الدراسة أن سورة الشعراء اتسقت بطرائق جعلتها بنية كبرى، ذات معنى واحد وهدف واحدٍ، هي أنّ الله ناصر أنبيائه وأوليائه، وغالب وهالك أعدائه.

– يعد التكرار في سورة الشّعراء من أهم وسائل الاتساق، إذ كانت السورة تتميّز بطبيعة تكرارية، فقد أدت هذه الوسيلة وظيفة مهمة في ربط أجزاء القصص، عن طريق تكرار بعض الكلمات التي كانت محورية في السورة، وكذلك تكرار بعض العبارات والمقاطع فيها.

– أدى التكرار إلى وحدة الموضوع الأساس لسورة الشّعراء، فقد وظِّف لترسيخ العقيدة، والتصديق بالرّسول – ﷺ –، والخوف من عاقبة تكذيب الأنبياء والمرسلين– عليهم السلام–.

– كشفت الدراسة أن الحذف في القرآن متنوع الأصناف والدلالات.

– وأنّ تقدير المحذوف يخضع لاجتهاد المتلقي – المفسِّر والمعرِب – ووفق طبيعة الموقف المدروس من خلال القوانين اللغوية العربية، التي استنبطها اللغويون والنحاة من القرآن والحديث والمدونة الشعرية العربية خصوصاً والكلام العربي عموماً.

– الحذف أداة تواصل بين أسلوب كتاب الله تعالى ومتلقيه فبتقدير المحذوف تتجلّى معاني الآيات أكثر وضوحاً وبياناً.

– يشغل الحذف حيّزاً شاسعاً في كثير من فنون الأدب العربي، غير أنه في القصص القرآني، أكثر تأثيراً وتحفيزاً لفضول متلقيه ودارسيه.

– توصّلت الدراسة أن المفسِّرين والمعرِبين قد يختلفون في تقدير المحذوف، ولكن لا يختلفون في موضع الحذف.

– أنواع المحذوفات الأكثر وروداً في سورة طه، هي حذف الحرف وحذف الكلمة.

– كان للتقديم في سورة مريم، أهمية في إظهار العناية بالمقدم، ولفت انتباه المتلقي إليه، وأفاد دلالات بلاغية مهمة كالاختصاص، وتقوية المعنى وتوكيده، والعناية والاهتمام، وبرز من دواعي التقديم المعنوي في السورة: تقديم السّبب على النتيجة، والأسبق في الوجود على من بعده، وتقديم الأشرف، ومراعاة المقام، وتقديم التخلية على التحلية.

– التكرار الأسلوبي المنتظم الذي تحقق في سورة الكهف له انعكاسات وتأثير على الجوانب المختلفة في النص، وجدنا جانبا منها الجانب الصوتي الذي انعكس أثره بشكل جلي، فحقق إيقاعاً خارجياً وداخلياً في آن واحد، وشكّل نغماً موسيقياً، فالتكرار الجميل المتناغم يصبح ظاهرة صوتية تطرب لها الأذن ويشغف بها الفؤاد.

– تتمحور الظواهر الأسلوبية في سورة الكهف، بشكل متناوب نوعاً ما حول الأفكار الرئيسية التي اشتملت عليها السورة: ومنها حقيقة الوحدانية والبعث والصبر، ولذا نلاحظ ظاهرة التكرار الأسلوبي تتمحور عند هذه المحاور الرئيسة.

– الحوار مهم جدا بالنسبة للداعية، ولذلك وجه الله تعالى نبيه إلى هذا الأسلوب في الدعوة فكان الحوار هو الطابع العام في سورة الكهف، حيث وردت ألفاظ الحوار قال وقل وقالوا ما يقارب من سبعين مرة، وذلك للفت الانتباه إلى هذه الغاية، وهي اعتماد الحوار في مرحلة الدعوة أساساً ومنهجاً.

– يكتشف البحث أنّ التكرار يشكّل عنصرَ بناءٍ وربطٍ، فيلازم السّرد وهذا مظهر من مظاهر بنائية الأحداث، وعنصرَ ربطٍ واتّساقٍ بين أول الأحداث ونهايتها، فهو يجمع بين الجمالية والرّبط، فتظهر القصةُ لوحةً واحدة منتظمةَ الأطرافِ والأجزاء، مما يشعر المتلقي بوحدة الموضوع التي يشعر معها بالمتعة والتركيز.

– تنوع فاعلية أسلوب الالتفات في سورة الكهف؛ ليضفي إلى البناء الفني عناصر جمالية ويثري النص في ملامح الشدّ والجذب والإثارة، ومن جهة أخرى كوسيلة للرّبط، ولا يكون هذا الجذب والإثارة والجمالية إلا إذا كان هناك اتساق وترابط في سرد الأحداث وتسلسلها.

– بلاغة أسلوب الوصل تبين أن لحرف "الواو" في سورة يوسف، موضعاً لا تصلح فيه الفاء، وجواز وصل الجملة الخبرية بالإنشائية، لما جاء فيه خلاف بين البلاغيين في هذه الأساليب.

– تخصيص الوصل بالعطف بين الجمل المشتركة فيما بينها، ولها جهة جامعة كاشتراك الجملتين في الحكم الإعرابي، وغيرها من مواضع الوصل والتمثيل لها من سورة يوسف.

– دراسة الموضوعات في القصص القرآني والتعمق في مضامينه، لها من تفسير وبيان ما تتضمنه سورة يوسف من أحداث وعبر.

– استكشاف الكثير من المعاني والألفاظ الغامضة، خاصة عند الدراسات التطبيقية للقصص.

– أسلوب الوصل أسلوب فنّيٌ جمالي، وهو في نفس الوقت أداة من أهم الأدوات تحقيقاً للاتساق، فهو يزاوج بين الفنيّة الجمالية وأداة ربط بين متتاليات، كون النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطٍ، فكان الوصل أحد هذه العناصر.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

المصادر والمراجع العربية

1. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط3، 1966.
2. إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع. الأردن. ط1، 2007م.
3. إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010 م.
4. إبراهيم قلاتي، قصة الأعراب، كتاب في النحو والصرف لجميع المراحل التعليمية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2009م.
5. إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1ن (1424هـ/2003م).
6. إبراهيم الصعبي، القصة في القرآن الكريم.. الخصائص والدلالات، من كتب المستودع بموقع المكتبة الشاملة.
7. ابن الأثير، المثل السائر، في أدب الكتاب والشاعر، تع: أحمد الحوفى وبدوى طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، ط2، (د ت).
8. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.
9. ابن جني أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د ط)، 2006م.
10. ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمان بن محمد، مقدمة بن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي دمشق، ط1(1425هـ/2004م).
11. ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده تح: محمد بدر الدين الحلبي، مطبعة السعادة مصر، ط1(1325هـ/1907م).
12. ابن عطية، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1422هـ/2001م).
13. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط2، (1399هـ/ 1979م).
14. ابن قتيبة عبد الله بن مسلم تأويل مشكل القرآن تح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط2 (1393هـ/1973م)0
15. ابن كثير الدمشقي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تح: محمود بن الجميل، وليد بن محمد بن سلامة، خالد بن محمد بن عثمان، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، (1425هـ/ 2004م).

16.ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة، (1401هـ/1981م)، مادة (و س ق).

17.أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري الزَّجَّاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، (1408هـ/1988م).

18.أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، (1411هـ/1990م).

19.أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، تفسير أبي السُّعُود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د ط)، (1391هـ/1971م).

20.أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د ط)، (1408هـ/ 1987م).

21.أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، (1413هـ/1993م).

22.أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (1405هـ/1984م).

23.أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح: لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط7، (1411هـ/1991م).

24.أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين –الكتابة والشعرتح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ 1952م.

25.أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، (1435هـ/2014م)

26.أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.

27.أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.

28.أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2 (1430هـ/2009م).

29.أحمد مطلوب، أساليب بلاغية (الفصاحة–البلاغة–المعاني)، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1981م.

30.الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون الملفوظ به نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.

31.الأسترآبادي، القاضي أبي الحسن عبد الجبار الأسترآبادي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تح: أمين الخولي، دار الكتب المصرية، (د ط)، (د ت).

32. إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، (1499هـ/ 1979م).

33. أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة (دط)، 2008م.

34. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب ، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، (د ت).

35. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، ولفجانج دريسلر، مطبعة دار الكتاب، ط1، (1413هـ/ 1996م).

36. الأنباري أبو البركات عبد الرحمان بن محمد بن أبي سعيد ، أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، (د ط)، (1377هـ1957م).

37. الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط3، (د ت)

38. بن الأثير الجزري ضياء الدين ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تح: مصطفى جواد، وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د ط)، (1375هـ/1956م).

39. بن جزي أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1(1415هـ/1995م).

40. بن عيسى بالطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

41. بهجت عبد الواحد السيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز، مكتبة دندنيس، عمان، ط1، (1422هـ/2001م).

42. بييرجيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، ط2، دار الحاسوب للطباعة، حلب، 1994م.

43. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، (د ط)، 1994م.

44. الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، (1418هـ/1978م).

45. الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7 (1418هـ/1998م).

46. الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت).

47. الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف ، معجم التعريفات، تح: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط)، 2004م.

48. جمال بن دحمان، الأنساق الذهنية في الخطاب الشعري التشعب والانسجام، ط1، 2009م.
49. جمعان عبد الكريم، إشكاليات النص دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2009م.
50. جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، الألوكة، ط1، 2010م.
51. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د(ط) 1998م.
52. حازم القرطاجني أبو الحسن ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008م.
53. خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، ط2، (1406هـ/1986م).
54. خطابي محمد عبد الرحمان، لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1434هـ/2013م).
55. خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، (1430هـ/2009م).
56. الدامغاني الحسين بن محمد ، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تح: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1983م.
57. الدمشقي الحنبلي أبو حفص عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، (1419هـ/ 1998م).
58. رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2009م.
59. الرَّازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: نصر الله حاجي، دار صادر بيروت، ط1(1424هـ/2004م).
60. الرَّازي، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، التفسير الكبير ومفتاح الغيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، (1401هـ/1981م).
61. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، مادة(ح ذ ف) (د ت)، 1986م.
62. الرَّازي، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.
63. رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1993م.
64. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، مكة، ط1، 1424هـ.

65. الرُّماني، الخطابي، عبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح وتع: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط2، (د ت).

66. الزبيدي السيد محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، دار التراث العربي، الكويت، (د ط)، (1399هـ/1979م).

67. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس، تح: محمود محمد الطناجي، دار التراث العربي، الكويت، ط1، 1413هـ_1993.

68. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، تح: يوسف عبد الرحمان المرعشلي، الشيخ جمال حمدي الذهبي، الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي، دار المعرفة، بيروت، ط1، (1410هـ/1990م).

69. الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، تفسير الكشاف (عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط1، (1430هـ/ 2009م).

70. الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد ، أساس البلاغة، تح: محمود باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (1419هـ/1998م).

71. الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1419هـ/1998م).

72. سالم بن محمد بن سالم المنظري، الترابط النصي في الخطاب السياسي (دراسة في المعاهدات النبوية)، بيت الغشام للنشر والترجمة، سلطنة عمان، ط1، 2015م.

73. السامرائي فاضل صالح ، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1420هـ/2000م).

74. سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، الكويت، ط1، 2003م.

75. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1: 1997م.

76. سعيد حسن بحيري، نظرية النص، منشورات الاختلاف، ط1، 2007م.

77. سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1(1405هـ/1985م)، مج 7، ص 3911.

78. السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 (1403هـ/1983م).

79. سليمان العشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر (د ط)، 1998م.

80. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (1408هـ/1988م).
81. السَّيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، (د ت).
82. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، (1425هـ/2004م).
83. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط10، (1402هـ/1982م). ،
84. السيوطي جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، تع: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1(1429هـ/2008م).
85. السيوطي عبد الرحمان بن الكمال جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د ط)، (1433هـ/2011م).
86. السُّيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ط1، 1988م.
87. شكري محمد عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، مكتبة الجيزة العامة، مصر، ط2(1413هـ/1992م).
88. -شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيُّوب الزرعي ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، لبنان، (د ط)، (د ت).
89. الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، ط1 (1426هـ/ 1393م).
90. الشَّيرازي، ناصر مكارم الدين، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م.
91. الصابوني محمد علي ، إيجاز البيان في سور القرآن، مكتبة الغزالي، مكة، ط2، (1499هـ/1979م).
92. الصابوني محمد علي ، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4(1402هـ/1981م).
93. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1(1434هـ/2000م).
94. صلاح الخالدي، القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م.
95. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.
96. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، مصر، ط1(1419هـ/1998م).
97. عباس حسن، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط3، (دت).
98. عبد السلام المسدِّي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط31977م.
99. عبد العزيز عتيق، البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، (1430هـ/2009م).

100.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، (1413هـ/1992م).

101.عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق)، دار الكتب، القاهرة، ط1، (1411هـ/1991م).

102.عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2006م.

103.عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، (1395هـ/1975م).

104.عبد الله محمود شحاتة، علوم القرآن، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 2002م.

105.عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السَّردي، معالجة تفكيكية سيمائية لرواية" زقاق المِدَق" ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، ابن عكنون، الجزائر، (د ط)، 1995م.

106.عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004م.

107.عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص (المفهوم–العلاقة–السلطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008م.

108.عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي، مجلة فصول. ع2، 1981م.

109.عثمان فوزي علي، مباحث في الإعجاز القرآني، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م.

110.عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية: بين النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب، 2000م.

111.عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الأعلام، الأردن، ط1، (1426هـ/2005م).

112.عزة شبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2 (1430هـ/2009م).

113.عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية القُونَويّ على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، تح: عبد الله محمود و محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1422هـ/2001م).

114.عفّت الشّرقاوي، بلاغة القرآن الكريم دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، 1981م.

115.العُكْبَريّ أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء ، التبيان في إعراب القرآن، بيت الأفكار الدولية، (د ط)، (1419هـ/1998م).

116.عمر محمد عمر باحاذق، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، (1413هـ/1993م).

117.الفَرَّاء أبو زكريا يحي بن زيادٍ ، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، (1403هـ/1983م).

118.الفراهيدي الخليل بن أحمد ، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1424هـ/2002م).

119.فرحان بدري العربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2000م.

120.فضل حسن عباس، غذاء الجَنان بثمر الجِنان محاضرات في علوم القرآن، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، (1427هـ/2007م).

121.فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004م.

122.الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1415هـ/ 1995م).

123.القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تح: الشيخ خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، (1424هـ/2003م).

124.كريم حسين ناصح عثمان الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دراسة دلالية أسلوبية، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، (د ط)، 2007م.

125.الكفوي أبو البقاء ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، (1414هـ/1998م).

126.كوليزار كاكل عزيز، القرينة في اللغة العربية، دار دجلة، عمان، ط1، 2009م.

127.لطفي فكري محمد الجودي، جمالية الخطاب في النص القرآني، قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، (1435هـ/ 2014م).

128.مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

129.مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، دار التحرير للطبع والنشر، ط1 (1409هـ/1989م).

130.محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، (1421هـ/ 2001م).

131.محمد الصادق إبراهيم عرجون، القرآن الكريم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، دار القلم، دمشق، ط1، (1386هـ/1966م).

132.محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (د ط)، 1984م.

133.محمد العبد، اللغة والإبداع الأدبي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2007م.

134.محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، ط1، 2014م.

135.محمد بن سعيد اللويمي، في الأسلوب والأسلوبية، مطابع الحميضي، السعودية، ط1، 2005م.

136.محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، (1428هـ/2007م).

137.محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، (1424هـ/2002م).

138.محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003م.

139.محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.

140.محمد سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 'د ط)، (1428هـ/، 2007م).

141.محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، دار الدعوة للطبع والنشر، مصر، ط1، (1409هـ/1988م).

142.محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994م.

143.محمد عناني، المصطلحات الادبية الحديثة دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط3، 2003م، المعجم.

144.محمد قطب، القصة في القرآن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، 2002م.

145.محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط1، 1970م.

146.محمد مفتاح، النص: من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع -المدارس الدار البيضاء، ط1، (1421هـ/ 2000م).

147.محمد مفتاح، دينامية النص [تنظير وإنجاز]، المركز الثقافي العربي، ط3: 2006م.

148.محمد نور الدين المنجد، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم (بين النظرية والتطبيق)، دار الفكر، دمشق، ط1، (1419هـ/1999م).

149.محمد نور الدين المنجد، التّرادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، ط1، (1417هـ/1997م).

150.محمود السيّد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، (1400هـ/1981م).

151.محمود سليمان ياقوت، إعراب القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د ط) (د ت).

152.محمود عكاشة، تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد، ط1، (1435هـ/2014م).

153.محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (د ت).

154.محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط9، (1426هـ/2005م).

155.مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1997م،

156.مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعنى والاعجاز، دار الفكر، عمان، ط1، (1430هـ/ 2009م).

157.مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، (1412هـ/1991م).

158.مصطفى شريقن، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وأسراره، دار الخلدونية، الجزائر، (د ط)، (1430هـ/2009م).

159.معمر بن المثنّى أبو عبيدة ، مجاز القرآن صنعة، تح: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، 1988م.

160.مقاتل بن سليمان البلخي، الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، تح: حاتم صالح الضامن، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط2، (1432هـ/2011م).

161.مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد ، الهداية إلى بلوغ النهاية، جامعة الشارقة، ط1، (1429هـ/2008م).

162.مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، (1421هـ/2000م).

163.منذر عياشي الكتابة الثانية وفاتحة المتعة، المركز الثقافي العربي، ط1: 1998م.

164.منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار نينوى، دمشق، ط1، (1436هـ/2015م).

165.منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1: 2004م.

166.المنصف عاشور، التركيب عند المقفع في مقدمات كتاب كليلة ودمنة، (دراسة إحصائية وصفية)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982.

167.نادية رمضان النجار، أبحاث نحوية ولغوية، القسم الأول، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006.

168.النحَّاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، إعراب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط2، (1429هـ/2008م).

169.نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، ط1، (1431هـ/2010م).

170.نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1(1429هـ/2009م).

171.نعمان بوقرة، نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية للحديث، مجلة علامات في النقد. ، جمادى الأولى 1428هـ/ماي 2007م.

172.نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2010م.

173.هادي نهر، الإتقان في النحو وإعراب القرآن، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، (1431هـ/2010م).

174.يحى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، مصر، (د ط)، 1323هـ.

175.يسري نوفل، المعايير النصية في السور القرآنية، دراسة تطبيقية مقارنة، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، (1436هـ/ 2014م).

176.يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط1، دار المسيرة، عمان، ط1(1427هـ/ 2007م).

المصادر والمراجع الأجنبية

1. بول ريكور، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، ترجمة محمد برادة –حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2001م.

2. جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986م.

3. جورج يول، معرفة اللغة، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1: 2000م.

4. دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، (1428هـ/2008م).

5. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، (1418هـ/1998م).

6. فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهقجر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2004م.

الرسائل والاطروحات

1. أحمد حسين، حبال السبك النصي في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في سزرة الأنعام، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرة، العراق، 2011م.

2. حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني، المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقية)، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (1428هـ/2007م).

3. خُلود العُموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق مثل من سورة البقرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، (1429هـ/2008م).

4. سيروان أنور مجيد، النّصية في لغة الإعلام السياسي، (صحيفة الشرق الأوسط أنموذجا)، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين، أربيل العراق، (1431هـ/2010م).

5. شريفة بلحوت، الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب" Cohension in English" رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2005م/2006م.

6. عبده إبراهيم محمد بلبول، القصص القرآني، رسالة دكتوراه في التفسير، جامعة الأزهر الشريف، مصر (د ط)، (د ت).

7. عثمان حسين مسلم أبو زنيد، نحو النص (دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن، 2004م.

8. علي حلواجي، القواعد التعليمية للاتساق والانسجام في اللغة العربية دراسة تأسيسية، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2016م-2017م

9. مبارك عبد القادر آراء تمام حسان في نقد النحو العربي -مخطوط رسالة الماجستير إشراف عباس محمد جامعة تلمسان، قسم اللغة العربية وآدابها، 2002م/2003م.

10. محمود بوستة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة باتنة، 2008 م-2009م.

11. مريم عبد القادر عبد الله السباعي، القصة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1404هـ.

المجلات والدوريات

12. البستاني بشرى حمدي المختار وسن عبد الغني، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم - دراسة نظرية مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية -جامعة الموصل، (2011/07/31م)، مج11، ع1 .

13. بشير ابرير، مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، مجلد 23، العدد1، 2007م.

14. سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مصر، مج10، ع1.2، 1991م.
15. صلاح فضل، علم الأسلوب وعلاقته بعلم اللغة، مجلة فصول، مج5، ع1، 1984م.
16. نوال بنت إبراهيم بن محمد الحلوة، المصاحبة اللفظية ودورها في تماسك النص، مقاربة نصية في مقالات د خالد المنيف، مجلة الدراسات اللغوية، مج14، ع3، (1433هـ/2012م).

الفهرس

كلمة شكر

مقدمة:..... أ
مدخل..... 9
مقولات الاتساق النصي 9
الفصل الأول 52
محددات صيغ الأسلوب بين النص والخطاب..... 52
المبحث الأول: مفاهيم الصيغ الأسلوبية 53
المبحث الثاني: مفاهيم النص والخطاب 82
المبحث الثالث: صيغ القص القرآني 93
المبحث الرابع: أدوات الاتساق: 111
الفصل الثاني: 131
إجراءات الاتساق في القصص القرآني..... 131
المبحث الأول: مستويات الإحالة في سورة "طه"..... 132
المبحث الثاني: أوجه الاستبدال في سورة "طه": 162
المبحث الثالث: مسالك الحذف في سورة يوسف 168
المبحث الرابع: تراكيب الوصل(العطف) " سورة طه"..... 177
المبحث الخامس: الاتساق المعجمي (التكرار) في سورة الشعراء: 189
الفصل الثالث:..... 220
إجراءات الاتساق في أساليب القصص القرآني..... 220
توطئة: 221
المبحث الأول: الاتساق في أسلوب الحذف في سورة طه..... 222
المبحث الثاني: الاتساق في أسلوب التقديم والتأخير في سورة مريم 245
المبحث الثالث: الاتساق في صيغ التكرير في سورة الكهف..... 261
المبحث الرابع: الاتساق في أسلوب الالتفات في سورة الكهف 276
المبحث الخامس: الاتساق في تراكيب الوصل في سورة يوسف..... 287
خاتمة:..... 301
قائمة المصادر والمراجع 306

مُلَخَص:

يشتغل البحث على وصف واستقراءِ أهمّ أدواتِ الاتساقِ التي وُظِّفت ضِمْنَ أساليبِ القصصِ القرآني وإبراز وظائفها النصية والجمالية، وهذا انطلاقاً من المزَاوَجَةِ في الدِّراسةِ بين تطبيقِ إجراءاتِ التّحليلِ اللّساني النَّصي والكشف عن جمالياتِ الأسلوب القرآني، فالحذف والتِّكرار والإستبدال وغيرها من أدوات التّرابط النّصي تُشكِّلُ في الوقت نَفسِهِ أساليبَ جمالية، لذلك فإنَّ غايةَ هذا البحثِ تحقيقُ الوظيفتين النّصية والجمالية من خلالِ أسلوبِ القصصِ القرآني.

الكلمات المفاتيح: الاتساق وأدواته؛ الأسلوب؛ القصص القرآني؛ الجمالية.

Abstract:

This research aims to describe and study the tools of coherence used in the Quranic story and to elucidate its textual and aesthetic functions. We rely in our study on the application of the methods of textual linguistics. We propose to detect the aesthetic characteristics of the Quranic style. The deletion, the repetition, the substitution and other means of textual cohesion constitute, at the same time, a stylistic and aesthetic processes. Therefore, our object of study the implementation of the textual and aesthetic functions of the style of the Quranic story.

Keywords: Coherence and its tools, style, the Quranic story, aesthetics.

Résumé :

Cette recherche a comme objectif de décrire et d'étudier les outils de la cohérence employés dans le récit coranique et de mettre en évidence ses fonctions textuelles et esthétiques. Nous nous appuyons, dans notre étude, sur l'application des méthodes de la linguistique textuelle. Nous nous proposons à déceler les caractéristiques esthétiques du style coranique. Ainsi, la suppression, la répétition la substitution et d'autres moyens de cohésion textuelle constituent, en même temps, des procédés stylistiques et esthétiques. Donc, notre objet d'étude est la mise en œuvre des deux fonctions, textuelle et esthétique à travers le style du récit coranique.

Mots-clés : La cohérence et ses outils, le style, le récit coranique, l'esthétisme.